الأمّة
Al Ummah

إسلامية . شهرية . جامعة

العدد الثامن والخمسون - السنة الخامسة - شوال ١٤٠٥هـ حزيران (يونيو) ١٩٨٥م

المواجهة الثقافية الحديثة
حوار مع المستشرق
أرنيه أمبروز

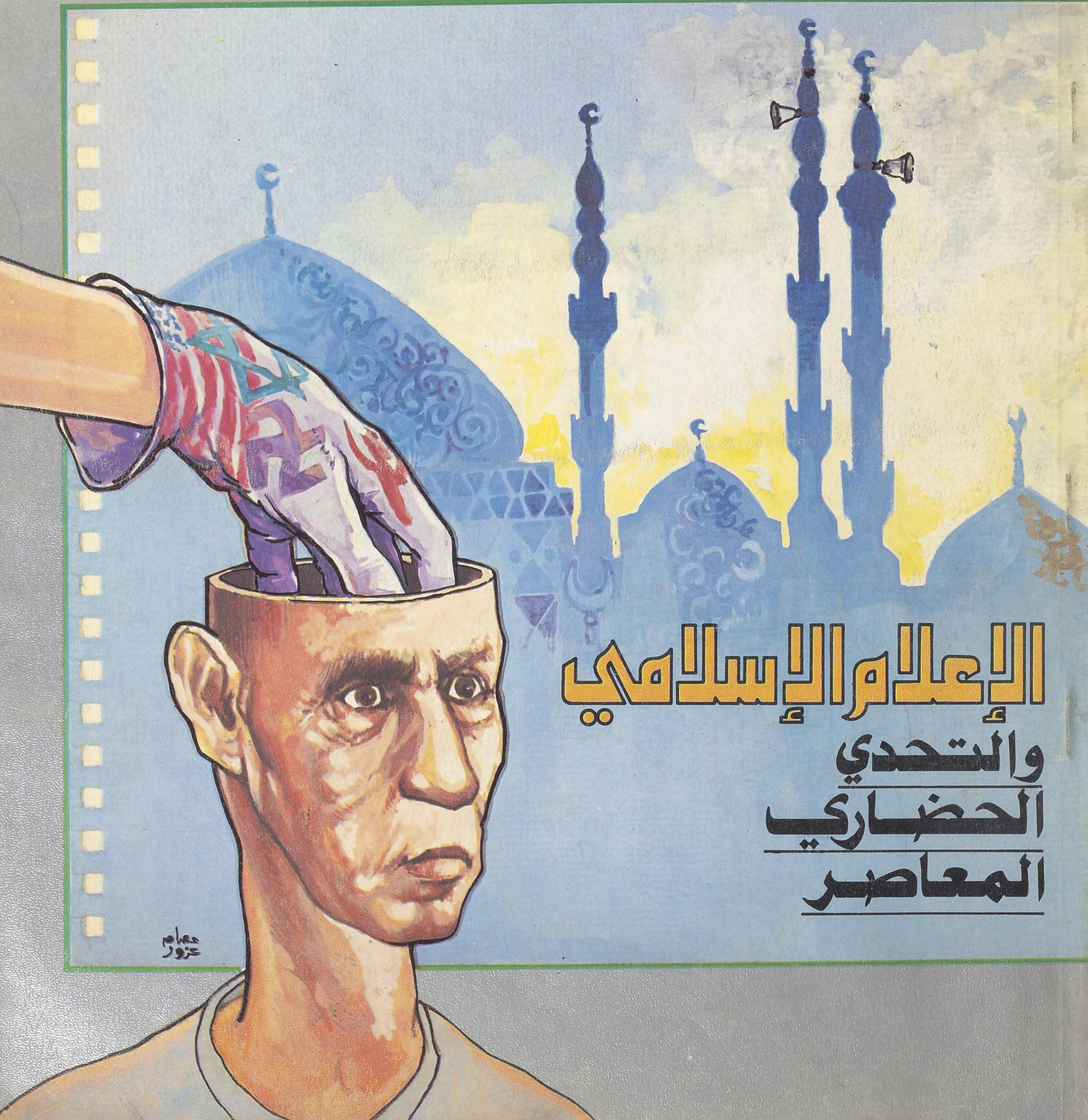

الإعلام الإسلامي والتحدي الحضاري المعاصر

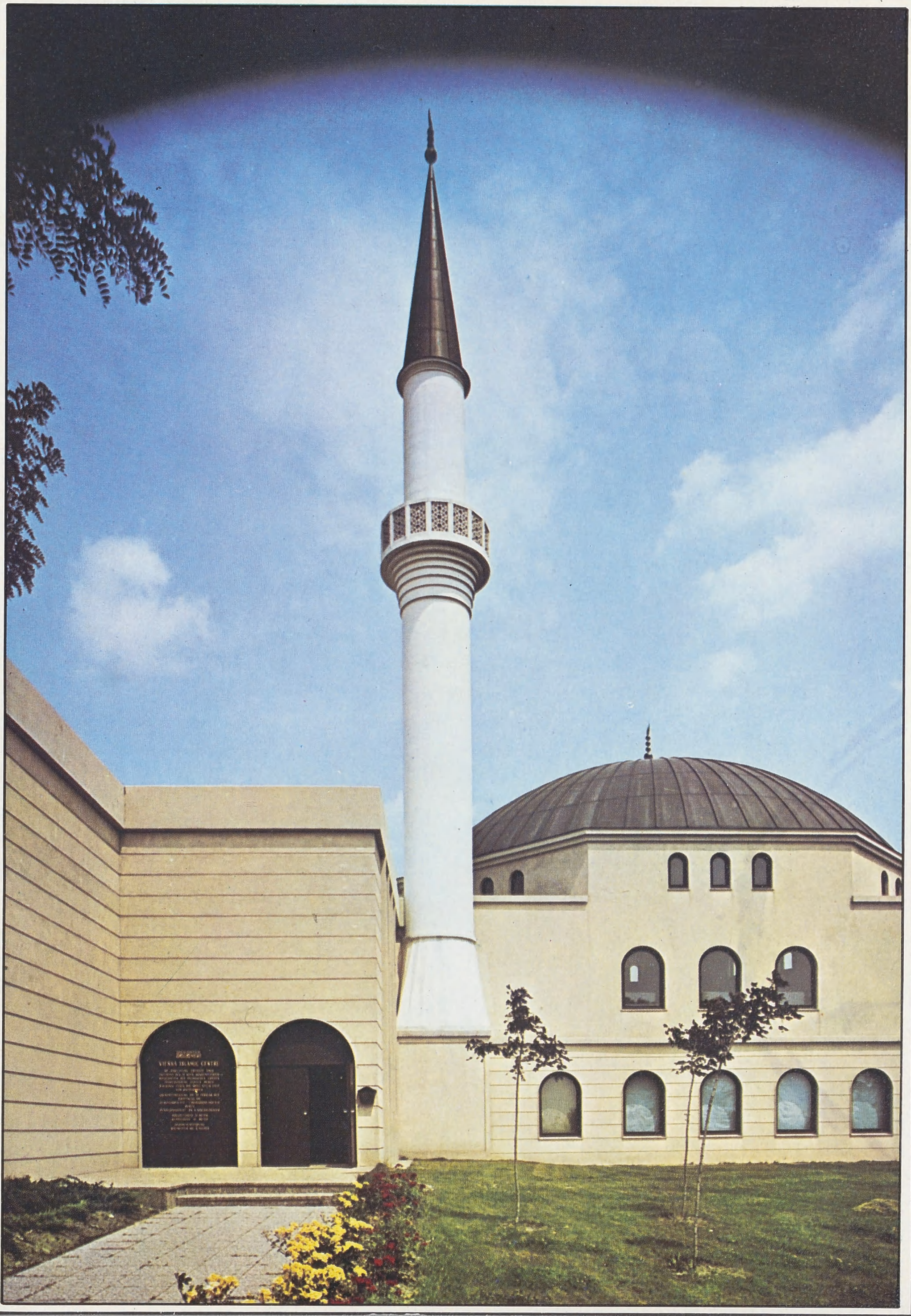

المسجد والمركز الإسلامي في ڤيينا - المحرم ١٤٠٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الأمة
Al Ummah
اسلامية شهرية جامعة

تصدر في غرة كل شهر عربي عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر

An Islamic Monthly published by the Presidency of Sharia Courts & Islamic Affairs, State of Qatar, at the beginning of every Hijri Month.

المشرف العام
عبدالرحمن بن عبدالله آل محمود
President
Abdulrahman Abdulla Al Mahmoud

رئيس التحرير
يوسف عبدالرحمن المظفر
Chief Editor
Yousuf Abdulrahman Al Muzaffar

مدير التحرير
عمر عبيد حسنه
Editonal Director
Ummar Ubaid Hasna

من الصدر

عندما تصبح الشعوب هى الثمن ؟!

■■ إنَّ من أخطر المحن التي تمر بها الأمم في تاريخها ، أنْ يصبح تجاوزُ قيمها وقضاياها الكبرى هو عربون الوصول إلى الزعامة فيها ، ودماء أبنائها هي الوسيلة والثمن الذي يدفع للاحتفاظ بهذه الزعامة ، ولعلَّ هذه الصورة تبدو أوضح ما تكون على ساحة التعامل مع القضية الفلسطينية ، وفي السنوات الأخيرة خاصة ، وتكاد لا تعوزنا الأدلة ، والشواهد على ذلك في كثير من بقاع العالم العربي ... فكثيرون في عالمنا العربي الذين بدؤوا طريق الزعامة بالتسلق على كتف القضية الفلسطينية ، وكانت هذه القضية ورقتهم الرابحة للمزايدات السياسية والعقيدية ، وسبيلهم الوحيد لاتهام الآخرين ، ومبررهم للتنكيل بهم ، ولم يكن عندهم مانع من أن يدوسوا القضية بأقدامهم ، ويقفوا على جثة شعوبهم عندما يتوهمون أنهم يقطعون بذلك خطوة على طريق الزعامة أو الاحتفاظ بها ...

وفي هذه المرحلة الخطيرة حيث يتم تجريد الأمة من أسلحتها ، وتفتقد مواجهة العدو أي مبرر أو معنى ، وتفتقد المواطنة معانيها كلها ، وقد يؤدي الانكسار النفسي الذي يصيب الأمة إلى اعتبار العدو ارحم بها !! فما يوقع بها من قمع وقتل وإرهاب أشد عليها من جراحات عدوها ...

إن الذين يمارسون هذه الصورة القذرة من الاعتداء على الشعوب ، وقتل النساء والأطفال ، وتدمير البيوت والمخيمات الفلسطينية في لبنان على رؤوس سكانها هم جنود في جيش العدو ، مهما كانت مسوغاتهم ، خاصة وان ما نراه اليوم ليس وليد الساعة ، إنه أمر دُبِّر بليل تمتد بداياته الأولى إلى التآمر على إخراج الفلسطينيين من أرضهم ، وتزيين ذلك الخروج والوعود الكاذبة بالعودة .

واقـرب صورها : المجازر التي ارتكبت ضد الفلسطينيين في تل الزعتر وجسر الباشا ، والمواجهة المسلحة المصنوعة في مخيمي البدّاوي ونهر البارد ؛ واليوم حان الوقت للقضاء على البقية الباقية بالنيابة عن إسرائيل ... وتكاد تكون القضية الوحيدة في التاريخ الحديث الذي يتفق على تصفيتها الشرق والغرب ، اليمين واليسار هي : قضية فلسطين ؛ ومن المحزن حقاً أن يكون من أدوات التصفية بعض أصحاب القضية نفسها !!

وقد تكون المشكلة الرئيسة أننا ضللنا الخطوة الأولى لمسيرة القضية عندما أخرجناها من إطارها الإسلامي ، وافتقدنا في تقويمها والنظر إليها المقياس الإسلامي ؛ إن أعداءنا يواجهوننا على أننا مسلمون ، ويصفون حساباتهم بدمائنا على هذا الأساس ، فهل ندرك الحقيقة أم تستمر رحلة التضليل ، فنصبح جزءاً منها ؟!

لقد ابتلعنا الطُّعم أكثر من مرة ، وعجزنا عن وعي الدرس التاريخي الذي لمَّا يجف مداده بعد .

إنَّ الذين كانوا أدِلّاء الحملات الصليبية إلى القدس ، والهجمات التتارية إلى بغداد وديار الإسلام ، من أعداء الإسلام الظاهرين والباطنين ، يتولى أحفادهم اليوم كِبْرَ القضية ، والمواطن العربي معذور أن يلعن الشعارات التي خدعته ، ويلعن أصحابها ، ويعتقد أنها لم تكن سوى أقنعة لإخفاء الحقيقة ؛ لقد عاد القرامطة الجدد بكل كيودهم وأحقادهم التاريخية ، عادوا بأقنعة جديدة ، كما عاد الصليبيون بغير صلبان ... فهل نعي الحقيقة ■■

التحرير والإدارة
Editorial Offices & Administration

هاتف - (بدالة)	٤٦٦٢٢٢
رئيس التحرير	٤٤٧٠٢٢
مدير التحرير	٤٤١٨٣٠
القسم الفني	٤٤١٨٨٧
هيئة التحرير	٤٤٧٣٠٠
قسم التوزيع والاشتراكات	٤٦٦٢٨٥
تلكس	٤٩٩٩ الأمة د هـ
برقياً	الأمة الدوحة
ص . ب	٨٩٣ الدوحة - قطر

Tel.: (PABX) 466222	DOHA
Chief Editor	447022
Editorial Director	441830
Editing Staff	441887
Editor Staff	447300
Distribution and Subscribers Dept.	466285
Telex:	4999 Al Ummah DH
Cables:	Al Ummah DOHA
Mailing Address:	P. O. Box 893 DOHA QATAR

مايُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

طبعت بمطابع الدوحة الحديثة - قطر

صـــورة الغـلاف

■■ لقد سكتت معظم الأسلحة وتراجعت إلى الخطوط الخلفية ليتقدم سلاح الإعلام الرهيب الذي بدأ يتحكم بمعارف الناس وعواطفهم ، وتشكيل شخصياتهم ، وزرع اهتماماتهم ، وتغييرهم من الداخل .

عالم اليوم أصبح ـ بعد إطلاق الاقمار الإعلامية ـ دولة إعلامية واحدة : فوسائل الإعلام الجديدة تخاطب الإنسان في كل مكان وتتابعه وتتعقبه في خلواته .

فأين يقف الإعلام الإسلامي ؟ وما هو دوره وأثره في معارك الصراع الحضاري ؟ وهل يدرك المسلمون المخاطر القادمة والتحديات الكبيرة . ؟ ■■

□ الغلاف بريشة : الفنان عصـام عزوز □

الإخراج الفنى مجدي نجيب

الاشتراك السنوي Annual Subscription

للأفـــراد

- في قطر ٣٠ ريالًا قطرياً .
- في الدول العربية والأسيوية والافريقية : ٤٠ ريالًا قطرياً او ١١ دولاراً امريكياً او ما يعادلها .
- في الأمريكيتين واوروبا واستراليا ١٢ دولاراً امريكياً أو ما يعادلها .

- Asia & Africa, for individuals U.S.$ 11, for Govt. & Private organizations U.S.$ 22.
- America, Europe & Australia for individuals U.S.$ 12, for Govt. & Private organizations U.S.$ 25.

للدوائر الحكومية والشركات والمؤسسات

- في قطر ٧٥ ريالًا قطرياً
- في الدول العربية والأسيوية والافريقية : ٨٠ ريالًا قطرياً او ٢٢ دولاراً امريكياً
- في الأمريكيتين واوروبا واستراليا : ٢٥ دولاراً امريكياً

■ ترسل الاشتراكات باسم مجلة الأمة ■

المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

الإعلانات يتفق بشأنها مع الإدارة

وكلاء التوزيع

البلد	اسم الوكيل	وعنوانه
قطر	□ دار الثقافة	ص . ب ٣٢٣ الدوحة
الإمارات	□ مكتبة دار الأمان	ص . ب ٤٦٩٥ أبوظبي
»	□ المكتبة الحديثة	ص . ب ١٥٥٤٠ العين
»	□ مكتبة دبي للتوزيع	ص . ب ١٥٢٦ دبي
البحرين	□ جمعية الإصلاح الاجتماعي	ص . ب ٢٢٢٨٢ المحرق
السعودية	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان	ص . ب ١٤٠٥ الرياض
»	□ مؤسسة الجريسي للتوزيع	ص . ب ٨٠٧٠ جدة
»	□ » » »	الدمام
عمان	□ مؤسسة ناصر علي ناصر المفرجي للتجارة	ص . ب ٢٧٦١٥ بهلاء سلطنة عمان
الكويت	□ دار القلم : للطباعة والنشر والتوزيع	ص . ب ٢٠١٤٦ الكويت
الأردن	□ وكالة التوزيع الأردنية	ص . ب ٣٧٥٠ عمان
»	□ مكتبة دار الأرقم	ص . ب ٩٢٦٢٨٧ عمان
تونس	□ الشركة التونسية للتوزيع	ص . ب ٤٤٠ تونس 5 ش قرطاج ـ تونس
الجزائر	□ المؤسسة الوطنية لتوزيع الصحافة	38sis شارع ديدوشي مراد ـ الجزائر
السودان	□ دار التوزيع	ص . ب ٣٥٨ الخرطوم
لبنان	□ مؤسسة الجزيرة للخدمات والتوزيع بيروت ـ لبنان	ص . ب ٧٣٨٥ بيروت
مصر	□ شركة توزيع الأخبار	ص . ب ٧ القاهرة
المغرب	□ سبريس	ص . ب ٨٠ ـ ٧٠ زنقة سجلماسة الدار البيضاء
اليمن	□ مؤسسة سبأ العامة للصحافة والأنباء	ص . ب ٢١٩٥ صنعاء

Distributing Agents

ماليزيا	MUSLIM YOUTH MOVEMENT OF MALAYSIA,	KUALALUMPUR 2207, MALAYSIA
باكستان	PARADISE BOOK STALL	SHAHRAH E-IRAQ KARACHI 3 PAKISTAN
انجلترا	THE MUSLIM INFORMATION SERVICE, 233 SEVEN SISTERS ROAD,	LONDON N4 ENGLAND
	GULF MEDIA CENTRE	43/441 GLARGES STREET LONDON WIY 7PJ U.K.
فرنسا	GROUPMENT ISLAMIQUE EN FRANCE	121, BOULEVARD DE MENLLMONTANT 1, CITE DE L'AVENIR 75011 PARIS FRANCE
المانيا	ISLAMISCHE GEMEINSCHAFT IN	DEUTSCHLAND E.V. MANZER LANDSTR. 176 6000 FRANKFORT A. M. W. GERMANY
هولندا	NVR AL SONNAH IMPORT EN EXPORT	TOLISTRAAT 42 1073 SC AMESTERDAM - HOLLAND
بلجيكا	AL-IMENSPRL	B.D.M. LEMONNIER 196 1000 BRUXELLES, BELGIQUE.
امريكا	ALMIHGER	408-B LOCUST STREET COLUMBIA, MO 65203, USA

ثمن النسخة

قطر	٣	ريالات	لبنان	٢٠٠	قرش
السعودية	٣	ريالات	مصر	٢٠٠	مليم
الكويت	٢٠٠	فلس	السودان	٢٠٠	مليم
البحرين	٢٠٠	فلس	ليبيا	٢٠٠	درهم
الامارات	٣	دراهم	الجزائر		ديناران
عمان	٢٠٠	بيسة	تونس	٢٠٠	مليم
اليمن الشمالي	٢٠٠	فلس	المغرب		درهمان
اليمن الجنوبي	٢٠٠	فلس	دول آسيا وافريقيا		نصف دولار امريكي
العراق	٢٠٠	فلس			
الأردن	٢٠٠	فلس			
سوريا	٢٠٠	قرش			

● في الامريكيتين واوروبا واستراليا دولار امريكي او ما يعادله .

في هذا العدد

● كلمـــة الأمـــــــة ٤
● (قضيــة للمناقشــة) :
اين الخلل ؟ في العمل الإسلامي الرسمي الدكتور عباس محجوب ٨
● الأدب الإسلامي وقضية الإبداع .... الدكتور نجيب الكيلاني ١٤
● عندما تفقد الأمة ذاكرتها .... الدكتور السيد رزق الطويل ١٧
● حديقـــة الأمـــــــة ٢٠
● فهل ثبت أنه ليس من وضعهم ؟ .... الدكتور عماد الدين خليل ٢٢
● لمحات من عصر القرطبي في تفسيره ...... الدكتور محمد الدسوقي ٢٦
● بطاقـــة من قــارىء ٢٩
● يا أُمّتي وجب الكفاح (شعر) .... الدكتور يوسف القرضاوي ٣٠
● صـــورة من قـــريب :
مسجد المؤمن ومدرسة المدينة بلوس انجلوس ٣٢
● امــــراة العــزيز .... الدكتور إبراهيم علي ابو الخشب ٣٤
● مائة عام على تأسيس معهد اللغة العربية بجامعة فيينا :
حوار على هامش المواجهة الثقافية الحديثــة مع
المستشرق النمساوي « آرنيه أمبروز » ٣٦
● تصريحـــات وأقـــوال ٤٢
● مع اللغة العربية في الهند .... الدكتور مقتدى حسن ياسين ٤٣
● (العلـم والحيـاة) :
(من عجائب المخلوقات) الطيور الجارحـــة ٤٤
● طبيبـــة من صـيـدا (قصة قصيرة) .... امة الله الودود ٤٨
● الا يا ابنة الإســلام (شعر) .... احمد محمد صديق ٥١
● (استطـــلاع) :
في بريطانيا : مؤسسات متقدمة لتأصيل الوجود الإسلامي [٢] ٥٢
● الرزق في المنظـــور الإســلامي .... فيصـل تليلاني ٥٨
● ابن تيمية ودوره في إصلاح السجون الدكتور احمد علي المجدوب ٦٠
● (نـــدوات ومحاضــرات) :
الإعجـاز اللغوي في القرآن الكريم ... الدكتور عبد الصبور شاهين ٦٤
● (عـــالم وكتـــاب) :
ابن جرير الطبري وكتابه جامع البيان في تفســير القرآن ....
.... خالد محمد جديّة ٦٧
● محاور المضمون الإسلامي للحــرية الملتزمة ....
.... الدكتور محمد احمد العزب ٧٠
● يـا ليــت (شعــر) .... محمــد المجذوب ٧٣
● (الأســـرة المسلمـــة) :
رسالة من الأندلــس .... السيدة أم عبد الرحمن ٧٤
● الإعلام الإسلامي والتأثير والتحدي الحضاري المعاصــر ....
.... الدكتور محمد سيد محمد ٧٨
● بريـــــد الأمـــــة ٨١
● بأقــــلام القـــراء ٨٤
● شـــؤون المسلمـــين في العـــالم ٨٦
● مــع الصحافـــة في العـــالم ٩٢
● مسابقـــة العدد الثامن والخمســـين ،
وحل مسابقة العدد السادس والخمسين وأسماء الفائزين ٩٤
● (خـواطــر وافكــار) :
هل تُحل المعضــلات الاقتصادية بتحديد النسل ؟! ....
.... محمد الصالح عزيز ٩٦

أيـن الخـلل ؟

■ المنح التي تقدمها دول العالم الإسلامي لأبناء المسلمين في العالم لا تتعدى العشرات ! بينما نجد دولة صغيرة مثل « كوبا » تمنح « موزمبيق » إلى قبل أعوام قليلة أربعة آلاف منحة لتتحول موزمبيق إلى دولة شيوعية في أفريقيا بينما لا تزيد ميزانية كوبا عن ميزانيات بعض بلديات المدن العربية الكبيرة ، هذا غير المنح التي يمنحها المعسكر الاشتراكي بالآلاف لأبناء المسلمين الذين يعودون لقيادة بلادهم في الوجهة التي تخالف تاريخهم وعقائدهم .... (ص : ٨) ■

الأدب الإسلامي وقضيـة الإبداع

■ لقد حرص الإسلام على سلامة المضمون وصدوره عن فكر إسلامي صحيح ، كما حرص أن يكون للأدب الانطباع الصادق أو التأثير البنّاء لدى المتلقي .

نعم المضمون والتأثير النهائي للعمل الفنيّ ، وما عدا ذلك نستطيع أن نرسل القول شعراً أو نثراً .. قصة أو قصيدة .. مسرحية أو تمثيلية ، مع مراعاة الآداب الإسلامية العامة فيما يساق من قول أو يُتناول من وصف أو يبتكر من حوار ، وإذا كان بعضهم يتشبث بالشعر العمودي أو التقليدي فلماذا يغلق الباب في وجه أشكال جديدة تضاف إلى الوان الأدب ولا تلغي لوناً منها ؟؟ .... (ص : ١٤) ■

الإعجاز اللغـوي في القـرآن

■ الدكتور عبد الصبور شاهين ■

■ الإعجاز هو مناط التحدي الموجه من القرآن إلى معارضيه .

يقول الأستاذ محمود محمد شاكر في مقدمته لكتاب الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي رحمه الله :

إنَّ وجهة الإعجاز التي يؤكدها القرآن دائماً هي البيان ، وإن كل الذين بحثوا عن جانب البيان لم يصلوا إلى شيء ؛ لا الباقلاني ولا عبد القاهر الجرجاني ولا من لفّ لفّهما من الأئمة والباحثين .. كل هؤلاء قاربوا ولم يمسّوا ، حاولوا ولم يتحققوا من شيء وإنما تشاغلوا بأمور أخرى لا تتصل بالبيان .

فهل قدم الأستاذ شاكر حلاً للمشكلة وطرح مفهوم البيان الذي يقصده ؟ . نتوقع منه أن يحاول إنجاز ما تمناه في حياته .... (ص : ٦٤) ■

كلمة الأمة

المسلمون في الغرب:

□□ هذه ملامح سريعة، ومشاهدات حيَّة ميدانية تحصلت من خلال زيارة للعديد من الدول الأوروبية وبعض المؤسسات الإسلامية هناك، ومقابلة مجموعة من العاملين في حقل الدعوة الإسلامية على المستويين الشعبي والرسمي، والتعرف إلى شيء من وسائلهم، والتحديات التي تواجه القضية الإسلامية سواء أكانت تحديات داخلية - وهي الأهم والأخطر - أم تحديات خارجية نابعة من طبيعة المجتمعات الغربية، وما ترسب في وجدان إنسانها من عقد نفسية أورثتها الروح الصليبية، والاستعمار والسيادة على كل من هو غير أوروبي، ومحاولة رؤية العمل الإسلامي من الداخل كما يقال، وواقع المجتمعات الغربية، والمنزلق الخطير الذي يقترب منه جيل الحضارة المادية بشقيها: الليبرالي والماركسي، وصورة المجتمع الاستهلاكي، واهتزاز القيم الإنسانية وحالات الغياب المتعمد عن الوعي عن طريق تعاطي المخدرات، والاغتراب بين الأجيال، وتنكر الأبناء للآباء، ومأساة كبار السن، وجفاف العواطف الإنسانية ... تلك الأمراض التي بدأت ملامحها تظهر في بلاد المسلمين، لقد قُذفت فيها مجتمعاتنا المقلِّدة من خلال أقنية الإعلام الرهيبة ومعابر الثقافة المتعددة، دون أن يمنح الإسلام الفرصة الكافية للمعالجة والمواجهة. □□

إنها الحضارة المادية التي اتقنت الوسيلة واضاعت الهدف، ولا شك انها من الناحية الحضارية والإنسانية بانتظار المسلم الحق، الإنسان الجديد الذي تتمثل فيه العقيدة الصحيحة التي جاء بها الإسلام والتي وضعت تفسيراً للحياة جعل لها معنى، والوسيلة المتقدمة التي اوجدتها الحضارة المادية التي تقود إنسانها إلى العبثية والعدم ... المسلم الذي يكون في مستوى إسلامه وعصره ليقدم الانموذج الحي المتحرك للمثال المفقود، وسوف نتناول في الأعداد القادمة - إن شاء الله - بعض مظاهر الوجود الإسلامي في اوروبا والمخاطر التي تحاصره وتعوق اداءه.

ذلك ان الوجود الإسلامي في اوروبا وامريكا اصبح اليوم حقيقة واقعة لا مرية فيها، ولم يبق مجال للمناقشة حول هذا الوجود وشرعيته وجدواه وديمومته، سواء جاء هذا الوجود بسبب التقارب الحاصل بين دول العالم وشعوبه، وإزالة الحدود والسدود التي كانت تحكم العالم وتفصل بين دوله، واختصار المسافات وتقدم وسائل النقل ووسائل الإعلام التي الغت هذه الحدود، حيث اصبح العالم كله دولة إعلامية واحدة، لقد تكسرت حواجز الاغتراب على الرغم من الحدود السياسية، ووجود المؤسسات الدولية التي يتركز معظمها في اوروبا وامريكا، والتي يحمل المسلمون فيها نصيباً لا بأس به، أم بسبب هجرات المسلمين التي جاءت بداياتها في عصر الاستعمار للعالم الإسلامي، كنوع من استيراد الأيدي العاملة من سكان المستعمرات لتشييد مدنية اوروبا، ام كان ذلك بدافع الفقر الذي خلفه عصر الاستعمار واضطر إنسانه إلى التحرك خارج أرضه ابتغاء للرزق، وهم الغالبية العظمى، ام طلباً للتخصص والمعرفة التي كان يتحكم الاستعمار في التمكين لها لتخدم مصالحه وتكون جسوره الثقافية والحضارية إلى عالم المسلمين، إلى جانب قلة قليلة اخرى خارجة عن الطوق الاستعماري لا تكاد تذكر.

يضاف إلى ذلك في عصر ما بعد الاستعمار هجرات متتابعة جاءت على غير اختيار وكانت بسبب الاستبداد السياسي، والظلم الاجتماعي، وتقديم اهل الثقة والولاء ومطاردة اهل الخبرة والإباء، الأمر الذي لا يزال يمارسه في كثير من انحاء العالم الإسلامي جيل الاستعمار وركائزه، وهي هجرات من نوع آخر قد لا يكون جديداً على المسلم الذي عرفه منذ عصر النبوة عندما توجه المسلمون الأول إلى الحبشة فراراً من الظلم، واستجابة لمطلب الحرية حيث كان «فيها ملك لا يُظلم الناس عنده»، وهذا اللون من الهجرة إلى الغرب الذي يحصل اليوم قد يكون من اخطر المحن التي يتعرض لها المسلم، والتي تضطره إلى ترك بعض بلاد العالم الإسلامي ليجد نفسه وامنه وحريته المفقودة والكثير من حقوقه المسلوبة، هناك في اوروبا وامريكا التي تدين بغير الإسلام؛ فإذا كان هذا المهاجر المسلم غير قادر على التفريق بين الحقيقة - المثل والقيم الإسلامية - التي يعتنقها ويعمل لها وبين الصورة المتعسفة التي يراها في بعض بلاد المسلمين - الاستبداد السياسي والظلم الاجتماعي - البعيدة عن الإسلام، والتي إنما تحصلت بسبب من الانسلاخ عن الإسلام وليس بسبب من الاستمساك به كما يتوهم بعضهم او يحاول إيهام الناس، يُخْشى ان يفتن عن دينه، إنها فتنة، لكنها من نوع جديد، تكاد تكون مقدماتها على عكس الصورة التي عرض لها

لمحات .. وآفاق

الفقهاء قديماً ، حيث كانوا يحذرون من الهجرة ، ويحرمون الاستيطان في البلاد غير الإسلامية والإقامة فيها لمن اسلم سداً للذريعة ، وخشية ان يفتن الإنسان عن دينه ، ويحال بينه وبين حريته في ممارسة عبادته ومقتضيات عقيدته ، الامر الذي يجب ان يكون متوافراً له حكماً في دار الإسلام ... وكان هجرة المسلم من ديار المسلمين إلى بلاد غير المسلمين لم تكن واردة حتى على اذهانهم ، وإنما الامر الذي كانوا يحذرون ، ويخوّفون منه ، ويؤصلون الاحكام له : حال غير المسلم الذي يعتنق الإسلام في بلاد الكفر والشرك استجابة لإعلان الرسول ﷺ براءته من كل مسلم يقيم بين المشركين وهو قادر على مغادرتهم ، حيث قال : « لا يقبل الله من مشرك بعدما يسلم عملاً او يفارق المشركين إلى المسلمين » وقوله : « من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله » .

والحقيقة التي لا شك فيها ان كثيراً من الظروف والاحوال قد تغيرت ، وبالتالي فلا بد من إعادة النظر في كثير من الاحكام الفقهية الشرعية المتعلقة بالهجرة والاستيطان على ضوء الواقع السياسي والاجتماعي الذي تعاني منه بعض بلاد العالم الإسلامي ، وفرص الحرية المتوفرة في كل من اوروبا وامريكا ، خاصة بعد ان اصبح الوجود الإسلامي هناك حقيقة لا مرية فيها ، واصبحت بعض المؤسسات الإسلامية والمراكز الإسلامية تمارس نشاطها وتحقق مناخاً مأموناً نوعاً ما للحياة الإسلامية ، ونكاد نقول مطمئنين : إن الاقليات المسلمة في بعض هذه الدول تعيش في جو من الحرية ، تمارس عباداتها وتقوم بنشاطاتها ، وتدعو الله كما تحب بكل حرية ، الأمر الذي قد لا يتوافر للمسلم في كثير من بلاد المسلمين اليوم ، وهنا تشتد الفتنة وتعظم ، وقد يكون الوجه الآخر للفتنة اليوم : وجود اقليات إسلامية في بلاد اخرى تعاني صنوفاً من الكبت والاضطهاد ، تسام الخسف ولا يسمح لها بالهجرة مطلقاً ، وإذا عزمت على الهجرة ، او وجدت فرصة لها ، فلن تجد من يقبلها او يفسح لها مجالاً للعيش والكسب في بلاد المسلمين حيث يتحكم الظالمون بارض الله الواسعة ، ويظنون انها ارضهم وملكهم فيحولون دون هجرات المستضعفين من المسلمين في الارض ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ (النساء : ٩٧) ، إنها ارض الله .. فهل يدرك القائمون على امرها شيئاً من حقها فيزيلوا السدود من طريق المستضعفين ، فلا بد إذن والحالة هذه من ان يعاد النظر كما اسلفنا في كثير من الاحكام الفقهية بعد ان تغيرت « العلة » التي بني عليها الحكم او فُقدت ؛ ولا بد ان ينظر إلى هذا الوجود الإسلامي بكل ابعاده ومقوماته التي اصبحت حقيقة لها متطلباتها ، ويجب ان يكون لها فقهها المستوعِب لظروفها ، المنظِّم لحركتها وعلاقاتها ؛ اما النظر إلى هذا الوجود على انه عارض موقوت ، كوجود المسافر الذي يحق له قصر الصلاة والإفطار في رمضان ، وبعض الرخص الاخرى فامر يدعو إلى الدهشة والاستغراب ، فالقضية تستدعي إعادة النظر ، وتستدعي الاستيعاب وتصور الابعاد الكاملة قبل تقرير الاحكام ، ذلك ان الحكم على الشيء فرع عن تصوره ؛ ولا نحب ان يُفهم من كلامنا اننا نشجع على هجر بلاد المسلمين إلى الغرب وتركها نهباً للظلمة ، والاستسلام للأمر الواقع ، والفرار من المعركة وتولية الدُّبُر - إلَّا في حالات الضرورة : حالات التحرّف لقتال او التحيز إلى فئة - وعدم مواجهة هذا الواقع ومحاولات تغييره بالوسائل المطلوبة شرعاً لتعود إلى بلاد المسلمين خصائصها المفقودة ومعانيها الغائبة ، وإنما لنوضح ان الوجود الإسلامي في اوروبا وامريكا اصبح حقيقة قائمة لا مرية فيها ، وانه وُجد ليبقى ويستمر ، ووُجد لينتشر وينتصر إن شاء الله ، لذلك كان لا بد للمسلمين اليوم من التعامل فقهاً وواقعاً ومستقبلاً مع هذه الحقيقة ، والتاصيل لها بشكل علمي ومدروس ، وإعداد الوسائل الكفيلة بتحقيقها ، والدراسات التي تؤصل لها على شكل علمي ومدروس ايضاً ، والمسلم صاحب قضية وهدف ، وصاحب عقيدة ترسم له ابعاد حركته جميعها ، فهو يعتقد ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين ، وان محلَّ عقيدته ومجالَ دعوته ارضُ الله الواسعة كلها ، وان دينه لا يحبس في لون او جنس او قوم او جغرافية ، او ارض ، وإنما هو دين الله لعباد الله جميعاً ، فالمطلوب إليه دائماً : ان ينزل إلى الساحة ليؤدي وظيفته في عملية البلاغ المبين ، ولا يعاني من العطالة بسبب الظروف والاحوال ، ولا يعاني من عقدة الاغتراب ، ولا تنطفىء فاعليته على غير ارضه التي نبت فيها ، فهو كالنور يدخل من اضيق الثقوب ، وكالقمر الذي إذا غاب في ارض او انحسر منها طلع في ارض اخرى ؛ ونحن لا ندَّعي هنا تقديم دراسة مستوفية عن القضية الإسلامية في اوروبا وامريكا والمشكلات التي يعاني منها الوجود الإسلامي هناك وما يقتضيه من فقه لهذه المشكلات التي يتعرض لها المسلم في ديار الغربة وإيجاد الأوعية الشرعية لحركة وسلوك الاقليات المسلمة في تلك البلاد ، على اهميته وضرورته ، فذلك امر مطلوب من العلماء الذين يفقهون هذا الواقع ، ويقدرون على توليد الاحكام الشرعية على هدي من مبادىء الإسلام القادرة على الاستجابة لكل الظروف والاحوال بما يناسبها ، وإيجاد المؤسسات المتخصصة لذلك ؛

كلمة الأمة

المسلمون في الغرب:

ومن يعيشون الظروف ، ويبصرون المشكلات ، ويستقرئون الحلول ، واهل مكة ادرى بشعابها ، كما يقال ؛ وإنما هي ملاحظات سريعة ، وملامح عامة جاءت نتيجة لزيارة سريعة ايضاً علّها تساهم بشيء من البصارة التي لا بد منها للمسلمين اليوم هنا في بلاد العالم الإسلامي ، وهناك في بلاد غير المسلمين ليكونوا في صورة هذا الواقع الإسلامي ، ذلك ان اوروبا وامريكا بشكل خاص تشكلان المركز الحضاري العالمي الأول في التاثير في مجالات الفكر والسياسة والاقتصاد والإعلام ؛ بما تحقق لهما من وسائل التقدم ونواتج السبق العلمي ومراكز المعلومات الذي تتحكم بتوزيعه على العالم ، وامتصاص خيرة الخبرات والأدمغة البشرية ، وتامين المناخ المناسب لها للإنتاج والإبداع ، ولعلّ من لوازم الصورة هذه : دعم ومساندة انظمة القمع السياسي في كثير من بلاد العالم الإسلامي خاصة والعالم الثالث عامة ليكونوا وسيلتها واداتها في الضغط والتضييق على العقول ذات الكفاية العالية ليهجروا اوطانهم إلى اوروبا وامريكا ، وبذلك يزداد ارتكاس العالم الإسلامي وتتسع وتتعمق حفرة التخلف ، وتتحكم اوروبا وامريكا في هذا العالم من خلال سواعد وادمغة ابنائه ، وفساد وإفساد انظمته ؛ إن هذا يجعل اوروبا وامريكا يشكلان المركز الحضاري الأول المؤثر في سياسة وثقافة العالم - كما اسلفنا - لذلك لا بد ان تُعتبرا خط المواجهة الأول في الحوار والاهتمام والتاثر والتاثير ، على الرغم من وجود أقليات مسلمة في كثير من بلاد العالم تحتاج إلى العناية والاهتمام ، كما أنه لا بد للعاملين في الحقل الإسلامي من استيعاب الأبعاد الكاملة لهذا الحوار ، وامتلاك وسائله ، وتحديد منطلقاته ، وتاهيل المتخصصين لمواجهته على مختلف الأصعدة ، ذلك ان الكثير من الدراسات والكتب والخطب والمؤلفات التي انتجتها الحركة الإسلامية في بلدان العالم الإسلامي ، وجاءت ثمرةً واستجابة لنوع من التحدي والمواجهة ، ومعالجةً لمشكلات مجتمع يختلف - في تاريخه ، وتركيبه الثقافي ، وموقعه الحضاري ، ومعاناته السياسية والاجتماعية - عن تلك المجتمعات ، لا تصلح بالتاكيد لمخاطبة إنسان تلك المجتمعات ، كما أنها في معظمها لا تصلح لمخاطبة افراد الجالية المسلمة التي تعاني من مشكلات خاصة بها ...

ولا شك عندنا ان الظروف التي حملت الكثير من المسلمين على الهجرة الأولى إلى بلاد الغرب كانت بدافع الفقر ، وانها تمت في عهود الاستعمار ، وما ترسب من عقدة السيادة للأوروبي الذي امتص الموارد الاقتصادية للبلاد المُسْتَعْمَرة ، واستورد الكثير من الأيدي لتعمير مدن وشق طرق وفتح انفاق تحت الارض ، لذلك كانت الهجرات الأولى من خلال الظروف التي ادت إليها فقيرة في ثقافتها ومواردها ، وكانت تشعر بالدونية وشيء من الامتهان امام سكان البلاد الأصليين : السادة المستعمرين ؛ فهي بهذا الاعتبار كانت عاجزة عن حماية نفسها من الذوبان في تلك المجتمعات فضلاً عن قدرتها على القيام بدورها تجاه القضية الإسلامية ، وقد لا تجد مانعاً من إخفاء دينها ، وتعطيل لغتها لشعورها بالدونية كما قدمنا ، والتحدث باللغة الأجنبية دون حاجة ، واعتبار ذلك مظهراً حضارياً يخفي وراءه الشعور بعقدة الدونية التي تتحكم بها ، واقليةُ هذا حالها ستبقى عاجزة عن التاثير في المجتمعات التي تعيش فيها وتبقى مهددة بالذوبان .

ومن الملامح الأساسية في القضية الإسلامية في اوروبا وامريكا التي لا بد من إدراكها ، وقد تغيرت موازين الأشياء في عالم اليوم بشكل واضح ، ان موضوع الأكثرية السكانية والأقلية اصبح محدود الأثر والتاثير إلى حدٍ بعيد ، وان الشواهد على ذلك اكثر من ان تُحصى ، فعلى اكثر من موقع في العالم تتحكم الأقلية بقيادة وتوجيه الأكثرية ، لمجموعة من العوامل لا مجال لذكرها هنا ، وحسبنا ان نذكر ان مجموع يهود في العالم قد لا يزيد على خمسة عشر مليوناً ، ومع ذلك فإن فاعليتهم وتاثيرهم يفوق مئات الملايين من الأمم والشعوب الأخرى التي نسيت نفسها ، وعطلت فاعليتها ، وقعدت عن اداء دورها ورسالتها ؛ وخرافة ان هذا التاثير يعود إلى التفوق بخصائص وصفات عضوية مفقودة عند البشر الآخرين امر يدحضه التاريخ ، وتكذبه الدورات الحضارية العالمية وانتقالها بين معظم الأجناس البشرية ، لكن يهود الذين استقرت هجراتهم بشكل مبكر في اوروبا وامريكا استطاعوا فعلاً ان يحددوا المواقع الفاعلة ويعملوا على امتلاكها ، والتحكم بالمراكز المؤثرة في حياة تلك المجتمعات ، في مجال الإعلام والاقتصاد والثقافة ، ومراكز المعلومات ، والمؤسسات الجامعية ، فتحققت لهم قيادة وتوجيه هذه المجتمعات ، وهذه القيادة لم تات عفواً ، وإنما سبقها تخطيط وتضحية ومعاناة ، وتوزيع للأدوار ، والانقطاع إلى التخصصات النادرة والنبوغ فيها ، واعتلاء المنابر الفاعلة وجعلها في خدمة قضاياهم إلى درجة اصبحت معها الأزرار الضاغطة على هذا المجتمع جميعها تقريباً بيد يهود . ولا نزال نذكر كيف ان « وايزمن » - الذي اصبح فيما بعد اول رئيس لدولة إسرائيل - استطاع ان يحمل الحلفاء على التعهد بإقامة الدولة اليهودية مقابل ان يقدم إليهم اختراعه لمادة (الأسيتون) لاستعمالها ضد خصومهم في الحرب العالمية الأولى ، والاتفاق الذي تعهد فيه زعماء يهود بإعطاء روسيا سر القنبلة الذرية مقابل التخلي عن الموقف التقليدي في رفض

لمحات.. وآفاق

الصهيونية ، والسباق إلى دعم إسرائيل والسماح ليهود بالهجرة إليها ، والذي نقل سر القنبلة الذرية إلى روسيا هو اليهودي « روزنبرج » وزوجته .

وقد يعجب كثيرون عندما يقارنون بين عدد يهود في المجتمعات الغربية وامريكا وعدد المسلمين ، ويرصدون اثر يهود وتاثيرهم وغياب المسلمين وانعدام اثرهم ... والحقيقة ان القضية في العالم اليوم ليست قضية اكوام من البشر ، واعداد من الخلق ، وادعاءات عاطفية ، بقدر ما هي قضية تخصصات وفاعلية ودراسة وتخطيط ، فالاقلية المسلمة ذهبت إلى هناك بثقافتها الفقيرة وعالمها المستعمَر المحطم ، وإشعارها وشعورها بالدونية امام السيد المستعمِر مما افقدها انتماءها إلى حد بعيد ، وجعلها تعيش في قاع تلك المجتمعات ، ولا تستطيع النهوض من هذا الاستنقاع ، فالأبناء نسخة مكررة عن الآباء ، في تفكيرهم وحِرَفِهم ، وبمجرد بلوغهم يسلكون طريق الآباء إلى المصانع والمعامل ، وقد لا يجد الزائر لاوروبا في إطار الكثير من الجاليات المسلمة من يفكر جدياً بالتخطيط لمتابعة دراسة أولاده ، ونوع التخصصات التي يجب ان يحصلوا عليها وتشكل فيما بعد منافذ للتاثير على هذه المجتمعات بسبب من فقر المال وفقد الوعي ؛ ولسوف تبقى الجالية المسلمة عاجزة عن التاثير في هذه المجتمعات حتى لو عاشت فيها مئات السنين ، بل قد تكون مستهدفة وواقعة تحت تاثير الآخرين ما لم تفكر ويُفكر لها ، وتُوجه صوب اهداف ومراكز فاعلة لا بد من الحصول عليها .

والحقيقة التي لا بد من الاعتراف بها : ان الفضل الكبير في إيقاظ الشعور بالانتماء للإسلام ومحاولة الالتزام به ، والاعتزاز بالعربية - لغة القرآن - واعتبار ذلك من الملامح المميزة للشخصية المسلمة يعود إلى جهود الطلبة والمبتعثين الذين حملوا معهم بذور الصحوة الإسلامية ، والوعي الإسلامي ليزرعوها في تربة الجالية المسلمة في مجتمع الاغتراب ؛ وكانت الوسائل الأولى لتحقيق هذا الانتماء وتعميق الشعور به : إقامة المسجد والاحتماء به ، والاستفادة من عطلة نهاية الأسبوع في تدريس شيء من القرآن الكريم واللغة العربية بالقدر المستطاع ، وبالوسائل البسيطة ؛ ومن ثم تنامى هذا الشعور إلى درجة أصبح معها اكبر من طاقة واوقات الطلبة والمبتعثين الذين أدوا دورهم - ولا يزالون - على افضل ما يمكن ، وكان لا بد من ان ياخذ الأمر وجهة مدروسة ، وجهوداً منظمة . وفي اعتقادنا انه لا بد من إزالة الأسوار المصطنعة ، سواء منها الأسوار التي تتحكم فيها النزعات الإقليمية ، او الولاءات السياسية ، او النظرات الحزبية الضيقة ، والّا تكون فرص الحرية المتاحة في الغرب مناخاً لنمو الخلافات وتفاقم الخصومات التي لم تسمح انظمة الحكم في بلدان العالم الإسلامي بظهورها ، فتحمل إلى هناك ، وتنمو في مناخ الحرية ، فتاكل الجهد والأجر والعمر جميعاً بدل ان يكون فرصة لإنضاج عمل متقدم ، ونمو بذور مثمرة وعطاء مستمر للقضية الإسلامية ؛ وفي اعتقادنا انه فيما لو أزيلت هذه الأسوار فالفرصة كبيرة لالتقاء العقول المهاجرة النابغة التي تحتل مراكز متقدمة في تلك المجتمعات مع السواعد العاملة في الجالية فيكون عطاؤها كبيراً ، وكسبها عظيماً للقضية الإسلامية .

وقد تكون المعادلة الصعبة والسؤال المطروح اليوم على ساحة العاملين للإسلام في أوروبا وامريكا ، والذي تتوقف على الإجابة عليه اهمية بالغة ، ما يلي : إذا سلّمنا بان الكثير من العقول النابغة والخبرات العالية هجرت العالم الإسلامي إلى اوروبا وامريكا بسبب من الاستبداد السياسي ، والظلم الاجتماعي ، وتقديم اهل الولاء والثقة ، ومطاردة اهل الخبرة ، وعدم إتاحة الفرصة امامهم للعطاء والإنتاج ، فاين اثر وتاثير هؤلاء في المجتمع الاوروبي والامريكي ، وهم على هذه الدرجة من النبوغ والاختصاص إذا ما قورنوا بغيرهم ؟ هل يعود ذلك العجز إلى بنائهم الثقافي الذي جعل منهم كتباً علمية متقدمة وادوات للتحكم الغربي الأوروبي ، فلم يستطيعوا وضع تخصصاتهم في خدمة قضاياهم فجاؤوا ثمرة عملية لازمة لفصل الدين عن الحياة التي سادت عالم المسلمين ؟ او هل يعود السبب إلى المؤسسات الإسلامية نفسها التي جاءت نسخة عن واقع العالم الإسلامي ، وسقط بعضها في الأخطاء نفسها التي ياخذها على الآخرين من التحزب وتقديم اهل الثقة على اهل الخبرة ، واستنزاف الجهد والطاقة في النزاع حول الأشخاص بدل العمل للقضية الإسلامية ؟

امر مطروح لا بد من مناقشته والوصول إلى حل ، وقد نعود إلى مناقشة هذه القضية مستقبلاً إن شاء الله .

فالانتصارات العاطفية للقضية الإسلامية هناك قد لا تجدي فتيلاً ، حيث التحديات كبيرة وكثيرة جداً ، ومحاولات اختراق العمل الإسلامي والانحراف به اصبحت لها مؤسسات وجمعيات واشخاص محترفون ومؤهلون لهذه المهام سواء اكانوا من سكان البلاد نفسها ام استوردوا من العالم الإسلامي لاداء مثل هذه المهام ... ولسوف نتابع في عدد قادم - إن شاء الله - شيئاً عن واقع العمل الإسلامي ومتطلباته .

أين الخلل؟

قضية للمناقشة

في العمل الإسلامي الرسمي

بقلم : الدكتور عباس محجوب

■■ في مقالي الأول عن جوانب الخلل في العمل الإسلامي ذكرت أن العمل الإسلامي يسير في خطين ، أحدهما : تطوعي لا ينتمي لحكومات أو هيئات إسلامية تمثل الحكومات ، وقد تحدثنا عنه ؛ والثاني : وظيفي تقوم به مؤسسات تابعة لحكومات ، أو منظمات تمثل الدول الإسلامية ، ولا يشك أحد في أن هذه المؤسسات الإسلامية الرسمية اقتضتها الحاجة إليها ، وهي تقدم كثيراً من الخير والعطاء مما يعجز العمل التطوعي بإمكاناته المحدودة أن يقدمه ، ومن أهم ما تقدم هذه المؤسسات ما يلي :

(١) معونات مالية دائمة ، أو هبات للتجمعات الإسلامية والجماعات والمؤسسات الإسلامية .

(٢) إنشاء المراكز والمدارس ، وبعض المؤسسات التي يُحتاج إليها في بعض البلاد .

(٣) إرسال الدعاة والمدرِّسين إلى أنحاء مختلفة في العالم .

(٤) إقامة مراكز ومكاتب لها في بعض البلاد لأغراض متعددة ، منها : الدعوة ، والإشراف على عمل الدعاة ، أو تمثيل المنظمة نفسها ، أو توزيع الكتب والمراجع الإسلامية .

(٥) تهيئة الدعاة في معاهد ، أو جامعات إسلامية ، أو دورات دراسية .

(٦) الاهتمام بالشؤون العامة للمسلمين ، سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية في حدود ما يُسمح لها به .

وبعيداً عن المناقشة الفكرية النظرية أودّ أن أطرح بعض الملاحظات في سلبيات هذا العمل ونواحي الخلل فيه ، من خلال تجربتي الشخصية ، ومشاهداتي في مجال العمل الدعوي ، وقد أتاح الله سبحانه وتعالى لي ظروفاً تمكنني من إبداء هذه الملاحظات التي سبق أن كتبت بعضها في صحيفة « المدينة » التي تصدر في جدة ، قبل عامين أو أكثر ، ولأن العمل الإسلامي الرسمي يهم كل مسلم لأنه يمثله ، فما كان منه خيراً فرحنا به ودعَّمناه ، وما كان نقصاً فيه عملنا على إبداء الرأي فيه لثقتنا بإخلاص الكثيرين ممن يعملون فيه ، ويخططون له ، ويقودونه . ■■

أولاً ـ المعونات المالية :

بالنسبة للمعونات المالية التي تقدم للقائمين على العمل الإسلامي في البلاد المختلفة يلاحظ أن كثيراً منها تقدم لجماعات تتبنى اتجاهاً فكرياً في العمل تعلم أن هذا الاتجاه سيجلب لها المال والدعم الأدبي ، وتقدم أحياناً لأفراد يكون لهم حق التصرف فيها ، الأمر الذي يعمِّق الخلاف بين الجماعات ، ويفتح الباب أمام الطعن في الأشخاص واتهامهم ، وقد توضع الثقة أحياناً في أناس مع وجود من هم أفضل منهم ، ولا أزال أذكر امرأة نصرانية قابلناها في الفلبين ذاهبة للعمل في بلد إسلامي ، وتحمل شهادة بأنها مسلمة ، وبأنها تلقت دراسات في الإسلام أساسية ، وقد ذكرت أنَّ الذي كتب لها الشهادة شخص تثق فيه الدولة التي ستعمل فيها مقابل مبلغ من المال ، ثم قالت مستخفة : « انتم العرب تطلبون منَّا أن نخدعكم بشهادات ، وإنها مع ذلك ستبقى على دينها » .

وواقعة أخرى ، فقد اطلعت على تقريرين كتبا عن شخص في بلد أفريقي وهو ممن

■ ميزة هذه المناقشة أنها تفسح المجال لوجهات النظر المتنوعة ، حتى المتعارضة منها أحياناً ، ليتحقق للمسلمين بشكل عام ، وللعاملين في الحقل الإسلامي بشكل خاص رؤية خصبة لجميع جوانب الأزمة التي يعاني منها الواقع الإسلامي .. وليبصروا ما يدور بعقل النخبة ، أو من يسمون بالقيادة الفكرية ، من طرائق للعلاج .

ونعود إلى التذكير بأن لامجال للتخوف على القضية الإسلامية من الحوار وبيان العلل والأمراض التي يعاني منها الجيل المسلم بحجة أن ذلك يسهل على الأعداء مهمتهم في حربهم للإسلام والمسلمين ، وإنما التخوف من إلغاء الحوار واستبقاء الأمراض التي تمكن للعدو منا على كل حال ... ولو أخذ المسلمون هذا في اعتبارهم تاريخياً لتعطلت كل حسبة ، وانطفأت كل فاعلية ، وغابت كل رقابة ، ولانقلب العمل الإسلامي إلى لون من الكهانة وضرب من التعصب يساهم في الابقاء على الأخطاء ، وحماية الانحراف .. والله تعالى يقول : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ... ﴾ (التوبة : ٧١) ■

[التحرير]

يقومون بالعمل الإسلامي العام ، وينشىء المدارس الإسلامية ، وتريد بعض المنظمات والجامعات أن تدعمه ، أحد التقريرين أثنى على جهوده في الدعوة ومحاربته للبدع وأعماله العظيمة في هذا السبيل ، بينما اتهمه التقرير الثاني بما يطعن في أمانته وصدقه ، ومن كتبا ذلك من الأشخاص الذين ترسلهم هذه المنظمات وتثق في تقاريرهم ، وكلا التقريرين نبعا من مدى العلاقة الشخصية بمن كتب عنه .

ثانياً ـ الدعاة المبتعثون :

بالنسبة للدعاة المبتعثين من قبل الهيئات الإسلامية يلاحظ أن توزيعهم لا يخضع لأسس فنيَّة يمكن أن تعود بالنفع المرجوّ من عملهم ، لأن الاعتبارات التي يوزع الناس على أساسها تخضع لاعتبارات مختلفة تأتي مصلحة الإسلام في ذيلها ، ومراعاة الاعتبارات الثقافية والتاريخية والجغرافية والسياسية للمنطقة التي يبعث إليها الداعي أمر مهم في نجاح هذا العمل ، ومثالاً لما أقول ، فإن الدعاة الآسيويين يواجهون بعض المشكلات بالعمل في أفريقيا لارتباط ذلك بالخلفيات السياسية لتلك الشعوب ، وبأيام الاحتلال الأجنبي والاستنزاف الاقتصادي لأفريقيا ، وما لم ينتشر الإسلام بصورته الصحيحة فستظل مثل هذه الحساسيات معطِّلة لجهود العاملين ، والمعروف أنّ أنسب الدعاة لأفريقيا هم أبناؤها ، ولآسيا كذلك خضوعاً للاعتبارات السابقة ، أما بالنسبة لأوروبا وأمريكا وبعض البلاد فإن الأمر يختلف ، والأولويات تختلف ، والدعوة هناك بحاجة إلى نوعية مختلفة بمؤهلات تمثل اللغة واحدة منها وليس كلها .

ثالثاً ـ الأجهزة الإدارية :

هذا العمل الرسمي تشرف عليه أجهزة إدارية ضخمة ، تصرف عليها أموال كثيرة جداً ، كما يصرف على الدعاة أموال كثيرة ومكافآت تتفاوت بجنسياتهم لا بعطائهم ، ويكاد بعض الدعاة لا يستقرون في مكان إلَّا ليستعدوا لمكان آخر ومع ما يغدق عليهم وعلى شكليات العمل الإسلامي فإن مردود العمل الذي يقومون به ضعيف لا يساوي ثمن تذكرة من قطر عربي إلى آخر ، لأن الأمر في النهاية لا يخرج عن المعادلات التي يقوم بها بعضهم في ميدان الدعوة والعمل الإسلامي بين من يملكون المال ، ومن تسلحوا بالعلم والفقه ، وكل يحاول أن يكمِّل نقصه بما عند غيره ، لذلك امتلأت ساحة هذا العمل الرسمي بأناس « قليلي الفقه ، كثيري النشاط ، ينطلقون بعقولهم الكليلة ، يُسيؤون ولا يحسنون » كما قال فيهم الشيخ محمد الغزالي : وهؤلاء الدعاة فيهم الكثير ممن لا يعرفون طبيعة العمل الإسلامي ، وطبيعة التعامل مع المخاطبين ، وبيئاتهم وظروفهم ، والمتغيرات التي تعم العالم ، والأولويات في مجال الدعوة وموضوعاتها ؛ إذ أن كثيراً منهم يتسبَّب دون قصد في إحداث بلبلة بأفكار الناس وعقائدهم ، كما أن أغلبهم لا يزال يعالج قضايا علم الكلام ، باعتبار هذه القضايا هي مجموعة التحديات التي تواجه المسلم المعاصر ، وإذا ما تعرَّضوا لمناقشة الفكر الشيوعي الإلحادي ، أو الوجودي المتحلل كان النقاش هو سبّ الشيوعية ولعنها ، وتوعّد معتنقيها بالنار دون التعرض للأسس الفلسفية التي تقوم عليها النظرية الماركسية ، والتي أدَّت إلى وصفها بالإلحاد ؛ والسبب في الأمر معروف وظاهر .

وفي موضوع آثار جهل الداعية بالبيئة التي يدعو فيها ، وخلفيات هذه البيئة أذكر قصة بعثة أرسلت إلى نيجيريا عام ١٩٨٠م فيها عدد من الأساتذة ، ونيجيريا من الدول التي انتشر فيها الإسلام عن طريق الصوفية ، ولبعض المسلمين هناك خرافات ومعتقدات قد تؤدي إلى نقض الشهادتين أحياناً ، وفيها أناس لهم وعي بالإسلام طيب ، وسلامة في العقيدة والفكر والاتجاه ، ومثل تلك المجتمعات يحتاج المتعامل معها إلى ذكاء وحكمة ، ومعالجة الموضوعات التي لا تثير الجدال والشقاق ، والتي يمكن من خلالها أن يقتنعوا بالصواب والخطأ فيما هم عليه ،

في العمل الإسلاميّ الرّسميّ

وقد اتفقنا في تلك المهمة على عدم إثارة الموضوعات التي تؤدي إلى الفرقة أو الإساءة حتى يقوم التعامل على جو من الحب والثقة والاطمئنان ، ومع ذلك أثار بعضهم في أول لقاءاتهم مع الشباب هجوماً على الصوفية ، وطعناً في صحة عقائد الناس ، وقضايا كلامية أثارت فتنة وجدالاً ، ولولا عناية الله ولطفه لحدث الكثير ، ونتيجة لمثل هذه المشكلات ذكر لي عدد من الأفراد في بلاد مختلفة أن أغلب الدعاة الذين يأتونهم من المنظمات الإسلامية لا يرددون إلَّا كلمة : حرام ، في كل أمر من أمور الحياة ، وكل شأن من شؤون البشر لا يقع تحت خبراتهم ومعلوماتهم وقياسهم .

وهناك نوع آخر يتميز بسعة الأفق والعلم والمعرفة ، غير أنَّ القيود الوظيفية والاعتبارات الدنيوية تحدّ من انطلاقهم وانفتاحهم ، واستفادة النَّاس من آرائهم وعلمهم ، وتبيان رأي الدين في كثير من المشكلات التي تقلق بال المسلمين عامة ، والشباب خاصة ، وخاصة فيما يتعلق بنظام الإسلام السياسي ، وقضايا الجهاد والمال وغير ذلك مما يعتبره الدعاة داخلاً في مجال الحساسيات والمحاذير .

إن « مناخ الدعوة » حَينما يكون ملائماً ، يتيح لها من الحرية والانطلاق ما هو شرط ضروري لازدهارها وإيجابيتها ، وحينما يكون هذا المناخ غير مُواتٍ بما يسوده من كبت وتقييد تفقد الدعوة أول شرط لحياتها ، وتصبح مختنقة محبوسة الأنفاس .

حينما قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾ (الجن : ١٨) ، فقد قرر حق الدعوة بحرية مطلقة لا قيود عليها ، وأوجب على الدعاة ألَّا يذعنوا لأي نوع من أنواع الضغط أو التوجيه الذي ينال من تجردهم للغاية التي جنّدوا أنفسهم لها »[1] .

إن تبعية أجهزة الدعوة لبعض الجهات الرسمية أفقدها القدرة علَى الحركة الحرَّة ، والمردود الناجح ، والتأثير الفعال بالأمم والشعوب والقادة ، والمؤسف أنَّ الأجهزة الإسلامية لا تخضع لتوجيهات السلطة العليا في الدولة فحسب بل تخضع لعدد من الوزارات تتحكم فيها وتوجهها وتحدّ من حريتها وتعطيها الفتات من المال ، وقد تضع لنظامها المالي قيوداً غير إسلامية ، فأصبح الدعاة الرسميون في خشية على مناصبهم ، وخضوع تام لما يوجَهون إليه ، حتى أصبحوا مثل غيرهم من موظفي الخدمة المدنية يبذلون جهداً كبيراً في إرضاء موجّهيهم ، وفي سعي وترقب لتحسين أوضاعهم الوظيفية ومكتسباتهم المالية مما جعلهم في كثير من المسائل بين أمرين : إمَّا أن يرضوا الله ويُسخطوا خلقه ويصدعوا بكلمة الحق ، وإمَّا أن يرضوا رؤساءهم وما أقرّوه أو شرعوه مع البحث عن المبررات والأدلة والآيات والأحاديث التي تسوغ مواقفهم ، ولذلك فقدت أغلبية هذا القطاع ثقة العامة قبل الخاصة ، وأضاعوا عزَّة الداعية ، وقوته وشجاعته ، وعن هذه النوعية يقول الأستاذ سعيد الأعظمي رئيس تحرير « البعث الإسلامي » عن « رجال عاملين في الحقل الإسلامي لم يكونوا ناضجين في الفكر والتربية ، أو لم يظفروا بالوسط الذي يتلقون فيه التربية للقيام بهذه المسؤولية وأداء واجب الدعوة على الوجه المطلوب ، فلم يكن عندهم علم بما يجب على الداعي من الانصباغ الكامل بصبغة الورع ، وما كانوا يعرفون للتعفف أهمية في حياتهم ، فإذا بهم يستغلون موقفهم من العمل الإسلامي ، وينتهزون الفرص للتمتع بالأرباح المادية ، والمنافع الشخصية دون مبالاة بما إذا تضررت برامج الدعوة بهذا الاستغلال وخسرت الدعوة فرص العمل والنجاح في مجتمع بأسره[2] .

إن العمل الرسمي بحاجة إلى مواجهة

■ المنح التي تقدمها الجامعات الإسلامية لأبناء المسلمين في العالم لا تتعدى العشرات بينما نجد دولة صغيرة مثل « كوبا » تمنح « موزمبيق » قبل أعوام قليلة أربعة آلاف منحة لتتحول موزمبيق إلى دولة شيوعية في أفريقيا وميزانية « كوبا » كلها لا تزيد عن ميزانية بعض بلديات المدن العربية الكبيرة . ■

■ المعسكر الاشتراكي يقدم المنح بالآلاف لأبناء المسلمين الذين يعودون لقيادة بلادهم في الوجهة التي تخالف تاريخهم وعقائدهم . ■

■ أرسلت الكنيسة العالمية من « روما » شاباً إيطالياً حديث التخرج في الجامعة جاء إلى إحدى القبائل الكينية الكبيرة وعندما وصل إليهم لم يتحدث معهم بالإنكليزية أو السواحلية .. فقد أدهش الناس عندما بدأ يتحدث إليهم بلغتهم المحلية . ■

التحديات الداخلية التي تعوق مسيرته ، وتكبل خطواته ، وتعدد اتجاهاته ومصادر توجيهه والإشراف عليه ، ولن يتم ذلك كله ما لم يجرد العاملون فيه جميعاً نيتهم لله ، وأن يعملوا على ممارسة حرية الداعية في العمل مع الالتزام بقيم الإسلام ، وسمو سلوكياته ، وآداب الدعوة وعزَّة الدعاة .

رابعاً - تهيئة الدعاة وإعدادهم :

هذه المسألة تأتي على قمة المشاكل التي تواجه العمل الدعوي الرسمي ، وبما أنَّ الجامعات الإسلامية هي التي تقوم بالمهمة الأولى في إعدادهم إلَّا أننا لا نجد ضعفاً في العمل الإسلامي عامة كما نجد في الدعاة الذين ينتشرون في أنحاء كثيرة عن العالم ، وإذا وجدت داعية مفيداً للناس ، قدوة في السلوك والعمل ، تجده قد أعد في مجال العمل غير الرسمي .

هذه الجامعات تحتاج إلى أن تحدث فيها تغييرات ضخمة ، وقبل ذلك أن تكون أهدافها خالصة لله ، موجهة لخير المسلمين ، وأن تكون القيم الإسلامية هي التي تحكم لوائحها وقوانينها ونظامها .

ويكفي أن ننظر إلى المنح التي تمنحها الجامعات الإسلامية لأبناء المسلمين في العالم إذ لا تتعدى العشرات التي تقلَّصت الآن كثيراً بينما نجد دولة صغيرة مثل « كوبا » تمنح « موزمبيق » قبل أعوام قليلة أربعة آلاف منحة ، لتتحول « موزمبيق » إلى دولة شيوعية في أفريقيا بينما لا تزيد ميزانية « كوبا » عن ميزانيات بعض بلديات المدن العربية الكبيرة ، هذا غير المنح التي يمنحها المعسكر الاشتراكي بالآلاف لأبناء المسلمين الذين يعودون لقيادة بلادهم في الوجهة التي تخالف تاريخهم وعقائدهم ، وكل ذلك نتيجة الأوهام والقيود التي تكبل طريقنا وتضيِّق نظرتنا للأمور ، بينما ينطلق العالم لخدمة معتقداته الباطلة بعقليات متفتحة ، ونظرة مستقبلية صائبة ، وتخطيط علمي عقلي مدروس .

وأصحاب المذاهب الأرضية أحرص من المسلمين على الاهتمام بقيمة وجود الشخص في الجماعة بحيث لا تفرط فيه ، وتتغاضى عن كثير من أخطائه وهفواته ، ثم تعمل بوسائل مختلفة على جعل سلوكه وتفكيره متمشياً مع خط الجماعة وأهدافها ، فالشباب المسلم إذا ارتكبوا أخطاء عوقبوا بعقوبات تتعارض مع اتجاه الإسلام في معالجة الأخطاء وتوجيه المخطئين ، فالشباب ليسوا بحاجة إلى التوبيخ ومحاضرات الأخلاق ، والزجر ، والإحباط المستمر قدر حاجتهم إلى حسن التوجيه ، وإحسان المعاملة ، والحكمة في المعالجة بالمنطق والحب والعقل ، وقصة الرسول ﷺ في معالجة الخطأ الذي ارتكبه الصحابي الجليل « حاطب ابن أبي بلتعة » معروفة للجميع ، وكذلك قصة الشاب الذي جاء إلى الرسول ﷺ يطلب الإذن بالزنا وكيفية معالجة الرسول عليه الصلاة والسلام الموقف بالحب والإقناع والحجة معروفة كذلك ؛ ومثل ذلك كثير في كتب السيرة ، وكلها تحدد للمسلمين الطرق والوسائل لمعالجة أخطاء البشر وتوجيههم بما يعيدهم أقوياء إلى حظيرة الجماعة المؤمنة .

إنَّ إعداد الدعاة إعداداً ثقافياً وعلمياً من الأمور الهامة في تكوين المسار العلمي للداعية ، ولكن الأهم من ذلك كله هو الإعداد الخُلُقي الذي يمثل بالنسبة له الحصانة القوية من كل الاهتمامات البشرية الصغيرة ، والغايات العاجلة في الحياة ، والاستسلام غير اللائق لأنظمة البشر وأهدافهم وقوانينهم مهما كانت المبررات ، وعن هذا الإعداد الخُلُقي يقول الدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله : « هذه التربية العملية للدعاة على قيم الإسلام ومثله ، وعلى شرائعه وشعائره ، وعلى مفاهيمه وعقيدته ، لا يغني فيه التلقين ، ولا المعرفة النظرية ، بل لا بد لاستكمال هذا الجانب الخطير من تغيير جذري يمسّ فلسفة الإعداد ، ويعدِّل من المناهج والأساليب ، ولن يتم ذلك إلَّا بأن يتم الإعداد والدراسة والتربية من خلال حياة متكاملة ، يتخلَّق كل العاملين في إطارها بخُلُق القرآن ، ويلتزمون التزاماً كاملاً بتطبيق الإسلام : شعائر وآداباً ، وقيماً وضوابط للسلوك ، بحيث يترجم ما يدرسه الطالب نظرياً إلى حياة وممارسة » ثم يتساءل الباحث رحمه الله : « هل تصلح معاهد إعداد الدعاة الحالية لهذا اللون من التربية ؟؟ بالقطع هي لا تفي بهذا ، ولم تصمم مبانيها ، ولا مناهجها ، ولا فلسفتها على هذا الأساس »[٣] .

والحق كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي : « إنَّ المؤسسات الدينية الرسمية - على أهميتها وعراقتها وسعة قواعدها - لم تعد قادرة على القيام بهذه المهمة المنشودة منها ما لم ترفع السلطات السياسية أيديها عنها ، وعن اتخاذها أداة لتأييد خطواتها ، ولساناً للثناء على مواقفها ، وعن تقريب رجالها وإبعادهم ، تبعاً لموافقتهم على هذا النوع من السلوك أو

أين الخلل ؟ في العمل الإسلامي الرسمي

قضية للمناقشة

رفضه .

إن المؤسسات الدينية الكبرى في عالمنا الإسلامي تستطيع أن تسهم بدور إيجابي في توعية الشباب ، وتثقيفهم ثقافة نقية من الشوائب والفضول إذا ترك أمرها لأهلها ، ولم يُدِرْها رجال السياسة في فلكهم ، تشرّق معهم حيث يشرّقون ، وتغرّب حيث يغرّبون ، وإلَّا فرغت من خيرة أبنائها ، وصفوة علمائها وبهذا تبقى هيكلاً ضخماً بلا روح ولا حياة »[4] ولا أتفق مع أستاذنا الدكتور القرضاوي على أن هذه المؤسسات تفرغ من خيرة أبنائها لأن رجال السياسة يعرفون كيفية تسخير هؤلاء وإخضاعهم ، وشغلهم بالمناصب الكبيرة ، والامتيازات المادية ، والوجاهات التي تجد مبرراً عند الكثيرين إلَّا قلة قليلة لا تمثل ظاهرة في هذا المجال الذي أصبح رواده في تزايد مستمر ، ومكتسباته مغرية ، وأرباحه كبيرة ، والتجارب العملية ، والمعايشة الواقعية اللصيقة تكشف الكثير من تناقض الأقوال والمواقف ، وانحرافات السلوك والأفكار ، ومظاهر الاستغلال واعوجاج الخُلُق وغير ذلك مما لا يطلع عليه إلَّا من أتيح له أن يعرف ويعايش ، ويسمع ويرى .

خامساً ـ اختيار الدعاة للعمل الإسلامي :

تتحكم عوامل كثيرة في اختيار الدعاة ، منها :

* فقههم لدين الله ، وتطبيقه في سلوكهم .
* معرفتهم بمن يدعونهم معرفة تشمل حياتهم وتاريخهم واحتياجاتهم .
* معرفتهم بالظروف الاجتماعية والخلفيات الثقافية ، والمكونات الأساسية للمجتمع الذي يدعون فيه .
* معرفتهم لغة من يدعونهم وطرق تفكيرهم ، ومدى ارتباطهم بدينهم .
* توفر القدرات والإمكانات الثقافية والفكرية والعاطفية للداعية .
* قدرة الداعية على التأثير والتوجيه دون إيذاء أو تجريح .
* إخلاص النيَّة وصدق العمل وسلامة التوجه ، وغير ذلك مما لا مجال لاستقصائه وحصره .

■ إنَّ العمل الإسلامي الرسمي بحاجة إلى مواجهة التحديات الداخلية التي تعوق مسيرته ، وتكبل خطواته ، وتعدد اتجاهاته ومصادر توجيهه ، والإشراف عليه ، ولن يتم ذلك ما لم يجرّد العاملون فيه جميعاً نيتهم لله . ■

هذه الصفات الجزئية نفتقدها كثيراً في العمل الإسلامي الرسمي حيث إن أغلب الدعاة موظفون يتحركون في حدود وظيفتهم ، ويعطون بالقدر المادي الذي يأخذونه ، ولا تتوفر فيهم معظم الصفات السابقة ، وأذكر لذلك كله أمثلة من الواقع ، فقد تحدث إليَّ شاب في « نيروبي » عاصمة « كينيا » بعد محاضرة لي عن « مستقبل الإسلام في أفريقيا » وناقشني في أمر الدعاة الذين يرسلون من العالم العربي ، وذكر أنه التقى بواحد منهم جاء للدعوة في « كينيا » ولٰكنه كان يجهل الإنجليزية ، ويجهل اللغة السواحلية لغة أهل البلاد ، وذكر أنَّه أحسَّ بأن هذا الداعية بعيد عنه وهو المتعلم المثقف فكيف به مع عامة الناس !! بينما ارسلت الكنيسة العالمية من روما شاباً إيطالياً حديث التخرج من الجامعة ، جاء إلى إحدى القبائل الكينية الكبيرة ، وعندما وصل إليهم لم يتحدث معهم الإنجليزية أو السواحلية فقد أدهش الناس حينما بدأ يتحدث إليهم بلغتهم المحلية ، هذا المثل ينطبق على كثير من الدعاة المنتشرين في افريقيا وآسيا ، ولو كان الذين بعثوهم اهتموا بتأهيلهم وتعليمهم في فترة دراسية لغة من سيتعاملون معهم حتى في صورتها الأولية لما أحسّ الناس فرقاً بين دعاتنا ومبعوثي الكنائس ، بل لو كانت الهيئات الإسلامية تهيىء لكل منطقة دعاة من أبنائها الذين يفهمون بيئاتهم وطبيعة مجتمعاتهم ، ونفسيات أهليهم لكان في ذلك خير كثير للدعوة ، وتوجيه اقتصادي سليم لأموال المسلمين الضائعة باسم الدعوة دون جدوى . والذين ذهبوا إلى كثير من البلاد الأفريقية يعرفون أن في أبنائها دعاة مخلصين متفانين في خدمة الدعوة ، وتعليم الدين ، وفيهم عدد من خريجي الجامعات ، فلماذا لا يفرغ مثل هؤلاء للدعوة ، وهم خير من يتولى أمرها مع تحديد نوع التنظيم والبرامج التي يمكن تنفيذها وقياس النتائج على أساسها ؟

■ الشباب ليسوا بحاجة إلى التوبيخ ومحاضرات الأخلاق والزجر والإحباط المستمر قدر حاجتهم إلى حسن التوجيه وإحسان المعاملة والحكمة في المعالجة . ■

الدعوة خارج العالم العربي تحتاج إلى مفهومات واسعة وفكر مستنير ، وإلى تحرر من اثقال الجاهلية بمفهوماتها الضيقة ، ومحدوديتها ومحاذيرها ، فالعالم خارج عالمنا العربي المنغلق شيء آخر ، وفكر آخر ، وهموم اخرى ، حدَّثني عدد من الطلاب في بعض المدن البريطانية التي ذهبت إليها لالتقي بهم ، ان داعية كبيراً ، ومؤلفاً إسلامياً القى عدداً من المحاضرات في بعض تجمعات الطلاب المسلمين هناك ، وكان حديثه مفيداً جميلاً ، ولكنه كان يخرج من كل محاضرة غاضباً ساخطاً لأن الطلاب يناقشونه في بعض التناقضات الظاهرة في بلده بين الشعارات الإسلامية المعلنة ، والواقع البعيد عن الإسلام ، وفي السياسات الممارسة في بلده في تدعيم الكفار ، وإهمال الدول الإسلامية وغير ذلك من القضايا التي اتاحت النقاش فيها هناك اجواء الحرية الفكرية ، والصراحة في تناول الأمور بعيداً عن المحاذير السياسية وألوان النفاق المختلفة ، وبعيداً عن الاعتبارات التي تكبل العقول والقلوب والأفهام . وقد كان المحاضر معذوراً في سخطه وغضبه حيث لم يتعود تلك المواجهات ، ولم يعرف الراي المغاير او المخالف في حياته ، وظن ان الأمور كلها كما تعوَّد عليها مسلَّمات لا تقبل المناقشة او الرفض ، وطاعة عمياء وانقياد للبيانات ، وان الآيات والأحاديث لتبرير ذلك كله جاهزة عند اللزوم .

سادساً ـ فقدان العمل الإسلامي للمعلومات الأساسية والعطاء والمظهر :

يفتقد العمل الإسلامي الرسمي المعلومات الأساسية التي يبنى عليها العمل ؛ ليس في الناحية الإحصائية فحسب بل في النواحي الأخرى التي تشمل أرضية انطلاق العمل الإسلامي ، فأغلب المعلومات عن المسلمين تنقصها الدقة والتحليل والدراسة الميدانية ، والوسائل التي تجمع بها المعلومات مؤقتة وشخصية ، بينما نلاحظ أن الكنيسة تحفظ إحصاءات ودراسات دقيقة عن كل بلد في العالم من حيث عدد المسلمين وغير المسلمين والنصارى ، وإمكانات الدعوة للتنصير فيها ، والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وإلى أي مدى يمكن الاستفادة منها وتسخيرها لأهدافهم ، واحتياجات المجتمعات وكيفية ربطهم بالكنيسة وجعل علاقات دائمة معها وأضرب لذلك مثلين :

● أحدهما من « الفلبين » حيث دمّر الجيش هناك مدينة (سوكو) التي هجرها من بقي فيها من الأحياء إذ ضربت براً وبحراً وجواً وعلى انقاض تلك المدينة جاء قس ليعيد بناء المدينة الإسلامية مستفيداً من الموارد المحلية فبنى ثلاثة آلاف بيت وملّكها للمسلمين بأقساط لمدة خمس وعشرين سنة ، وبنى لهم مدرسة وكنيسة ، ومعنى هذا أن تتنصّر المدينة كلها وترتبط بالكنيسة مع أن رجلاً واحداً من أضعف أثرياء المسلمين يمكنه بناء تلك المدينة حيث تقام المباني من الخشب هناك ، وهذا هو مجال عمل المنظمات والهيئات الإسلامية بدلاً من الهبات المتقطعة ، والبيانات السياسية التي تدين وتستنكر وتفتي أحياناً .

ولا أزال أذكر ان مبلغ أحد عشر ألف دولار جمعها المصلون في جمعة واحدة في دولة قطر عام ١٩٨١م كانت سبباً في إعادة تعمير سبعة وثلاثين مسجداً في قرى المسلمين ومدنهم في الفلبين .

● ثانيهما : من « مالاوي » الدولة الأفريقية التي كانت نسبة المسلمين فيها ٦٠٪ ووصلت الآن إلى ٢٠٪ فقد عقد فيها مؤتمر الشباب المسلم لدول أفريقيا الجنوبية في أبريل ١٩٨١م وذهبنا لتفقد قرى المسلمين في الجبال والوديان وكانت القرية الواحدة كلها تملك مصحفاً واحداً ينتقل كل يوم من بيت إلى آخر ليقراه أهل البيت ، وليكون ذلك اليوم عيداً لهم ، لهذه الدولة ارسل وفد رسمي من ثلاث هيئات إسلامية ، واحدة منها جامعة إسلامية ، وكما حدثنا الإخوة هناك نزل الوفد في أفخم فنادق العاصمة القديمة وارسلوا مرافقاً لهم يقوم بالترجمة ليجمع أصحاب المدارس والعاملين في الهيئات الإسلامية وعندما حضروا طلبوا إليهم أن يزوِّدوهم بالمعلومات ويكتبوا احتياجاتهم دون أن يغادر الوفد الفندق إلى المؤسسات والمنشآت الإسلامية التي كتبوا عنها تقاريرهم ، والمعروف أن كثيراً من الدعاة لا يغادرون المدن الكبيرة ولا يختلطون بالناس ولا يعايشونهم ، ويحافظون على مستوىً من التعامل يجعل الفارق بينهم وبين من يدعونهم كبيراً بينما يتنقَّل القساوسة في القرى والأدغال يواسون ويعالجون ويطعمون ، وكلٌ يملك سيارة قوية تتيح له التنقل والعمل بإخلاص وحب لما يعمل له ، بينما يشكو الدعاة من ضعف أجورهم وتأخرها بالشهور وعدم إظهارهم بمظهر يليق بدعوتهم ، ويجعل لهم مكانة في أعين الناس والسلطات هناك .

إنَّ نجاح العمل الإسلامي في العالم مرتبط بالصورة التي يقدّم فيها وبصورة من يقدّمونه فإذا كانت صورته باهتة ، ودعاته ضعافاً ، وإمكاناته غير رشيدة ، ووسائله متخلفة ، وصوته خافتاً ، والإخلاص فيه مفقوداً فلا فائدة من أجهزة ضخمة ، وشعارات كبيرة ، ولا بد من إعادة النظر ، وتغيير الخطط والعقليات والوسائل حتى نكون كما قال الرسول ﷺ : « شامة في أعين الناس » .

---

(١) الدكتور محمد حسين الذهبي : مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث ص ٣٣ ، من بحوث المؤتمر العالمي الأول لإعداد الدعاة .

(٢) البعث الإسلامي . عدد ذي القعدة ١٤٠٣هـ ـ أغسطس وسبتمبر [آب وأيلول] ١٩٨٣م . ص ٧ .

(٣) مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث : ص ٢٧ .

(٤) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ، كتاب الأمة الثاني : ص ١٩ .

الأدب الإسلاميّ وقضية الإبداع

بقلم : الدكتور نجيب الكيلاني

■■ ينشأ الإحساس بالجمال من صورة كليّة ، تتناسق عناصرها ، وتتآلف ألوانها ، وتنسجم علاقات أجزائها ، فتعطي انطباعاً متميزاً بالرضى والفرح والمشاعر الغنية بالإيحاءات الظاهرة والباطنة ، وقد يكون من الصعب عملياً تحري تفاصيل « الصورة الجمالية » وجزئيّاتها الدقيقة ، سواء الخفية أو التي تبدو للعيان ، لكن القدرات العقلية المحدودة يمكنها أن تلتقط عدداً من السمات أو العلامات التي تقرر بعض المواصفات الجمالية على وجه التقريب ، ولهذا السبب اختلف علماء الجمال ومقنّنوه اختلافاً بيِّناً في هذا المجال المعقد والبسيط في آنٍ واحد ، ولقد حفظ عن رسول الله ﷺ أن « الله جميل يحب الجمال » ، كما أن الخالق جلَّ وعلا ، قد خلق الإنسان ﴿ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ، وأبدعه في أوفق صورة ، فكل شيء خلقه بقَدَر ، وبنظام دقيق متوازن يدل على عظمة الله سبحانه . ■■

ومن يتامل في صنع الله ، ويَجُلْ بنظراته في هذا الكون الشاسع من بحار وأنهار ، وجبال وسهول ، ونباتات متنوعة ، وحيوانات مختلفة ، ذات أشكال وألوان وإمكانات لا حصر لها ، ثم يَجُلْ بين الكواكب والنجوم ، ويَتَملَّ ظواهر الكون العديدة ، وما تحفل به السماء من نشاط ، وما تخفيه الأرض في طياتها من معادن وسوائل وأسرار ، من يتامل هذا كله بقلب مفتوح ، وعقل مفكر ، يخر لله ساجداً شاكراً ، أمام هذا الكمال الأمثل ، والجمال المذهل .

ونقرأ آيات القرآن ، ونستوعب ما فيها من تعبير إلٰهي وتصوير لمختلف المعاني ، ونستكنه سر ما فيها من علاقات بين الحروف والكلمات ، وما تشمله من أحكام وحكم ونظم ، ونلاحظ ما فيها من سلاسة في العرض ، وجمال في السرد ، وإيقاع في النطق ، ودقة في اداء اللفظ لوظائفه ، واكتمال للصورة التي تبين عنها الآية ، فينساب إلى نفوسنا شعور بالاقتناع والإيمان والثقة والجمال ، وقد يتصاعد التفاعل والانفعال فتسيل الدموع ، وتخفق القلوب ، وتسمو الأرواح إلى آفاق زاخرة باشرف المعاني وأسماها ، ومن ثم نرىٰ حتى الكافرين يقولون عنه : إنه ليس بقول بشرٍ ، الا وإن الجمال قد يتجلى في صورة ظاهرة ، أو يضيء من معنى مضمر اي قد تراه العين ، أو تدركه الحواس ، وقد تنتشي به الروح أو ينبض به القلب ، أو ينحني له العقل إعجاباً وتقديراً .. فالقرآن هو المثل الصادق لصور الجمال الظاهر والباطن ، الجمال الذي يسطع على العقل والقلب ويغمر الحواس .

ومع ذلك يرجف المرجفون ، ويزعم الزاعمون ، أن الأيديولوجيات تعوق الإبداع الفني ، وتنال من الشكل لحساب المضمون ، وتتقيد بالالتزام ، وتهدر قيم الحرية التي هي أساس الإبداع ، ويتمادون في غيهم وزيفهم ، ويرفعون لواء العصيان والتمرد في مواجهة القيم الفاضلة ، بحجة الحفاظ على القيم الجمالية للفنون والآداب ، ولو كانوا منصفين حقاً ، لما فاتهم النظر إلى تلك الحقائق الحيَّة النابضة بالخير والحق والجمال ، والمتمثلة في الإعجاز البياني لكتاب الله ، وسنة رسوله ﷺ ، والتراث الأدبي الإسلامي العريق بشتى فروعه وألوانه ، يقول جارودي :

« إن الأدب الإسلامي هو في جوهره أدب الاستشراف والتسامي بالنفس الإنسانية ، إنَّه أدب يستلهم القرآن الكريم في بناء الإنسان ؛ ذلك أن الإسلام يحمل بذور تغيير جذري ، على مستوىٰ الإنسانية كلها ، ولذلك أضفى على التيار الذي سيسود الفكر العالمي ، والأدب الإنساني ، العقيدة السامية ، التي

○ إنَّ القرآن أضفى على التيار الذي سيسود الفكر العالمي والأدب الإنساني العقيدة السامية ، التي لا تكفّ أبداً عن إلهام الفكر والأدب . ●

[رجاء جارودي]

● الذين يعيشون وراء الستار الحديدي يتحدثون عن الحرية ويتغنون بها ، وهم مقيدون بالفلسفة الماركسية المفروضة عليهم بالقهر والتهديد .. والحرية في الرأسمالية خليط من النزوات والرفض والقتل والاغتصاب والتحلل من القيم واستغلال الشعوب .. ●

■ رجـــاء جارودي :
« الأدب الإسلامي أدب الاستشراف والتسامي بالنفس الإنسانيــــة » ■

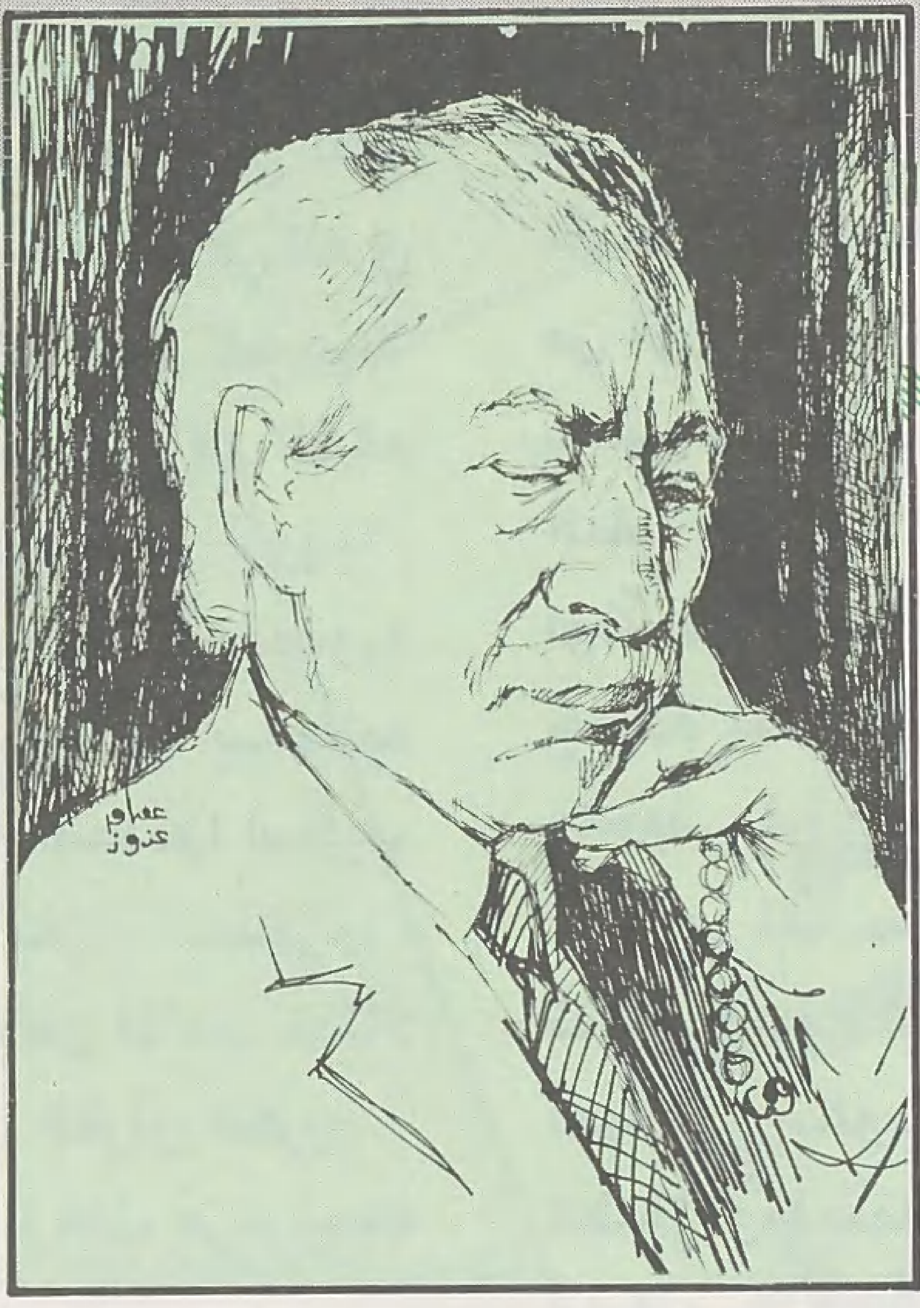

■ توفيق الحكيم :
« كتاب الله يجب أن يكون منشأ شعرنا الحر » ■

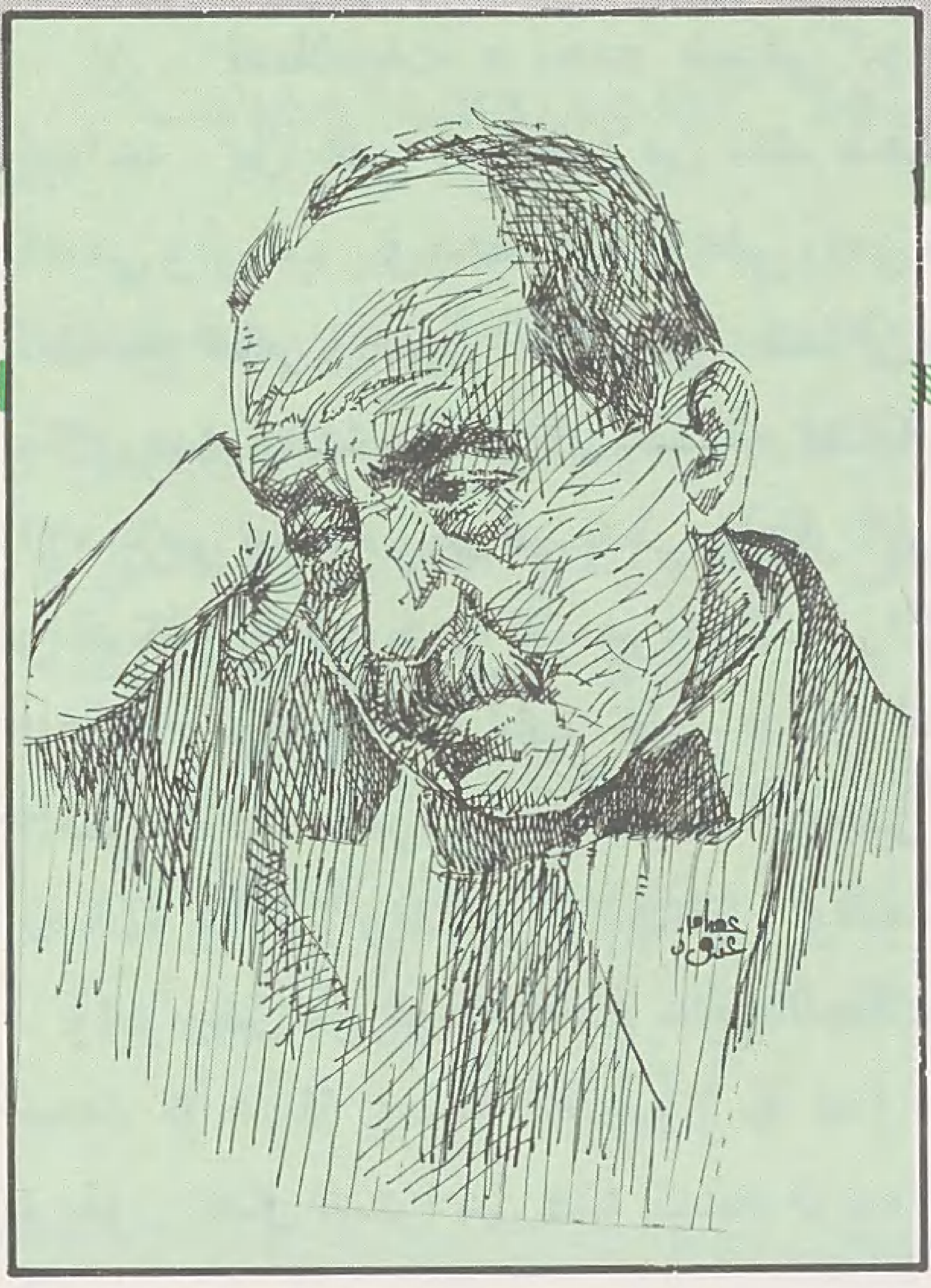

■ أحمد شوقي ... إسلامياته سمت بشعره ، وجعلته يقف على رأس شعراء العربية في القرن التاسع عشر . ■

لا تكف أبداً عن إلهام الفكر والأدب ... » ولقد توقف جارودي أمام نماذج من الأدب الإسلامي في عصور مختلفة ، توصل منها إلى انها جميعاً ، تصدر عن استلهام القرآن الكريم ، وحينما ازدهر الأدب الإسلامي ، كان تأثيره عميقاً في الآداب الأوروبية ، التي قدم جارودي منها نماذج للشاعر الألماني الأشهر « جوتة » في مؤلفه « الديوان الغربي الشرقي » .. ويقول الشيخ محمد متولي الشعراوي : « الإسلام عقيدة تغمر القلب بـالإيمان المطلق بالله ... والحق هو الخير المطلق ، والكمال المطلق .. » .

وإذا كانت الحرية تعني أن يعبر الكائن عن دخيلته بسلوك ظاهر ، أي الخروج من دنيا الجوانح والظلام إلى النور ، فإن المعول في الحرية هي قدرة الحر على مواجهة الصعب ليقهره ، وكيف تكون الفضيلة إذا لم يتعرض الإنسان لإغراء الرذيلة ويقهرها ؟ وقمة الحرية هي قدرة الإنسان على إلجام نفسه ، ليحكمها بدلاً من أن تحكمه .. ويبقى المفهوم الشائن للحرية ، والذي عبر عنه الشاعر الفيلسوف الـدكتور محمد إقبال « بالمجنون الذي دخل بيت الزجاج » ، وكيف تكون الحرية أنانية وتدميراً واجتراء على عقيدة الله ، ومن الغريب أن من يعيشون وراء الستار الحديدي يتحدثون عن الحرية ، ويتغنون بها ، وهم - واقعياً - لا يؤمنون إلا بالحرية في إطار « النظام الشيوعي » والفلسفة المفروضة والقهر والتهديد ، وليس لأحد - من عامة الناس - أن يرفع عقيرته باعتـراض . والحريـة في العالم الراسمالي خليط من النزوات والرفض والقتل والاغتصاب ، والتحلل من القيم ، واستغلال الشعوب الفقيرة ، وتحديد حركتهم في النمو ، وتحجيم قدراتهم ونشاطهم ، والسيطرة على العالم من خلال مؤسساتهم الخفية ، التي تدبر الانقلابات ، وتدمر الاقتصاد ، وتشوه الفكر المتحرر ، وتحاصر القوى الإسلامية مادياً وفكرياً في شتى المواقع ..

الأيديولوجية لا تتعارض مع الإبداع .. تلك حقيقة راسخة مؤكدة لا يصح أن يماري فيها أحد ، وهي مقررة من قديم ، نراها في تراث « أرسطو » حينما تحدث عن الشعر والمسرح ، وتبنتها معظم مدارس الأدب والفن على مدار التاريخ ، وحمل لواءها كبار الكتاب في التاريخ ، ومن العسير أن نجد أدباً لا يعبر عن عقيدة ما ، برغم تباين هذه العقائد واختلافها ، حتى أدعياء « الفن للفن » يصدرون عن فكر معين ، وقناعة خاصة ، حين يؤلفون شعراً أو مسرحاً أو قصصاً ، ولذا فنحن نقرر عن قناعة أن دعوى « الفن للفن » خرافة كبيرة .. وإذا كـان العنصران الأساسيان للأدب هما الفكرة والشكل ، فإن أي أديب يلتزم بفكرة ما ، يحاول أن يبرزها بالشكل الذي يراه ، وليست هناك صورة واحدة ثابتة للشكل ، بل يكاد كل أديب أصيل أن يتميز بإبداعات خاصة في الشكل الذي يختاره ، حتى إننا في بعض

الأحيان نستطيع أن نحكم بأن هذا الأسلوب يغلب عليه أن يكون اسلوب هذا أو ذاك من الكتاب المعروفين ذوي الخبرة والمراس ..

إن « إسلاميات » أحمد شوقي لم تنقص من شاعريته أو إبداعه ، بل على النقيض من ذلك سَمَت به وبشعره إلى آفاق اسمى وارحب ، وجعلته يقف على رأس شعراء العربية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ، كما أن فلسفيات إقبال الشعرية بالأوردية والفارسية ، قد أقعدته مكانة عالية ، ليس في العالم الإسلامي وحده ، بل في شتى أقطار الأرض وخاصة في أوروبا ، ولقد كان إقبال رحمه الله حريصاً على الإبداع والارتقاء بالصورة الفنية ، وكثيراً ما عاب على أدباء الشرق تشبثهم بالتقليد السيّء ، فلا بلغوا روعة التراث الأصيل ، ولا استحدثوا أساليب نابضة بالقوة والخير والجمال ، وشبه فنهم بفن « السامري » ـ وهو رجل من قوم موسى عليه السلام ـ أقام من الذهب تمثالاً يعبد ﴿ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ ﴾ كما جاء في القرآن الكريم .. ويقول إقبال شعراً في هذا المقام ترجمه عبد الوهاب عزام رحمه الله :

يَئِسْتُ ، فَلا أُرَجّي في أُناسٍ لَهُمْ فَنٌّ كَفَنِّ السَّامِرِيِّ
سُقاةٌ في رُبوعِ الشَّرْقِ طافوا على النُّدَماءِ بالكَأْسِ الخَلِيِّ
سَحابٌ ما حَوىٰ بَرْقاً قَديماً وَلَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ بَرْقٍ فَتِيِّ

ونستطيع في هذه العجالة أن نشير إلى الكثير من أعلام الأدب الإسلامي قديماً وحديثاً ، وما قدّموه في مجال الإبداع الفني من اجتهادات رائدة ، ونماذج فذة ، تؤكد صدق التجربة الإسلامية في حقل الإبداع قديماً وحديثاً ، مما لا يتسع المقام للاستطراد فيه ..

وهل يوجد نص إسلامي صريح يعطل الإبداع أو البحث عن صور جمالية فنية جديدة ؟؟

● إنَّ الكلمة عند الأديب المسلم أداة رحمة وخير وهداية وبر بالعالمين .. وليست عاملاً من عوامل الهدم والضياع والغموض والتسيب ، كما هي في أقلام الآخرين .. ●

لقد حرص الإسلام على سلامة « المضمون » وصدوره عن فكر إسلامي صحيح ، كما حرص أن يكون للأدب الانطباع الصادق أو التاثير البنّاء لدى المتلقي .. نعم المضمون والتاثير النهائي للعمل الفني ، وما عدا ذلك نستطيع أن نرسل القول شعراً .. أو نثراً .. قصة أو قصيدة .. مسرحية أو تمثيلية .. مع مراعاة الآداب الإسلامية العامة (وهذا داخل في المضمون) فيما يساق من قول ، أو يُتناول من وصف ، أو يبتكر من حوار ، وإذا كان بعضهم يتشبث بالشعر العمودي أو التقليدي ، فلماذا يغلق الباب في وجه أشكال جديدة تضاف إلى ألوان الأدب ولا تلغي لوناً منها ؟ ولماذا لا نبحث في كتاب الله وفي تراثنا عن انطلاقات جديدة ننفذ من خلالها إلى إبداعات في الشكل الفني ؟ ولقد اعجبني قول توفيق الحكيم أخيراً :

« ... لقد حاولت في شبابي أن أقلد شعرهم الحر ، ولكني تذكرت بعض آيات قصار من القرآن الكريم ، فراعني ما وجدته فيها من اسلوب إلٰهي ، ليس بالشعر المعروف ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ ، ولكن يشع بنور موسيقى علوية ، وإيقاع رائع أخّاذ ، دون حاجة إلى القوافي ، فقلت في نفسي : ها هنا يجب أن يكون منشأ شعرنا الحر ، وليس « إليوت » أو « بيرسي » أو « السوريالية » ، ولقد نشرت ذلك في كتابي « رحلة الربيع » ، مع أمثلة من آيات القرآن ، ولقد تنبه الشاعر صلاح عبد الصبور إلى ذلك ، فنشر في آخر كتبه قبل وفاته ، آيات من القرآن الكريم مما يوحي بأن هذا النبع العلوي هو الذي يجب أن يستلهم منه الأدب المتجدد نفحاته .. » .

إنني اقول لأصحاب النفوس الضعيفة ، وذوي العقول التي غزاها الشك والانبهار بشطحات الفن الأوروبي والأمريكي : لا تحاولوا أن تجعلوا من قضية الانتماء العقيدي قضية إبداع فني ، لأن الإسلاميين أحرص على الإبداع منكم ، لأنهم يوظفون هذا الإبداع توظيفاً سامياً نظيفاً في سبيل دعوة الله ، وهم حريصون على إيصال كلمة الحق إلى البشر كافة ، ولا ينشدون شهرة أو بطولة جوفاء أو جاهاً عريضاً ، وأنتم تدخلون إلى عالم الإبداع عرايا من القيم الفاضلة ، والخلق النبيل ، وتجعلونه غاية الغايات ، ونحن ندخل إليه من الطريق الصحيح متسلحين بالوعي والإيمان والحب والخير ، حتى تكون الكلمة رحمة وخيراً وهداية وبراً بالعالمين ، ولا تكون عاملاً من عوامل الهدم والضياع والغموض والتسيب .. لقد مررنا بالتجارب الأليمة التي مررنا بها ، وذقنا الحلو والمر ، ومارسنا القول والفعل ، وخرجنا من اتون التجربة أقوىٰ إيماناً ، وأكثر وعياً ، وأصدق بياناً ، ندرك ابعاد المأساة التي يتلظى بها عالمنا ، ويئنّ منها عصرنا ، ولن نكون بمرور الأيام أقل إدراكاً للقيم الجمالية ، لأن الخير جميل ، والحق جميل ، والحب جميل .. ولأن الله ـ أولاً وأخيراً ـ « جميل يحب الجمال » ..

■■ الحيـــاة الصالحـــة رهن بذاكرة واعيـــة .

فحياة الفرد تتجه نحو العزَّة ، والقوة ، وتحقيق الأهداف المأمولة ما دام يملك ذاكرة يقظة تضع أمامه أخطاء التجارب السابقة فيتلافاها ، كما تجسد أمامه صور النجاح الماضية له أو لغيره ، فيلتمس القدوة منها ، وسنة الله في الأمة هي سنته في الأفراد ﴿ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ .

فمسيرة الأمة على النهج الصحيح ، والخطة الراشدة متوقف على مدى استفادتها مما مر بها أو بغيرها من تجارب مؤثرة في عصورها الخالية .

وفقد الذاكرة يجعل الأفراد والجماعات كنبات الماء فقد الاستقرار ، كما فقد الإثمار ..

فالإنسان إذا أصيب بفقد الذاكرة ضاعت منه إنسانيته ، وفقد بفقد الذاكرة ذاته وهويته ، لا يعرف من هو ،

وما أسرته ، ذهب عنه تاريخه ، وضلت عنه خبراته وتجاربه ، فلا يحيا إلَّا ببعض التصورات الحاضرة التي تعينه على مجرد استمرار الحياة الحيوانية ، شأن الكائنات الحية التي لم يمنحها الله ما منحه الإنسان المكلف من الذاكرة الواعية . ■■

عندما تفقد الأمّة ذاكرتها

بقلم الدكتور :

السيد رزق الطويل

والأمة عندما تفقد ذاكرتها لن يكون حالها خيراً من حال الفرد الذي يصاب بهذه الآفة فهي آفة لا تستقر على حال ، تعاني من التخبط والضلال ، تُسَدُّ امامها منافذ العبرة والموعظة ، يغيب عنها التصور الصحيح لأهدافها البعيدة ، والطريقة المثلى لتحقيقها .

وامتنا المسلمة في ظروفها المعاصرة ـ وهذا مما يؤلم ويؤسي ـ اراها مصابة بفقد الذاكرة

وهذه هي أعراض الآفة نراها ماثلة جاثمة على صدر الأمة في شتى الأصقاع والبقاع .

اولها : التخبط التشريعي ، والتماس المناهج الإصلاحية من خبرات اعدائها .

امة تملك أعظم تراث واقومه ، ولها تاريخ عريق ، وتجارب عظيمة ، في حياتها انتصارات مذهلة اثرت في مسيرة البشرية ، كما تورطت في اخطاء فمنيت بهزائم ، كل هذا يذهب سدىً من حياة الأمة ، ﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾ ، وتصبح وكانها ولدت بنت الساعة تستجدي النظم ، وتستعير التشريعات من اعدائها ، الذين يعرفون قدر تراثها ، ويضعون الخطط الماكرة للحيلولة بينها وبينه حتى لا تسترد امجادها السالفة !!!

وهؤلاء لا يترددون في إمدادها بما يدمر حياتها ، ويضمن بقاءها مجرد كائن فقد الذاكرة .. رسالته ان ياكل ويشرب وياخذ حظه من متع الحياة وشهواتها .

إني لأعجب لغني يستجدي !! ولا يمكن ان يحدث هذا إلَّا إذا غاب عن وعيه ، ونسي ثروته

كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

او لعلَّنا فهمنا ، او أُفهمنا ان تراثنا العظيم اصبح مجرد حلية وزينة ، نشقى بالحفاظ عليها ، ونشغل به اماكن في حياتنا ، اما الاستفادة منه ، والتعلم من خبراته ، والتماس النظم الهادية منه ، وفيه الكتاب الحق الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ ، والمناهج النبوية الراشدة لتطبيقه فتلك قضية غير واردة على فكرنا المعاصر ، واصبح لزاماً علينا ان نضع امامنا المثل القرآني الذي كشف الله به واقع مجتمع بني إسرائيل في ضلاله ؛ إذ قال سبحانه :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الجمعة : ٥)

ثانيها : غيـاب القدوة بالنماذج الرفيعة التي قدمتها الأمة في عصر السلف الصالح .

وضياع القدوة ابرز اعراض فقد الذاكرة التاريخية .. ففي تاريخنا نماذج رفيعة للقيادة الرشيدة ، والسياسة الحكيمة ، والأمن الاجتماعي ، كما قدَّم تاريخنا مثلاً فذة في الإيمان والتقوىٰ ، والعلم والمعرفة .

وشهد التاريخ الإسلامي نماذج للحكومات العادلة لا تزال تبهر العالم إلى اليوم .

وعلماء هذه الأمة في كل فروع المعرفة سواء اكانت معارف دينية ام لسانية ، ام علوم الحياة والأحياء اثاروا المشارق والمغارب ، وعلَّموا البشر في شتى البقاع ، ولا تزال اوروبا ، ومؤرخوها المنصفون ـ وقليل ما هم ـ يذكرون حضارة شبه جزيرة ايبيريا (الأندلس) وانها كانت مثلاً اضاء ظلام اوروبا ، ووضع في ايديها مفاتيح

عندما تفقد الأمة ذاكرتها

نهضتها المعاصرة ؛ إذ اخذت منها الجانب المادي ، وتركت غير راشدة الجانب الروحي الذي كان كفيلاً بتقويم حضارتها ومدنيتها إلى ما هو انفع لها وللعالم من حولها .

لكنها مقادير يدبرها من بيده مقاليد السموات والارض وهو الحكيم الخبير .

كيف يغيب هذا كله ؟ وكيف يغيب عن ذاكرتنا محمد رسول الله ﷺ والذين معه رضوان الله عليهم ؟

وكيف يغيب الراشدون من خلفائه ، وحكوماتهم العادلة ؟

وكيف يغيب عنّا الحسن البصري ، والشعبي ، وشريح ، وعطاء ، وإبراهيم النخعي ؟

وكيف ننسى عمر بن عبد العزيز ، والمنصور ، والرشيد ، والمعتصم ؟

وكيف تذهل الذاكرة عن جابر بن حيان ، والحسن بن الهيثم ، وابي بكر الرازي ، وابي القاسم الزهراوي ، وابن النفيس ؟

إن من غير المستساغ ان يكون شباب الأمة المسلمة يعاني من ازمة المثل وندرة القدوة او ضياعها !!!

لكنها الذاكرة التاريخية المفقودة !!

ثالثها : هذا الانفصام الخلقي الذي نحياه ، هذه الاعراف التي تسود بيننا لم يعرفها آباؤنا المسلمون الصادقون . هذه الأخلاق الهابطة التي غزت الشوارع والبيوت ، واقبلت في ظلام كئيب بارد من الغرب ليس لتاريخنا المجيد بها عهد او إلف .

هي كشجرة خبيثة نبتت على ارضنا بدون جذور . إن جذورها تمتد إلى ارض لا نعرفها ؛ إنها ارض خبيثة :

﴿ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً ... ﴾ (الأعراف : ٥٨)

اهـذه ملامح اخلاق المسلمين ؟!

ميوعـة الشباب وتخنثهم ؟!

الأفلام الهابطة ! التي دخلت البيوت عن طريق (الفيديو) . الصـور العاريـة . الأقلام التي تقدم الفكر المسموم ، وتمجد ايديولوجيات الكفر والضلال وكأنّ امتنا لم تكن من قبل منارة الهدى والرشاد ؟.

لكنـه الانفصام الخلقي احـد أعراض فقد الذاكرة .

فقـد الذاكـرة كما صوَّره القرآن

إن ما اكتبه ليس تصويراً لانفعال ، او تحت تاثير عاطفة عاتية ، لكنه كلام مدروس ، وواقع نعيشه ، ونحسه ، ولا باس بان نملك العاطفة الثائرة ، ونحكّمها احياناً وبقدر معلوم ، فهي من ظواهر الذاكرة الحيّة .

لقد اهتم القرآن الكريم بإحياء الذاكرة العربية منذ مشرق الرسالة الإسلامية الخاتمة واتّبع الوسائل المؤثرة الآتية ..

بـالنسبة لقريش اول من سمعوا صـوت الرسول ﷺ ، ونداء الرسالة ، ذكرهم باصالتهم التاريخية ، وحرصهم على الانتساب للنبي الكريم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؛ إذ ان « البنية » الكريمة التي اقامها لا تزال وستظل قائمة فيهم .

لقد وقف ابو طالب يوم زواج ابن اخيه محمد بن عبد الله من خديجة بنت خويلد يقول : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وذرع إسماعيل وضِئْضِىء اصل معدّ ، وعنصر مضر ، وجعلنا سدنة حرمه وساسة بيته .. [ابن هشام في السيرة] .

إنها قمة الاعتزاز بالتاريخ والتراث ، لكنه لم يثمر في سلوكهم ، بدليل موقفهم من رسولهم الهادي ، ورسالته الهادية .

ومن هنا يثير القرآن الكريم ذاكرتهم ليقول :

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ... ﴾ (الحج : ٧٨)

وعندما اوغلوا في البغي ، واشتطوا في العناد قدم لهم القرآن الكريم امثلة من حولهم لا ينبغي ان تغيب عن ذاكرتهم تصف لهم مصرع البغي ، ومصير الطغاة في كل فترات التاريخ . فيقول تعالى :

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ . وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ . وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴾ (ق : ١٢ - ١٤)

إن اكثر هذه الأمثلة من واقع الحياة العربية من حولهم ، ومن اجل هذا نرى القرآن الكريم يزيد الذاكرة الخامدة إثارة فيقول لهم بعد ان قدّم لهم طائفة من انباء القوم ، وبخاصة قرى قوم لوط التي تقع على طريق رحلاتهم إلى الشام :

﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ . وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (الصافات : ١٣٧ - ١٣٨)

وفي موقف آخر يحرّك القرآن الكريم ذاكرة القوم بصورة غير مباشرة ، وكان الكلام موجه إلى الرسول ﷺ ؛ إذ يقول رب العالمين :

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ . فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ . وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾ (البروج : ١٧ - ٢٢)

ويقـول جلّ شـانـه :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ . الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ . وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ . الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر : ٦ - ١٤)

ومع من أسـلموا

واتجه القرآن الكريم إلى من اسلموا فايقظ ذاكرتهم في ظروف هم في اشد الحاجة إلى امتلاك الذاكرة اليقظة الواعية ، التي تقلب صفحات الماضي القريب والبعيد في عمق وتبصر .

(أ) في مقام التحذير من الفرقة وقد حاول اليهود ان يعبثوا بالوحدة الإسلامية بعد الهجرة ليفرقوا بين المهاجرين والأنصار ، وبين الانصار انفسهم ؛ إذ ذكروهم باحقاد امس ، فيقول لهم رب العالمين :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ... ﴾ (آل عمران : ١٠٣)

(ب) في غـزوة بـدر ، وقد احسّ المسلمون بانّهم قلة في العدد والعُدد ، وكتب عليهم مواجهة

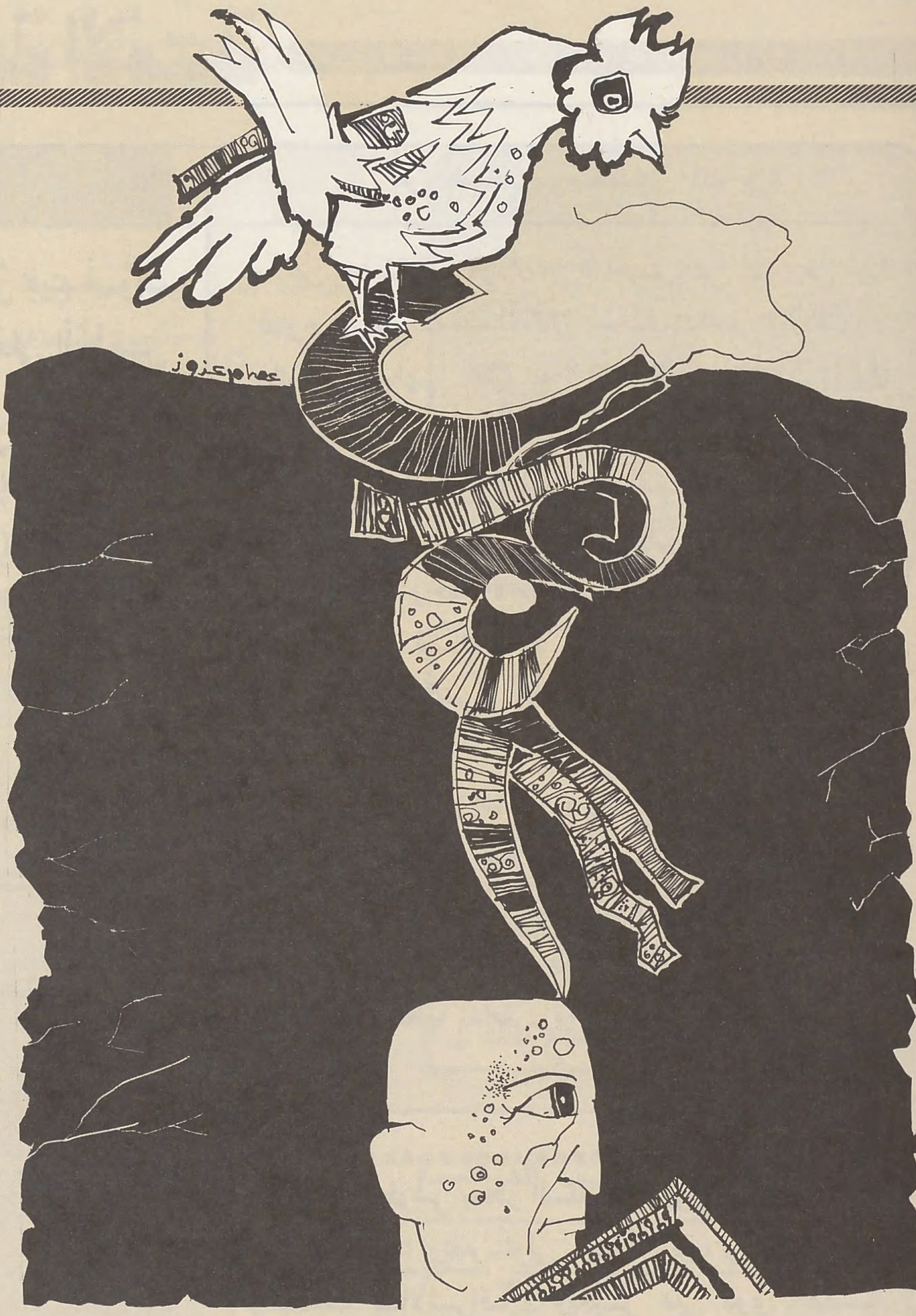

عدو كثر عدده ، وعظمت عدَّته ، فكان لا بد من إحياء الذاكرة ؛ لتعي احداث امس القريب ؛ إذ ترى ما يقوي العزم ، ويملأ القلوب ثقة في النصر ، فيقول سبحانه :

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الأنفال : ٢٦)

(ج) في غـزوة تبـوك ، وقد تقاعس بعض الناس عن الخروج ، وآثروا برد الراحة في وقت اشتد فيه الحر ، وحرصوا على ما بيدهم من مال في وقت قل فيه ذات اليد ، يقول سبحانه للمتخاذلين قولاً شديداً يؤكد لهم فيه النصر لرسوله ، ولو قعدوا جميعاً عن نصرته ، وموقف الهجرة خير شاهد ودليل ، فقال سبحانه :

﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ (التوبة : ٤٠) .

وذاكرة الرسول ﷺ

اتجه القرآن الكريم إليها ليربطها بمسيرة الرسل السابقين ، ليحذو حذوهم ، ويتبع منهجهم ، فإذا اشتد عليه اذى القوم ، وتعاظم بغيهم وعنادهم تاتيه الآيات البينات من عند الله تحثه على القدوة بإخوته الأنبياء من قبله ، يقول له جل شانه :

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ (الأحقاف : ٣٥) .

ويقص القرآن الكريم على النبي ﷺ اخبار الأنبياء ، وما فيها من استقامة ورشد ثم يقول له :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (الأنعام : ٩٠) .

وعندما يشتد الحزن على رسول الله ﷺ لما يواجهه من تكذيب وعناد ، وحزنه على كفرهم وإعراضهم وهو الحريص على إيمانهم اكثر من حزنه منهم ، فيقول تبارك وتعالى له :

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الأنعام : ٣٤) .

أمَّتنا ؛ لكي تستعيد الذاكـرة المفقودة

لقد استبان لنا في مواقف متعددة ومتنوعة مدى حفاوة الكتاب العزيز ، بإيقاظ ذاكرة الأمة مما يؤكد خطورتها لكي تستعيد امجادها إن غابت ، وان تستبقيها إن كانت حافظة لرشدها واستقامتها .

وطريق العـودة ميسور ، والعود احمد ما دام فيه توبة وإنابة وإدراك لقيمة المثل الغائبة .

لا بدّ من القدوة ..

وبهذه المناسبة لا بدّ ان نحذر انحراف الذاكرة فنلتمس القدوة من حياة الضالين المفسدين انخداعاً بظاهرهم البراق ، كما فعل اليهود مع الأنصار ؛ إذ ذكَّروهم بعداء الجاهلية وشقاقهم ، واستغلوا حداثة عهدهم برشد الإسلام .

وقد حذَّر النبي عليه الصلاة والسلام هذه الأمة من انحراف الذاكرة فقال : « لتتبعن سنن من كانوا قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه » قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن ؟ » [اخرجه البخاري] .

من غيرُ هؤلاء يحرص على طمس ذاكرتكم الواعية ، ودفعكم إلى اقتفاء خطواتهم الضالة ؟

ولن نبحث طويلاً عن القدوة بعد ما اسلفت من حديث .

وحسبنا هذا التوجيه الكريم :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (الأحزاب : ٢١) .

وقـول الله تعـالى :

﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ (النور : ٥٤) .

فعلينا إذنْ ان نحذو حذوه في إيمانه ويقينه ، في صدقه وامانته ، في قيادته وحكومته ، في ابوَّته وبنوَّته ، في اخوَّته وزوجيّته .. ومن ورائه على امتداد فترات التاريخ جموع من اهل الحق والرشد والالتزام . عندما نسير وراءهم نستعيد الذاكرة ، وتتضح معالم الطريق ، ويستقيم الهدف ، ويدنو الأمل العزيز . والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

من نور كتاب الله

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة : ٥٤)

وصـيَّـة ...

قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه :

يا بني ازحم العلماء بركبتيك ، ولا تجادلهم فيمقتوك ،

وخذ من الدنيا بلاغك ، وأبقِ فضولَ كسبك لآخرتك ،

ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالاً ، وعلى أعناق الرجال كلاً ،

وصم صوماً يكسر شهوتك ، ولا تصم صوماً يضر بصلاتك ، فإن الصلاة أفضل من الصوم ،

وكن كالأب لليتيم ، وكالزوج للأرملة ، ولا تحابِ القريب ، ولا تجالس السفيه ، ولا تخالط ذا الوجهين البتة . . .

[البيان والتبيين]

من هدي رسول الله ﷺ

عن حذيفة بن اليمان (صاحب النبي ﷺ ومن قادة الفتوح) رضي الله عنه أنه قال : ما أنا مثنياً على والٍ خيراً ، جائرهم وعادلهم . فقيل له : لِمَ ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« يؤتى بالولاة يوم القيامة ، جائرهم وعادلهم ، فيوقفون على الصراط ، فيوحي الله تعالى إلى الصراط المستقيم فيرجف بهم رجفة لا يبقى منهم جائر في حكمه ، ولا مرتش في قضائه ، ولا مُمَكِّنٌ سمعه لأحد الخصمين ما لم يمكن للآخر ، إلاّ زلّت قدماه سبعين عاماً في جهنم » .

وعن أبي أُمامة (الباهلي ، وهو ابن عجلان بن وهب ، صحابي) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلاّ أتى الله يوم القيامة ، يده إلى عنقه ، فكّه بِرُّهُ أو أوثقه إثمه ، أولها ملامة ، وأوسطها ندامة ، وآخرها خزي يوم القيامة » .

[بدائع السلك في طبائع الملك]

قال الطرطوشي يحذر السلطان أن يولي الوزارة لئيماً :

إن اللئيم إذا ارتفع ـ تولى ـ جفا أقاربه ، وأنكر معارفه ، واستخف بالأشراف ، وتكبّر على ذوي الفضل والإنصاف . . .

[سراج الملوك]

صفـة الحاسـد

من كلام ابن المقفع في صفة الحاسد :

الحاسد لا يزال زارياً على نعمة الله ولا يجد لها مزالاً ، ومكدراً على نفسه ما به من النعمة فلا يجد لها طعماً ، ولا يزال ساخطاً على من لا يترضاه ، ومتسخطاً لما لا ينال ، فهو كظوم هلوع جزوع ، ظالم أشبه شيء بمظلوم ، محروم الطِّلِبَة ، منغَّص العيش ، دائم التسخط ، لا بما قُسم له يقنع ، ولا على ما لم يُقسم له يغلب ، والمحسود يتقلب في فضل نعم الله مباشراً للسرور ، ممهلاً فيه إلى مدة لا يقدر الناسُ لها على قطع ولا انتقاص ، ولو صبر الحاسد على ما به لكان خيراً له ، لأنه كلما أراد أن يطفىء نور الله أعلاه ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

[زهر الآداب]

أدب التهادي

إظهار السرور بالهديّة وإن قلّت ، والدعاء لصاحبها إذا غاب ، والبشاشة إذا حضر ، والمكافأة عند القدرة ، والثناء عليه إن أمكن ، وترك الخضوع له ، والتحفظ من ذهاب الدين معه ، ونفي الطمع . . .

وعلى المُهدي : أن يرى الفضل للمهدى إليه ، وأن يظهر السرور بقبوله لها ، وأن يشكر المهدى إليه ، وأن يستقل هديته وإن كثرت . . .

[إحياء علوم الدين]

ما يجب للمحدث على جليسه

كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول :

حدِّث الناس ما حدَّجوك بأسماعهم (وجهوها نحوك) ولحظوك بأبصارهم ، فإذا رأيت منهم فتوراً فأمسك .

وقال أبو عباد : للمحدث على جليسه السامع لحديثه أن يجمع له باله ، ويصغي إلى حديثه ، ويكتم عليه سره ، ويبسط له عذره .

وقال : ينبغي للمحدث إذا أنكر عين السامع أن يستفهمه عن معنى حديثه ، فإن وجده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث ، وإن كان لاهياً عنه ، حرمه حسن الإقبال عليه ، ونفعَ المؤانسة له ، وعرفه بسوء الاستماع والتقصير في حق المحدث .

وقال : نشاط المحدِّث على قدر فهم المستمع .

وقال أبو الفتح البستي :

إذا أحسست في لفظي فتوراً ... وحفظي والبلاغة والبيان

فلا ترتب بفهمي إنَّ رقصي ... على مقدار إيقاع الزمان

[زهر الآداب]

أســرع ذلك في ديـنــك ...

كان الحسن البصري في جنازة فيها نوائح ومعه رجل ، فهمَّ الرَّجلُ بالرجوع ، فقال الحسن : إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك في دينك . .

[البيان والتبيين]

ستــة لا ثبــات لهــا

ومن كلامهم :

ستة أشياء لا ثبات لها :

ظل الغمام ؛ وخُلَّةُ الأشرار ؛ وعشق النساء ؛ والثناء الكاذب ؛ والسلطان الجائر ؛ والمال الكثير . . .

[بدائع السلك في طبائع الملك]

ما لِيَ لا أغــتم ؟

لما رجع عمر بن عبد العزيز من جنازة سليمان ، وقد بايعه الناس ، واستقرت الخلافة باسمه ، انقلب وهو مغتم مهموم ، فقال له مولاه : مالك هكذا مغتماً مهموماً وليس هذا بوقت هذا ؟

فقال : ويحك ، وما ليَ لا أغتم وليس أحد من أهل المشارق والمغارب من هذه الأمة إلَّا وهو يطالبني بحقه أن أؤديه إليه ، كتب إلي في ذلك أو لم يكتب ، طلبه مني أو لم يطلب .

قالوا : ثم إنه خيَّر امرأته فاطمة بنت عبد الملك بين أن تقيم معه على أن لا فراغ له إليها ، وبين أن تلحق بأهلها ، فبكت وبكىٰ جواريها لبكائها ، فسمعت ضجة في داره ، ثم اختارت مقامها معه على كل حال رحمها الله ؛ وقد قال له رجل : تفرغ لنا يا أمير المؤمنين ، فأنشأ يقول :

قد جاء شغلٌ شاغِلُ ... وعدلت عن طرق السلامة

ذهب الفراغُ فلا فرا ... غَ لنا إلى يوم القيامة

[البداية والنهاية]

الظلم يُذهـب البركـة

روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن ملكاً خرج يسير في مملكته مستخفياً بمكانه ، فنزل على رجل له بقرة ، فراحت البقرة فحلبت قدر قلتين ، فعجب الملك لذلك وحدَّث نفسه بأخذها ، فلما راحت من الغد حلبت على النصف ؛ فقال الملك : ما بال حلابها قد نقص ، أرعت في غير مرعاها بالأمس ؟

قال : لا ، ولكن أظن أن ملكنا هَمَّ بأخذها فنقص لبنها ، فإن الملك إذا ظلم أو هَمَّ بالظلم ذهبت البركة ؛ فعاهد الله في نفسه ، فراحت من الغد ، فحلبت حلاب قلتين ؛ فتاب الملك ، وعاهد ربه : لأعدلن ما بقيت .

قال الطرطوشي : وهكذا تتعدىٰ سائر أعمال الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم إلى الرعية ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

[بدائع السلك نقلاً عن : الشهب اللامعة في السياسة النافعة]

فهل ثبت أنه ليس من وضعهم !؟

بقلم : الدكتور
عماد الدين خليل

(١)

■■ بعد سنة كاملة من صدوره ، اتيح لي ان اطّلع على العدد الثالث والاربعين من « الأمة » الصادر في نيسان (إبريل) عام ١٩٨٤م . ولسوء حظي فإنني لا اطّلع ، عبر كل سنة من سنوات المجلة التي تتضمن اثني عشر عدداً سوى على عددين او ثلاثة !

تصفحت العدد المذكور فوجدتني في الصفحة الثالثة والعشرين امام « قضية للمناقشة » اثارها الأخ الفاضل الأستاذ عارف عطاري حول مقال ، او خاطرة بعبارة ادقّ ، كنت قد نشرتها في العدد الحادي والاربعين من « الأمة » بعنوان : « بروتوكولات حكماء صهيون مرة اخرى » ، ضمن سلسلة من الخواطر بعنوان « حتى يتبين لهم انه الحق » .

ينطلق الأستاذ عطاري من التساؤل التالي « إلى اي مدى يمكن الاعتماد على بروتوكولات حكماء صهيون كمرجع ؟ » .

سؤال في محله تماماً ، وفرصة طيبة يثيرها لمناقشة متانية لواحدة من المسائل المهمة في الثقافة والتاريخ المعاصر ؛ ومن يدري فقد يقدم قناعات مقبولة تجعل المرء يتراجع عن رايه ويتحقق بفضيلة الإنابة إلى الصواب .

قرات المقال مرة ومرتين وثلاثاً ، لكنني ـ للأسف ـ لم اعثر على القناعات التي كنت اتمناها .

يقول الرجل : « ... إنه لم يثبت علمياً ان هذا الكتاب ـ اي : البروتوكولات ـ من وضع اليهود او حكمائهم » .

فهل ثبت علمياً انه ليس من وضعهم ؟

الأستاذ عطاري لا يجيب ، ولكنه يعتبر إنكار اليهود للكتاب طعناً في نسبته إليهم ، ويجرده ـ بالتالي ـ من صفته المرجعية ، ويطعن في قيمة الأبحاث والنتائج التي ترتكز عليه .

اي : ان اليهود ما داموا قد انكروه فإن علينا ان نشك في قيمته ، وبما انه ليس كتاباً في الفيزياء او الجغرافية الاقتصادية ، ولكن في استراتيجية التخريب اليهودي المعروف ، فإن ما يقوله اليهود انفسهم فيه ليس حكماً بحال من الاحوال ، ولسنا ملزمين بالاخذ به .

ويبدو ان الرجل لم يطمئن إلى سلامة استنتاجه ، لذا نراه يسارع إلى القول : إن « هذا الطعن لا ينفي احتمال انه قد يكون من وضع اليهود ولكنّ فرق كبير بين الاحتمال والثبوت ، الاحتمال لا يسمح باستخدامه مرجعاً رئيساً » .

يعود مرة اخرى إلى تشبث اليهود بنفي نسبة الكتاب إليهم ، وان خصومهم « اللا ساميين » هم الذين الصقوه بهم ، ويعتبر هذا التشبث « المضلّل » احتمالاً وارداً ينفي عن الكتاب صفته كمرجع .

باختصار .. إن الرجل لم يستطع ان يحدّد علمياً : هل ان الكتاب من وضع اليهود ام انه ليس من وضعهم ؟ لكنه ما يلبث في نهاية الأمر ، ان يميل إلى كونه من وضعهم ، فيقول : « إن البروتوكولات ـ حتى على افتراض نسبتها لليهود ـ ليست محاضر جلسات لما يسمى بالحكومة الخفية السرّية اليهودية التي تدير العالم كما هو شائع ، بل هي محاضرات القاها يهودي يُعتقد انه (مونتيفوري) على ثلاث جلسات ، تحدث فيها عن الأساليب التي تمكن اليهود من السيطرة على العالم » .

فالخلاف إذنْ لا ينصبّ على كون الكتاب من صنع اليهود أم لا ، ولكنه ينحرف باتجاه « الصيغة » او « الأسلوب » الذي اخرجه به العقل اليهودي ، وهي مسالة لا تكاد تمس جوهر الموضوع ، اي : توثيق الكتاب .

فسواء جاء وضعه على يد حكيم او شيخ يهودي واحد هو (مونتيفوري) او مجموعة حكماء او شيوخ ، وسواء تمت صياغته على شكل مقررات سريّة ام محاضرات علنية ، فإنه لا يعدو في كل الأحوال ان يكون تخطيطاً يهودياً[1] .

هذا « التخطيط » الذي لم اغفل في خاطرتي الموجزة تلك عن انه قد يكون « صيغة من صيغ الحرب النفسية » ، او « حلماً » ، او « تخيلاً لما يتمنى اليهود تحقيقه باي اسلوب » ، لكنني لم اغفل ايضاً التطابق العجيب بين مضامينه وبين معطيات الواقع المشهود .

(٢)

مهما يكن من امر ، فإنه لما كانت العبرة بالنتائج ، كما هو معروف ، وكانت القرينة تستمدّ قوتها من المعطيات المنظورة والمؤكدة ، فإن المرء يميل إلى الاستنتاج الأول ، اي : انه من وضعهم ، ما دام ان حشود الممارسات والتجارب والسياسات المعاصرة ، تجيء منطبقة بشكل ملحوظ على مقررات ذلك الكتاب الذي يجب الّا نتوهم فيه قوة سحرية او عجائبية ، كما يريدنا الأستاذ عطاري ان نتوهم ؛ ولكن كاي « محضر » سرّي أو علني ، من بين مئات المحاضر التي رسم حيثياتها المؤتمرون : الاستعماريون الصليبيون حيناً ، والشيوعيون الملحدون حيناً آخر ، واليهود المخرّبون حيناً ثالثاً ؛ وجاءت الوقائع لكي تؤكد ان ما يجري ، في هذه السياقات الثلاثة ، ليس صدفة او ارتجالاً ، ولكنه

■ عباس محمود العقاد :
الدولاب الهائل الذي دار فجأة من الآستانة إلى امريكا شاهد على الاتفاق في الغاية . ■

■ ريغـان :
الروابط بين شعبينا يجب ألاّ تقطع والأصدقاء المخلصون يقفون دائماً متحدين . ■

■ ريمـون إدّه :
امريكا باعت نفسها وروحها وعقلها لإسرائيل . ■

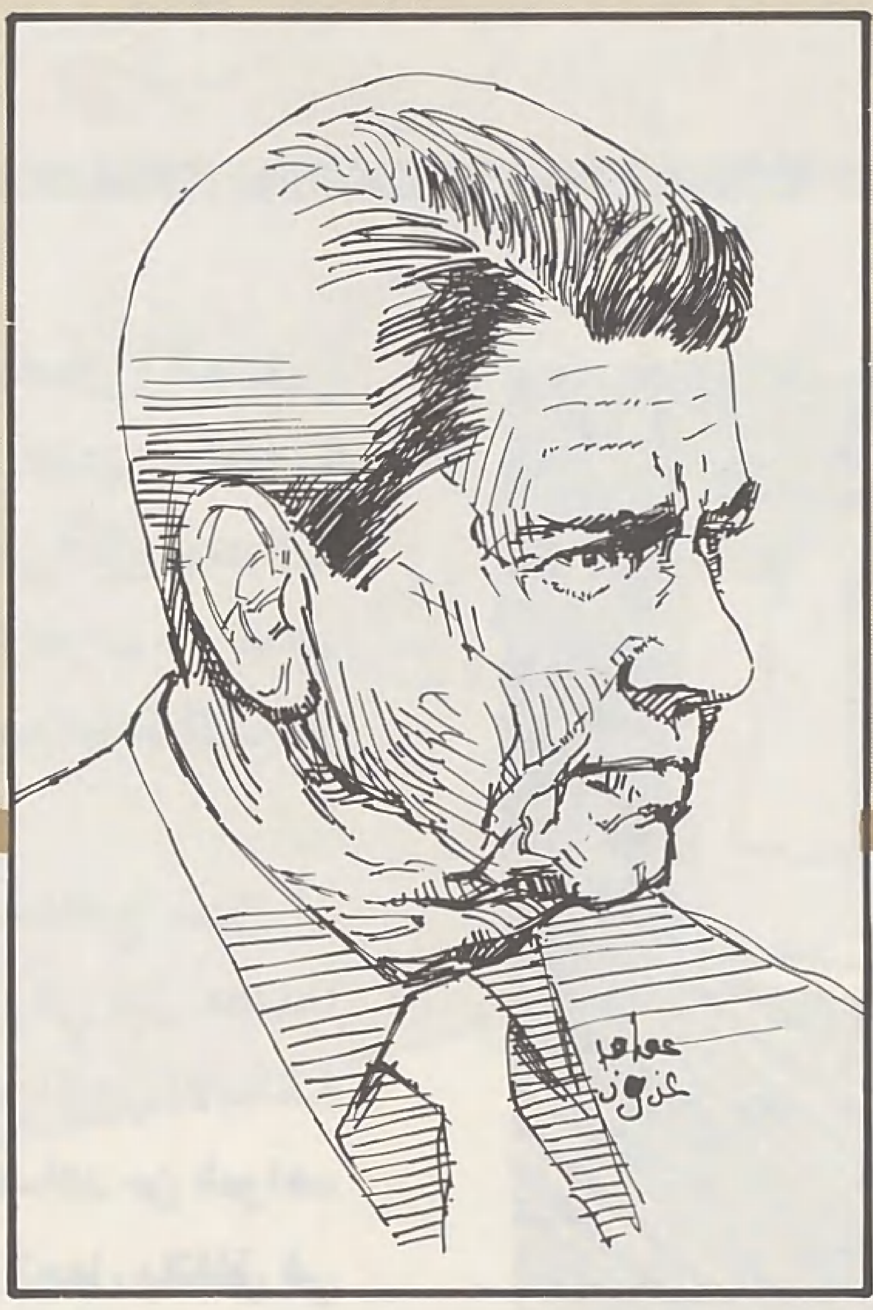

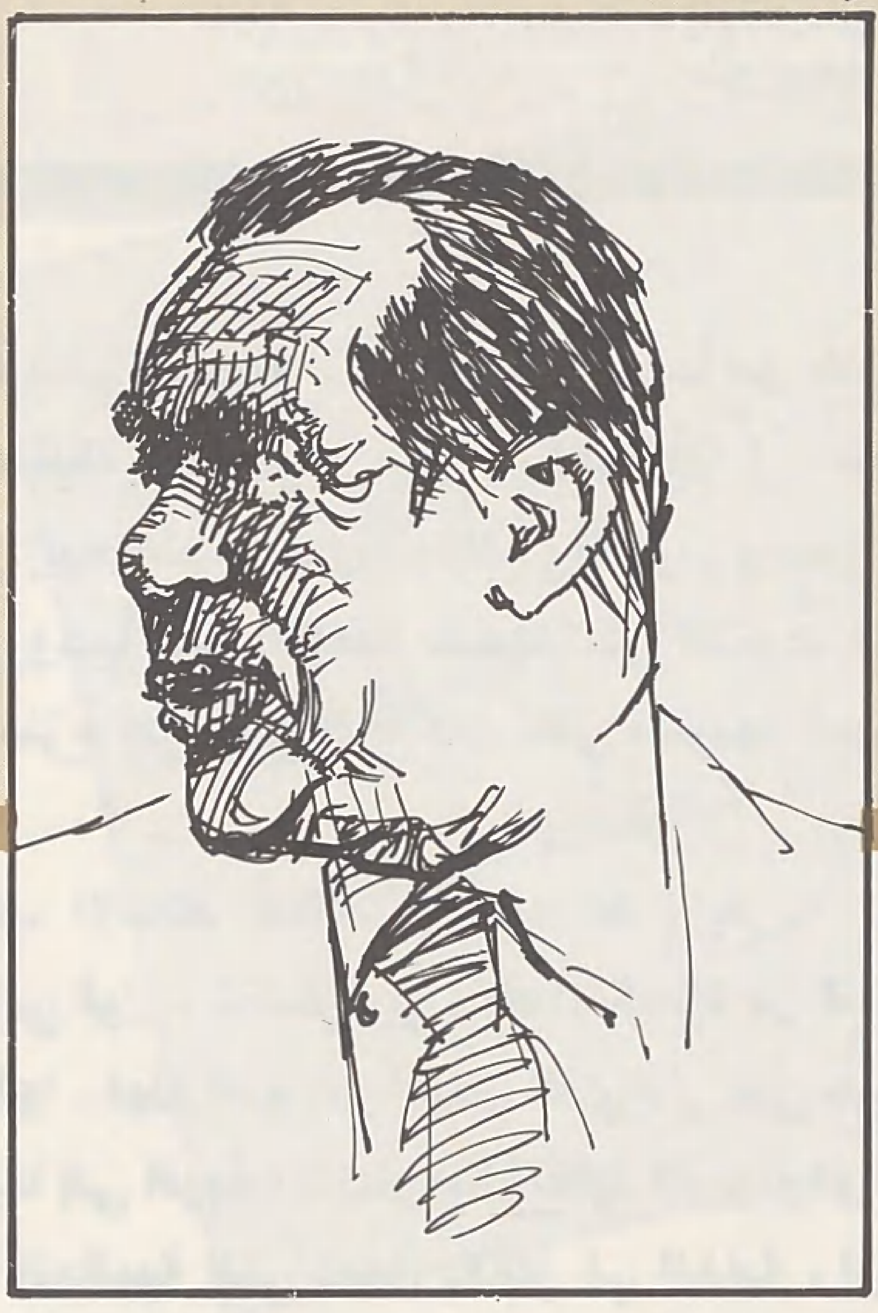

عمل مبرمج مرسوم ، وأن علينا كي نجابه « المحنة » ونتفوق عليها ، ان نعرف ابعادها جيداً ، ونخبر نسيجها بشكل دقيق ، وان نخطط ونبرمج نحن كذلك لكي نردَّ على التَّحدي باستجابة تكون على المستوى المطلوب فتحقق النجاح .

فليس كما يتصور الرجل ، أن الاعتماد على (البروتوكولات) يقود إلى هزيمة نفسية ، او توهم اشباح غير مرئية ، او الاعتقاد بان اليهود قوة لا تغلب !

(٣)

إنَّ المزايدة على مصائر أُمّتنا التي ارهقها البلاء ، بتخويفها من الخصم وتعجيزها عن مجابهته ، حرام .. وحرام ـ كذلك ـ أن نسوقها إلى دفن راسها بالرمال ، مطمئنين إيَّاها انه ليس ما يحاك ضدها في الخفاء ، وانه لا مؤتمرات سريَّة ، ولا مقررات علنية ، ولا بروتوكولات .

وإن اي حديث في هذا المجال ، واعتمادٍ لمراجع من هذا القبيل إنما هو ترويج لمعطيات حرب نفسية قد تصيبنا بالشلل ، وتضع بيد الخصم السلاح الذي يقتلنا به .

إن المرء ليتذكر ـ ها هنا ـ ما قاله الأستاذ محمد خليفة التونسي ، في تقديمه للترجمة العربية للبروتوكولات ، مع اطِّراح المفردات التي اعتمدها الرجل والتي تتميز بقسوة لا تنسجم والنقاش الهادىء الرصين ، رغم أن الأستاذ عطاري انزلق ـ للأسف ـ صوب بعضٍ منها ، مثل : « الكسل الفكري الذي يريح صاحبه من البحث وراء الأسباب » ، « الحالة المرضية التي تبرر الفشل والقصور والتقاعس » ، « الهوس » ، « علبة الهندسة » ... إلخ . « وهكذا ـ يقول الأستاذ التونسي ـ يظهر لنا ... والتهافت في المؤاخذة التي يعقب بها النقاد المتعجلون على نقل البروتوكولات بين اللغات ، ونشرها بين الأمم ، ليحذروها الخطر اليهودي ، مع ان هذا النشر والتحذير واجب حتم على كل من استطاعه بقوته وامانته وفرصته . وهذا النوع من المؤاخذات ... المتهافتة التي ينزلق إليها الفكر الضَّيق ... بلاء قديم ايضاً في تاريخ البشر ، فعندما نشر اديبنا الجاحظ قبل احد عشر قرناً كتابه (حيل اللصوص) آخذه بعض معاصريه وتابعيهم بين أعدائه .. بأنَّه يروِّج هذه الحيل فيعلِّم السرقة ويغري بها ، كانهم لم يفطنوا إلى حقيقة لا خفاء فيها على نظر بريء من الغرض ، هي ان الجاحظ أراد من كشف هذه الحيل تحذير الناس من الوقوع فيها ، وتبصيرهم بها ، حتى لا تكون اموالهم وارواحهم نهباً يسيراً للمحتالين . وكذلك اتهموه بتعليم التجار الغش وإغرائهم به حين كتب يكشف وسائل غش السلع ، ولم يكن الرجل في هذه التهم إلاَّ مظلوماً في نيَّته ونتيجة عمله معاً ، فإن عدد الأشرار من اللصوص وغششة التجار لم يزد واحداً بعد انتشار كتب الجاحظ في حيل اللصوص وغش التجارة ، بل نقص عدد المخدوعين كثيراً »[٢] .

(٤)

طبعاً ، فإن خاطرة « صحفية » كالتي وردت في مقالي آنف الذكر ، تستهدف إحالة بعض الممارسات والخبرات « اليهودية » المنظورة ، على جذورها في مقررات وخطط اليهود السرِّية والمعلنة ، من خلال قرائن نوعية واضحة ، امر يحتاج إلى قائمة طويلة من التوثيقات لكي تصح المقارنة ، فهي ليست امراً تعسفياً او اعتباطياً ، كما يتصور الرجل ، ولكنه واقع مشهود : منظمة يهودية ، تعتمد صيغ الدمار الخلقي ، لاستعباد الساسة والمتنفذين وتسخيرهم لخدمة اهدافها .

إنَّ هذا يحدث كل يوم ، ليس على ايدي اليهود وحدهم ، ولكن على ايدي خصومنا جميعاً ، بما فيها المؤسسات الكنسية التي اعتمدت الأسلوب نفسه .

كما انه ليس امراً تعسفياً او اعتباطياً ، كما يتصور الرجل ، ان يُحْكم اليهود سيطرتهم على مساحات واسعة من النشاط الإعلامي ، دون ان يربط المرء بين ذلك وبين خططهم التي سبق وان اتفقوا عليها في البروتوكولات وفي غير البروتوكولات لتحقيق هذا الغرض الحيوي . ولنضرب على ذلك مثلاً ، فحتى عام ١٩٨٤م اصبح اليهود يمتلكون (٢٤٤) صحيفة في الولايات المتحدة و (٣٠) دورية في كندا و (١١٨) صحيفة في امريكا اللاتينية و (٣٤٨) صحيفة في اوروبا بجميع اللغات الاوروبية و (٣) صحف في الهند و (٥) دوريات في تركيا و (٤٢) دورية في افريقيا . كما تشير بعض الإحصاءات إلى ان اكثر من (٩٠٪) من مجموع العاملين في الحقل السينمائي الأمريكي إنتاجاً وإخراجاً وتمثيلاً وتصويراً ومونتاجاً ، من اليهود[٣] .

والعبرة ـ مرة اخرى ـ بالنتائج ، ما دمنا بصدد تعزيز القيم الوعيية والعقيدية والتربوية . يقول الصحفي الإنكليزي « شسترتون Chesterton » في مناقشته للكاتب الإسرائيلي « لفتوتش Leftwich » بصدد تاكيد الواقع المفهوم من البروتوكولات : « إن لسان الحال اصدق من لسان المقال ، وإن مشيخة صهيون او حكماء صهيون قد يكون لهم

فهل ثبت أنه ليس من وضعهم !؟

وجود تاريخي صحيح ، او يكونون جميعاً من خلق التصور والخيال ، ولكن الحقيقة الموجودة التي لا شك فيها ان النفوذ الذي يحاولونه ويصلون إليه قائم ملموس الوقائع والآثار .. ويبدو لي ان البروتوكولات تستوي روحياً على القاعدة نفسها التي استوت عليها فقرات من كتاب التلمود تنزع إلى رسم العلاقات التي يلتزمها اليهود مع عالم الأمم او الغرباء ... »[٤] .

ويعقب الأستاذ العقاد (رحمه الله) بقوله : « نستطيع نحن ان نضيف إلى قول « شسترتون » اقوالاً كثيرة من قبيلها وفي مثل معناها واستدلالها ، فهذا الدولاب الهائل الذي دار على حين فجاة من الآستانة إلى امريكا إلى افريقيا الجنوبية لتنفيذ البروتوكولات شاهد من شواهد العصبة العالمية التي تعمل باتفاق في الغاية ، إن لم تعمل باتفاق في التدبير ... »[٥] .

إنَّ البروتوكولات ، مهما تكن ملابساتها الزمنية والمكانية ، تمثل على مستوى « الموضوع » سياقاً طبيعياً مقبولاً لسياسات يهود في العالم ، منذ بدء انحرافهم عن المسار التوحيدي الصحيح حتى اللحظات الراهنة ، مع ازدياد هذه السياسات خبثاً وانحرافاً ، بتراكم الخبرة التخريبية ، وإن قراءة التلمود وبالمقابل متابعة المعطيات القرآنية التي خصّصت السور والمقاطع والآيات ، بمساحات ملفتة للنظر ، للحديث عن يهود ، والتحذير منهم ، والكشف عن خططهم ، تكفي للتاكد من ذلك . وإنني لأذكر هنا ـ على سبيل المقارنة ـ اعتراض احد الأساتذة (الآثاريين) على إلحاح القرآن الكريم في الحديث عن اليهود : « إن القرآن ـ قال الرجل ـ لا يفعل بذلك سوى ان يخدم اليهود دعائياً ، ويؤكد ادّعاءهم بكونهم شعب الله المختار ، ويضخِّم دورهم اكبر بكثير من حجمه الحقيقي ! » .

ثم إن الخاطرة « المذكورة » لا تعزز « النزعة التعجيزية » ، كما يستنتج الأستاذ عطاري ايضاً ، لأن حصيلتها واضحة لكل ذي عينين : إن ترسانة الإيمان التي يتحصن بها « المسلم » هي الجدار الوحيد الذي يتأبى على محاولات الاختراق اليهودي ، وغير اليهودي بطبيعة الحال ، من اجل الاّ يفرّط هذا « المسلم » بما يعطيه القدرة على المقاومة ، والتفوق ، رغم محاولات عاتية ، جرت ولا تزال ، ومن غير اليهود كذلك ! لتدمير هذه القدرة !

اهي دعوة للتحدي بالإيمان ، ام التعجيز بالفرار والخذلان ؟!

(٥)

والأستاذ عطاري لم يات بجديد بصدد ان الهيمنة الصهيونية ليست حتمية مقفلة او تحدياً تستحيل الاستجابة له (مع تنبيهه المناسب إلى خطورة الانزلاق في الخط النقيض من التفكير والذي يهوّن من شان إسرائيل والنفوذ اليهودي والصهيوني العالمي ، لأن هذا النمط خطير ايضاً وله عواقب وخيمة) . لقد سبق وان اشرت إلى هذا مراراً واكّدته تكراراً[٦] . لقد انتصرنا على اليهود اكثر من مرة ، في الماضي والحاضر ، وسننتصر عليهم مستقبلاً بإذن الله ، بمجرد ان نعدّ العدة ونستكمل الشروط ، ومن بين هذه الشروط ان نعرفهم جيداً ، ونخبر خططهم واساليبهم في العمل لكي نتحرك ونحن على بيِّنة من الامر .

إن النظرة احادية الجانب تمثل ولا ريب واحدة من اشد الثغرات عمقاً في منهج البحث ، ومن اجل تجاوز هذه الخطيئة يتحتم علينا الاّ نتصور الخطر اليهودي قدراً تراجيدياً لا فكاك منه ولا قدرة على مجابهته والتغلب عليه ؛ والاّ نتصور ـ في الوقت نفسه ـ ان ليس ثمة

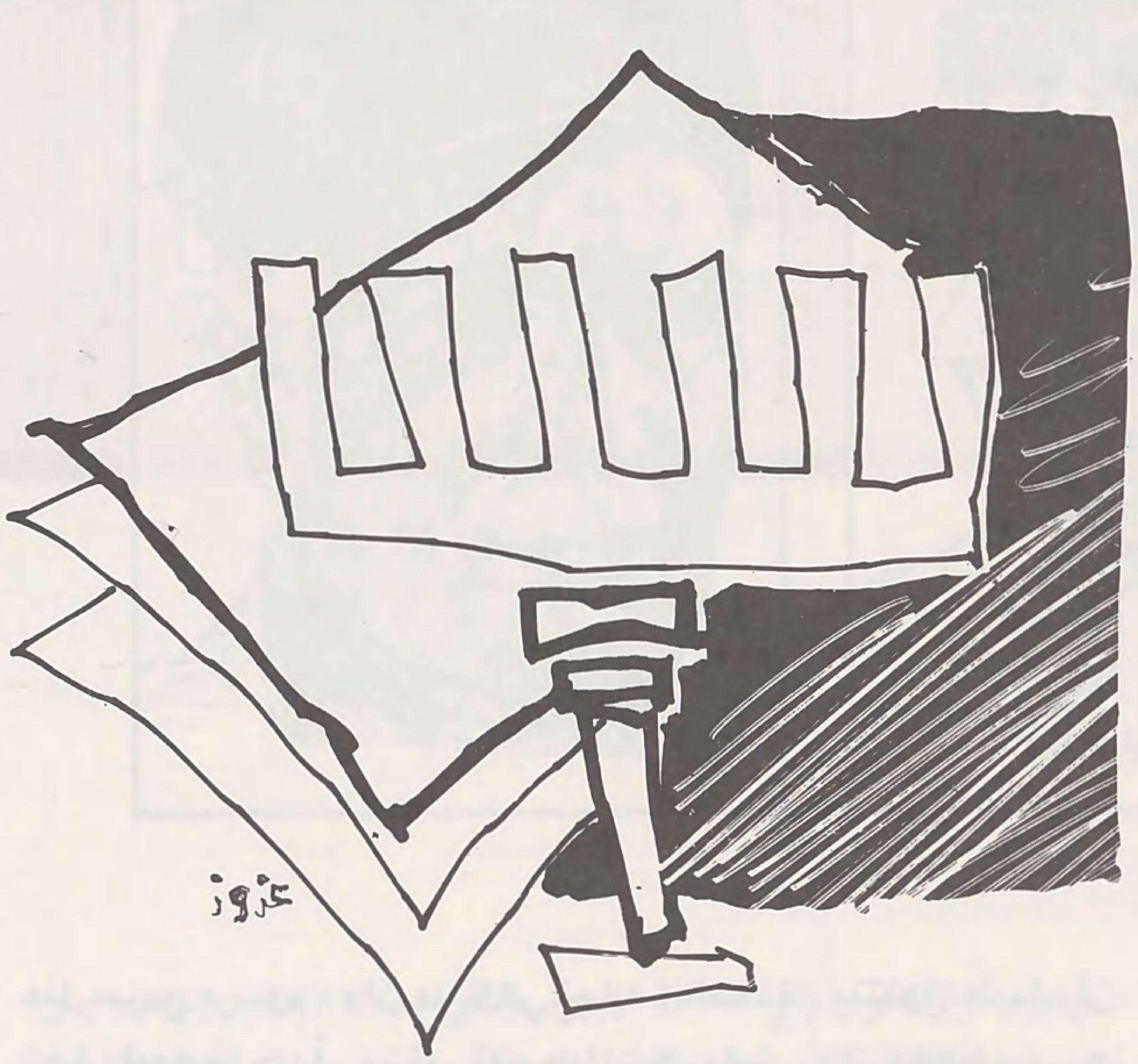

خطط سرية ، ومؤامرات تحاك بليل ، ضد عقيدتنا ووجودنا ، مهما كانت اسماء تلك الخطط والمؤامرات ، فالعبرة بالمسميات نفسها .

إن معطيات سياسات الوفاق الدولي بين المعسكرين الكبيرين ، على مستوى التنفيذ ، وكتاب « مايلز كوبلاند » المعروف (لعبة الأمم) على مستوى التنظير ، ليقدمان لنا يوماً بعد يوم ، وغيرهما كثير ، تاكيداً لهذه المقولة : التخطيط الذي تُرسم ملامحه بدقة متناهية وراء الكواليس ، والذي يقدم لنا مفاتيح الدمار الذي لا يزال يحيق بنا ، يعبث بطاقاتنا البشرية ، باقتصادياتنا وبمصائرنا العقيدية والسياسية والثقافية ، وكل إنكار لهذا وادعاء بغيره إنما يحرمنا من فرص الرؤية الأكثر وضوحاً ونفاذاً ، والتي نحن بامس الحاجة إليها ، رغم الهزة النفسية التي قد تحدثها ، ولكنها الهزة التي تعقب استعداداً اكثر وعياً لما يجري ، واشد تحصّناً إزاء عوامل التفكيك والتدمير .

وهكذا ، وحيث لم يثبت علمياً كون « البروتوكولات » من وضع اليهود ، ولم يثبت علمياً كذلك ، كونها ليست من وضعهم ، فإن القرينة التي تميل بها إلى الاستنتاج الإيجابي ، وهي التطابق الذي يكرر نفسه بين معطياتها وبين الواقع ، تجعل المرء يميل إلى توظيفها كانموذج من بين نماذج عديدة اخرى للعقل اليهودي لكي يحذّر منها ويستفز روح التحدي في الوقت نفسه . إن نفيها من الحساب ليس موقفاً علمياً ، كما انه ليس ضرورة عقيدية او حتى نفسية .

(٦)

ومن قبيل ردّ الفعل ، وتجاهل معطيات الواقع المنظور ، تصوّر الأستاذ عطاري أن الولايات المتحدة الأمريكية ليست خاضعة تماماً لليهود ، وان هذا القول « فيه مبالغة » . . « فهناك رؤساء في الولايات المتحدة وصلوا إلى الرئاسة بدون اصوات اليهود ، وهناك رؤساء امريكيون تحدوا النفوذ اليهودي ، وهناك قوىً كثيرة في الولايات المتحدة وخارجها غير خاضعة لهم » . وعندما يتساءل : « لكن حتى أولئك الرؤساء لم يتخلوا عن إسرائيل ، ويجد نفسه امام حقيقة واضحة تماماً للعيان ، يسوق الجواب باتجاه معاكس تماماً ، فيجعل إسرائيل « رصيداً غربياً » ، و « استثماراً امريكياً » ، بل إنه لا يتردد عن جعلها « ولاية امريكية » .

هل يتسع المجال المحدود هنا لردّ هذه المقولة بسيلٍ من الشواهد

■ إنّ المزايدة على مصائر أُمّتنا التي أرهقها البلاء بتخويفها من الخصم وتعجيزها عن مجابهته حرام ، وحرام كذلك أن نسوقها إلى دفن رأسها في الرمال مطمئنين إيّاها أنه ليس ما يحاك ضدها في الخفاء . ■

التي تؤكد انتخابات الرئاسة وعضوية الكونغرس ، ونزولاً باتجاه المؤسسة والإعلام والثقافة والمجتمع ؟ ولا نزال نذكر الامريكيين « المخلصين » الذين تساقطوا ضحايا لهذا الانسياق ، ولا نزال نرى هيمنة اليهود على الكونغرس صاحب القرار الامريكي ، ولا نزال نتذكر تصريحات « رونالد ريغان » في حملته الثانية لانتخابات الرئاسة .

وعلى سبيل المثال فإن « تقارير المراقبين لسير الحملات الانتخابية للرئاسة الامريكية تشير إلى انه على الرغم من ان الولايات المتحدة تحتفظ بعلاقات متميزة منذ (٣٦) عاماً مع إسرائيل ، إلاّ انه لم يسبق لإدارة امريكية ان ارسلت جنودها لدعم إسرائيل في حروبها ضد البلدان العربية ، إلى ان جاءت إدارة « ريغان » فاحدثت تغييراً مفاجئاً في تلك السياسة ، بفعل اتفاق التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل . وتضيف التقارير ان الذين اقترحوا الإجراءات الاخيرة لدعم إسرائيل اشخاص من اليهود يعملون داخل الإدارة الامريكية ويحتلون مراكز في البنتاجون ووزارة الخارجية والكونغرس والبيت الابيض ، بالإضافة إلى الوضع الذي لم يعد خافياً وهو ان اليهود يتحكمون فعلياً في سير الانتخابات الامريكية بواسطة سيطرتهم على وسائل الدعاية والإعلام هناك ، وبقوة نفوذ المؤسسات المالية اليهودية الكبرى . والمرشحون للرئاسة الامريكية (١٢ مرشحاً) ومنهم « ريغان » يتبارون في إعلان دعمهم وتاييدهم لإسرائيل وسياستها في المنطقة . وفي سعيه لضمان إعادة انتخابه صرّح « ريغان » امام حشد من اليهود الامريكيين - يصوتون في العادة لصالح الديمقراطيين - بقوله : « إن الروابط بين شعبينا تزداد متانة ويجب الاّ تنقطع ابداً . وإن سعي إسرائيل من اجل الامن والسلام (!) في خطر مستمر من قبل الذين يدفعهم الحقد والعنف .. ولإسرائيل صديق هو الولايات المتحدة ، والاصدقاء المخلصون يقفون دائماً متّحدين »[٧] .

إن تصريحات كهذه ، وما اكثرها عبر العقود الاخيرة ، حتى لو كانت تستهدف اللعب على اليهود ، او استغلالهم ، للحصول على المزيد من الاصوات ، فإنها تحمل مغزاها لانها تستهدف ولا ريب استمالة مركز للقوى يلعب دوره الحاسم في رسم سياسات امريكا والتخطيط لمصائرها .

وفي سياق هذا التخطيط الذي لا ينسجم والمصلحة الامريكية ، بل يتناقض معها - احياناً - من اجل مصلحة إسرائيل ، ويردّ بالتالي مقولة ان إسرائيل ولاية امريكية ، [ما ذكرته الهيرالد تربيون] من ان « السياسة الامريكية بانحيازها الاعمى لإسرائيل عمقت العداء بين العرب وامريكا مما سوف يؤدي إلى اعمال ضد المصالح الامريكية اكثر مما كان في الماضي .. وهناك قناعات راسخة لدى الإنسان العربي بان الولايات المتحدة كانت وراء الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢م . كذلك فإن الموقف الامريكي غير المبالي تجاه الممارسات الإسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة ، وتوقيع واشنطون معاهدة التحالف الاستراتيجي مع إسرائيل ، قد قوّض اسس (النزاهة الامريكية) ، وكان من شان ذلك ايضاً ان اضعف نفوذ اصدقاء الولايات المتحدة في بلادهم وفي المنطقة ككل ، إن للولايات المتحدة مصالحها في المنطقة ، وإن المحافظة على هذه المصالح تتطلب تغيير المسار الحالي للسياسة الامريكية »[٨] .

ترى هل ثمة ضرورة لإيراد المزيد من الشواهد ؟ وها هي صرخة النائب اللبناني « ريمون إدّه » لا تزال تطرق اسماعنا « ... امريكا باعت نفسها وروحها وعقلها لإسرائيل .. إسرائيل هي التي تقرر وامريكا هي التي تنفذ ؟ »[٩] .

إن المنظور الماركسي نفسه ، والذي يرى في إسرائيل امتداداً راسمالياً إمبريالياً للغرب ، يسقط بالممارسة الماركسية نفسها ، تلك التي اعانت إسرائيل على القيام ، قبل غيرها ، وامدّتها ، ولا تزال ، بالطاقات البشرية والخبرات ، وغلّت ايدي العرب عن ان تضرب اليهود بسلاح روسي ضربة موجعة حقاً .

ثم إننا لو اعتمدنا منطق الاستاذ عطاري في « التخويف » و « التعجيز » لقلنا : إنه باستنتاجه هذا يمارس الخطيئة نفسها .. فما دامت إسرائيل « ولاية امريكية » ، فمن يجرؤ على إعلان الحرب ضد امريكا ؟

اليس هذا ما قيل في حرب حزيران (يونيو) لتبرير الهزيمة النكراء ؟!

---

(١) للاطلاع على تفاصيل الحيثيات التوثيقية للبروتوكولات يمكن الرجوع إلى الدراسة التي قدم بها مترجم الكتاب الاستاذ محمد خليفة التونسي للبروتوكولات ، وخاصة الصفحات : ٣٣ - ٥٤ (الطبعة الرابعة ، دار الكتاب العربي ، بيروت - ١٩٦١م) .

(٢) المرجع السابق ص : ٨٥ - ٨٦ .

(٣) انظر مجلة « الامة » ، العدد الخامس والاربعين ، حزيران (يونيو) ١٩٨٤م ، ص : ٥٣ ، ٦١ .

(٤) بروتوكولات حكماء صهيون ، المقدمة ص : ١٤ - ١٥ .

(٥) المرجع السابق ص : ١٥ .

(٦) يمكن الرجوع إلى كتاب « اضواء جديدة على لعبة اليمين واليسار » للكاتب .

(٧) مجلة « الامة » العدد السابع والاربعين ، آب (اغسطس) ١٩٨٤م ، ص : ٨٧ .

(٨) المرجع السابق ص : ٩٣ .

(٩) المرجع السابق ، العدد الحادي والخمسين ، كانون الاول [ديسمبر] ١٩٨٤م ، ص : ٦٤ ، وانظر - كذلك - العدد الثالث والخمسين ، شباط ١٩٨٥م ، ص : ٨٨ ، العدد الثالث والثلاثين ، حزيران ١٩٨٣م ، ص : ٨٥ ، العدد الثامن والثلاثين ، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٣م ، ص : ٨٥ .

لمحات من عصر القُرْطُبي في تفسيره

■■ لعلَّ أصدق ما يحدِّثنا عن الماضي هو ما يرد عنه في غير الكتب التاريخية ، فهذه الكتب قد يعتريها التزييف والتحريف ؛ لأسباب مختلفة ، نص عليها علماء المنهج النقلي ، ولا مجال لتفصيل القول فيها ، ومن ثم لا تصور الأحداث الخالية نقية من شوائب الأهواء ، بل قد تدون هذه الأحداث على نحو مخالف تماماً للحقيقة العلمية ، بيد أن ما يكتب عن الماضيَ في الدراسات غير التاريخية يكون غالباً بمنجاة من التزييف وقلب الحقائق ؛ لأنه يسجل عَرَضاً ، وكأنه خاطرة انبثقت عن تداعي المعاني ، ولذا كان احتمال التحريف فيه بعيداً ، وكان أصدق في الدلالة على القضايا التاريخية من كتب التاريخ .

ولدينا في تراثنا الفكري مؤلفات كثيرة ومتنوعة الموضوعات وليست خاصة بعلم التاريخ ، قد اشتملت على لمحات تاريخية تعد مادة علمية دقيقة للحديث عن الماضي وسماته المختلفة . ■■

بقلم : الدكتور
محمد الدسوقي

ومن هذه المؤلفات كتاب « الجامع لأحكام القرآن » لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، فهو موسوعة في التفسير الذي يغلب عليه طابع البحث الفقهي ، ومع هذا أومأ مؤلفه في غضون شرحه لآيات الكتاب العزيز إلى بعض الأحداث التاريخية التي تقدم لنا طرفاً من ملامح الصورة الحزينة لغروب شمس الإسلام في الفردوس المفقود .

والإمام القرطبي علم من أعلام الفكر الإسلامي ، فهو مفسر وفقيه ومحدِّث ولغوي ومتكلم ، وبعبارة موجزة كان موسوعي الفكر ، ويمثل كتابه « الجامع لأحكام القرآن » ثقافته الموسوعية أصدق تمثيل .

وقد عاش هذا الإمام في القرن السابع الهجري ، وقضى أيام طفولته وشبابه بقرطبة ، ثم رحل عنها إلى مصر بعد سقوط هذه المدينة بأيدي النصارى ، واستقر به المقام بمدينة المنيا ، وتوفي فيها سنة ٦٧١هـ .

قرن التآمر الضاري

ويعد القرن السابع قرن التآمر الضاري ضد الوجود الإسلامي في الأندلس ، فقد سقطت فيه معظم المدن والقلاع ، ولم يبق بأيدي المسلمين سوى غرناطة وبعض القرى الصغيرة .

وكانت بداية النهاية للمسلمين في الأندلس مع مستهل القرن الخامس ، فقد تنازعوا وتفرقوا ، واقاموا في كل مدينة مملكة ، واضفى كل حاكم على نفسه لقباً يباهي به غيره ، ومما قاله بعض الشعراء ساخراً من هذه الالقاب التي لا تترجم عن معنى ..

ممَّا يُزَهِّدُني في ارضِ اندلسٍ ... القابُ معتضدٍ فيها ومعتمدِ
القابُ مملكةٍ في غيرِ موضِعِها ... كالهِرِّ يحكي انتفاخاً صولةَ الأسدِ

وضاعف من بلاء المسلمين تعاون بعضهم مع عدوهم ضد بعضهم الآخر ، وقد يسر ذلك التحالف الآثم لعدوهم ان يعدو عليهم ، ويستولي على مدنهم واحدة بعد أخرى ، وكانت « طليطلة » التي سقطت في النصف الثاني من القرن الخامس اول مدينة عامرة بالعلم والحضارة تضيع من المسلمين ، ثم سقطت سائر مدن الأندلس بعد ذلك ، وكانت غرناطة آخر معقل انتهى بسقوطه الوجود الإسلامي في الأندلس ، وكان ذلك في اواخر القرن التاسع .

وإذا كانت مسؤولية ضياع الأندلس تقع على عاتق المسلمين ، فإن المؤرخ المنصف لا يستطيع أن ينكر ان أوروبا كلها كانت من وراء القوات التي اقتلعت جذور الإسلام من الأندلس ، وانها كانت مدفوعة بحقدها الصليبي الارعن الذي لم ينس الهزيمة المنكرة في معركة « حطين » .

وماذا بعد هذا عمَّا ورد في كتاب « الجامع » من لمحات تاريخية تقدم لنا أهم معالم العصر الذي عاش فيه القرطبي ؟..

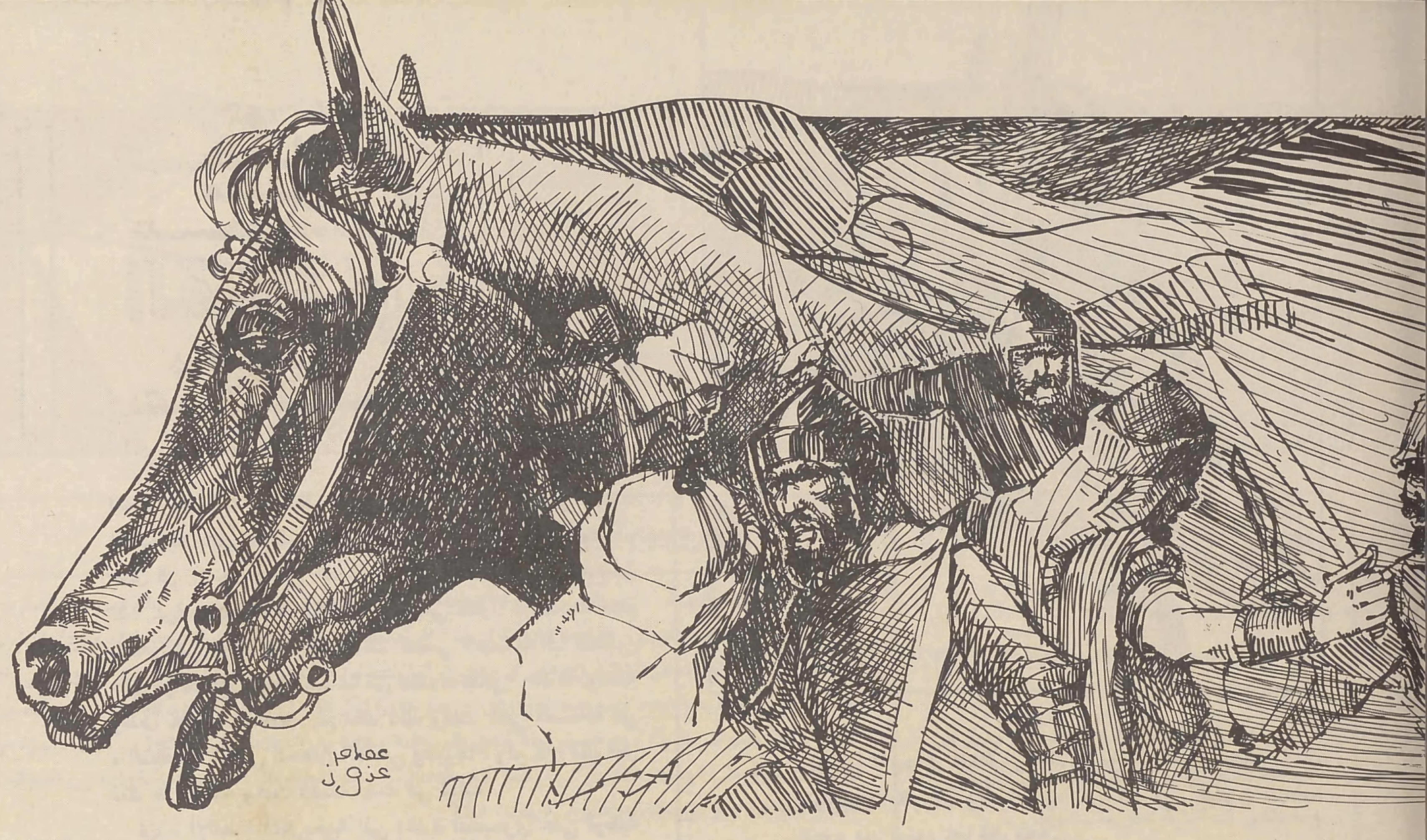

لمحات تاريخية

إن تلك اللمحات كثيرة ، ويمكن الاجتزاء منها بما يلي :

اولاً : اوما القرطبي في اكثر من موضع في تفسيره إلى ان الحكام في عصره حادوا عن سواء السبيل ، فهم يظلمون ويرتشون ، وهم من ثم ليسوا اهلاً للطاعة ولا للتقدير ؛ ففي تفسير قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٨) ينقل رأياً لمفسر اندلسي هو ابن عطية حول معنى هذه الآية ، وهذا الراي هو : اي لا تصانعوا بأموالكم الحكام وترشوهم ؛ ليقضوا لكم على اكثر منها ، قال ابن عطية : وهذا القول ارجح ؛ لأن الحكام مظنة الرشا إلَّا من عصم الله وهو الأقل ، ويعلق القرطبي على ترجيح سلفه واحد من نقل عنهم واعتمد عليهم في تفسيره فيقول : فالحكام اليوم عين الرشا لا مظنته ، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله .

اما الآية التي تامر بطاعة الله ورسوله واولي الامر وهي : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (النساء : ٥٩) فيذهب في تفسيرها إلى ان طاعة اولي الامر مقيَّدة بما كان لله فيه طاعة ، ثم يقول : إنَّ ولاة زماننا لا تجوز طاعتهم ولا معاونتهم ولا تعظيمهم ، ويجب الغزو معهم متى غزوا ، والحكم من قبلهم وتولية الإمامة والحسبة وإقامة ذلك على وجه الشريعة .

فهو يرى ان طاعة ولاة عصره غير واجبة ؛ لانهم عصوا وبغوا ، ولكنه مع هذا يرى ان هؤلاء إن دعوا إلى الجهاد فيجب الغزو معهم ، كما ان اعمالهم من الحكم بين الناس او تعيين من يرعى مصالح الامة لا تكون مقبولة إلَّا إذا جاءت على وجه الشريعة .

ثانياً : وإذا كان القرطبي قد تعرض للحكام في عصره بمثل ما ذكرت طرفاً منه فإنه قد تعرض كذلك لعامة الناس موضحاً انهم على دين ولاتهم ، فقد فشا بينهم الظلم ، وضعف وازع الدين في نفوسهم ، وكثرت فيهم البدع والمنكرات ومع هذا يتظاهرون بالورع ويخلعون على انفسهم من الالقاب والنعوت ما يناقض سلوكهم وافعالهم ، ففي تفسير قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (آل عمران : ١٣٥) تحدث عن الاستغفار والشروط التي ينبغي ان تتوافر فيه ، ليكون صحيحاً مقبولاً ، ونقل عن الحسن البصري (ت : ١١٠هـ) انه قال : استغفارنا يحتاج إلى استغفار ؛ ويعلق القرطبي على كلمة الحسن البصري بقوله : هذا يقوله في زمانه ، فكيف في زماننا هذا الذي يُرى فيه الإنسان مكباً على الظلم حريصاً عليه لا يقلع ، والسبحة في يده زاعماً انه يستغفر الله من ذنبه ، وذلك استهزاء منه واستخفاف .

والقرطبي بهذا التعقيب يصوِّر في إيجاز ما كان عليه المجتمع في عصره بوجه عام من فساد ، ويبين ان الناس كانوا مع مروقهم من الدين يزعمون انهم يخشون ربهم ، ويشفقون من حسابه وعذابه ، وهو سلوك يعكس عدم الورع ، والاستهانة بما كتب الله على عباده .

ثالثاً : وكما تحدث القرطبي في لمحاته عن الحكام والعامة سجَّل بعض الأحداث التاريخية ، وفي مقدمتها ذلك الحدث الجلل الذي عاينه وهو في سن الطلب ، وكان له ابلغ الأثر في نفسه ، ولعلَّه كان السبب في رحيله عن الأندلس وإقامته بصعيد مصر .

إن ذلك الحدث هو محاولات النصارى ووسائلهم في الاستيلاء على قرطبة قبل ان تسقط في ايديهم ، ففي تفسير قول الله تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً ، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران : ١٦٩) تناول عدة قضايا من اهمها : غسل الشهيد والصلاة عليه ودفنه ، ثم تطرق إلى الذين يصابون في المعركة ، ولكن يموتون بعدها ، هل يعدون شهداء اولا ؟ وايضاً أولئك الذين ياخذهم العدو على غرة فيقتلون ، فهل يكون حكمهم حكم قتيل المعترك ، او حكم سائر الموتى ؟ ثم قال : وهذه المسالة نزلت عندنا بقرطبة ـ اعادها الله ـ اغار العدو ـ قصمه الله ـ صبيحة الثالث من رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وستمائة ، والناس في اجرانهم على غفلة فقتل واسر ، وكان من جملة من قُتل والدي ـ رحمه

لمحات من عصر القرطبي في تفسيره

الله ـ ، فسالت شيخنا المقرىء الأستاذ ابا جعفر احمد المعروف بابي حجة ، فقال : غسِّله وصلِّ عليه ، فإنَّ اباك لم يقتل في المعترك بين الصفين ؛ ثم سالت شيخنا ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع بن أبيٍّ فقال : إنَّ حكمه حكم القتلى في المعترك ، ثم سالت قاضي الجماعة أبا الحسن علي بن قطرال وحوله جماعة من الفقهاء فقالوا : غسِّله وكفِّنه وصلِّ عليه ، ففعلت . ثم بعد ذلك وقفت على المسالة في « التبصرة » لأبي الحسن اللخمي وغيرها ، ولو كان ذلك قبل ذلك ما غسَّلته وكنت دفنته بدمه في ثيابه .

فهذه الإشارة التاريخية إلى إغارة النصارىٰ على قرطبة والتي وردت في معرض الحديث عن الشهداء تعطينا بعض الحقائق عن الصراع الدامي بين المسلمين وأعدائهم في الأندلس ، وايضاً عن حياة القرطبي وتاريخ تاليفه لكتابه على وجه التقريب .

لقد لجا العدو إلى اسلوب الإغارة المباغتة للسلب والقتل ، وكان بهذا يسعىٰ لزعزعة ثقة المسلمين بقدرتهم على التصدي له ؛ ليكون ذلك تمهيداً لإحكام قبضته عليهم في يسر .

اما ما يتعلق بحياة القرطبي فإنَّ المؤرخين له لم يعينوا تاريخ مولده ، ويمكن استناداً إلى هذه الإشارة القول بأن القرطبي ولد في العقد الأول من القرن السابع الهجري ؛ بدليل انه سال شيوخه عما يجب ان يفعله بالنسبة لوالده ، فهو إذنْ كان في ذلك الوقت في مرحلة الطلب ، ولم يكن قد بلغ مبلغ العلماء الذين لا يستفتون غيرهم ، وإن كان سؤاله لأكثر من شيخ يؤذن بانه كان في مرحلة متقدمة من مراحل دراسته ، وانه لم يطمئن لكل ما سمعه ، وظلَّت القضية تشغل ذهنه حتى وجد حلّاً لها في بعض المؤلفات الفقهية المعتبرة .

والمعروف تاريخياً ان قرطبة سقطت في الثاني والعشرين من شوال سنة (٦٣٣هـ) ، أي بعد تلك الإغارة بست سنوات ، وما ذكره القرطبي يعطي انه ألَّف كتابه بعد أن تغلب النصارىٰ على هذه المدينة التي يقول عنها الحميري صاحب « الروض المعطار » : ومحاسن هذه المدينة وشماختها اكثر من ان يحاط بها خُبْراً ، فقد أورد في غضون حديثه كلمة ـ أعادها الله ـ وهي تومىء إلى ان المدينة ـ والقرطبي يؤلف كتابه ـ كانت قد ضاعت من أهلها ، وهذا يعني انه بدأ يكتب تفسيره وهو في نحو الأربعين من عمره .

سنَّة الله جارية

رابعاً : ولم ينس القرطبي ان يسجل في تفسيره أهم اسباب الكارثة التي المَّت بالمسلمين في الأندلس ، فادالت دولتهم ، واذهبت بريحهم ، وذلك عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (النساء : ١٤١) فقد أورد طائفة من آراء العلماء في تفسير هذا الجزء من الآية الكريمة ، ولكنه رجح ان الله سبحانه

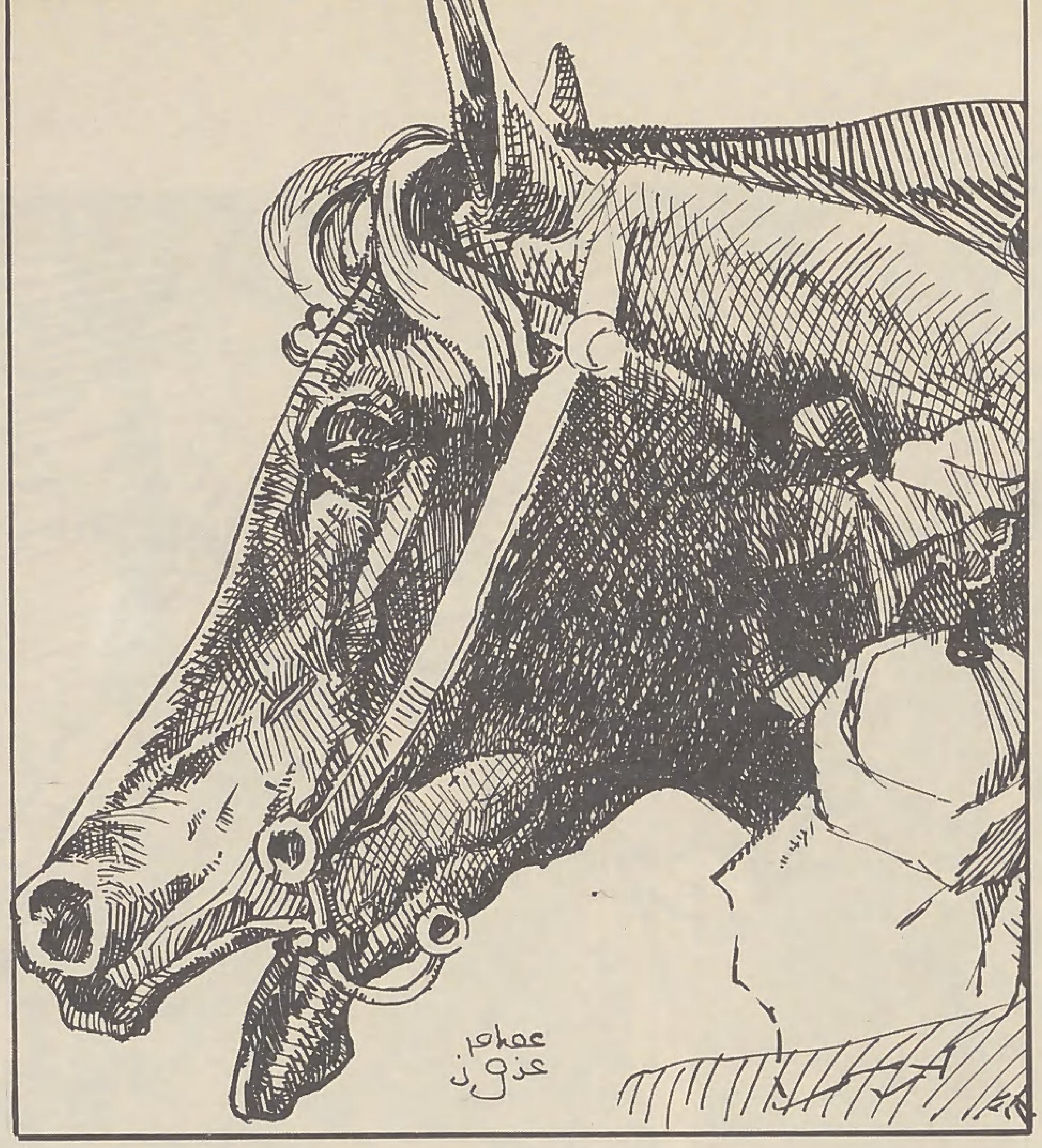

وتعالى لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً منه إلَّا ان يتواصوا بالباطل ولا يتناهوا عن المنكر ، فيكون تسليط العدو من قبلهم كما قال تعالى :

﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (الشورىٰ : ٣٠) .

ويدلل القرطبي على هذا بما جاء في صحيح مسلم من حديث ثوبان عن النبي ﷺ قال : « وإني سالت ربِّي الَّا يهلكها بسَنَةٍ عامة والَّا يسلط عليهم عدواً من سوىٰ انفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد إنِّي إذا قضيت قضاء فإنه لا يُردّ ، وإني قد اعطيتك لأمَّتك الَّا أُهلكهم بسَنَةٍ عامة والَّا أسلِّط عليهم عدواً من سوىٰ انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم مَن باقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويَسْبي بعضهم بعضاً » .

ثم يقول : إنَّ « حتى » في حديث ثوبان « حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ... إلخ » تدل على الغاية ، فيقتضي ظاهر الكلام انه لا يسلط عليهم عدوهم فيستبيحهم إلَّا إذا كان فيهم إهلاك بعضهم لبعض ، وسبي بعضهم لبعض ، وقد وجد ذلك في هذه الأزمان بالفتن الواقعة بين المسلمين ، فغلظت شوكة الكافرين واستولوا على بلاد المسلمين حتى لم يبق من الإسلام إلَّا اقلّه ، فنسال الله ان يتداركنا بعفوه ونصره ولطفه .

وفي هذا إشارة إلى انَّ ما حلَّ بالمسلمين بالأندلس إنما كان بإثم ما اجترحت نفوسهم وايديهم ، وان شوكة الكفر لم تَقو إلَّا لان المسلمين عدا بعضهم على بعض وكثرت فيهم الفتن والصراعات ، ولم يعتصموا بحبل الله كما امرهم ربهم ، فضاعت هيبة الإسلام ودالت دولته في الفردوس المفقود .

وما اشبه الليلة بالبارحة !

وبعد ؛ فإنَّ القرطبي الذي عاش مأساة المدينة التي نسب إليها والذي هاجر من الأندلس بعد ان تقلص وجود المسلمين فيها اوما في اكثر من موضع في تفسيره إلى سنة الله في خلقه ، وبيَّن ان أهل الحق إن تخلوا عنه ، وعكفوا على الشهوات ، وتنازعوا على حطام الحياة ، وقعدوا عن البذل والجهاد ، فإنَّ الباطل تعلو كلمته وتخفق رايته ، وكانه بذلك يحذر المسلمين من هذا المصير الذي آل إليه امر إخوانهم في الأندلس ، حتى لا تتكرر المأساة ، فسنَّة الله في خلقه لا تتخلف ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ .

□ هذه البطاقات عبارة عن أفكار وتصريحات وأقوال ذات مساحات محددة يلتقطها بعض الإخوة من القراء بما يتمتعون به من حواس ذكيَة . ومن ثمَّ يقدمونها من خلال هذه الصفحة ..

وهي محتجزة لتقديم كل نافع ومفيد من هذه العصارات المكثفة ، التي يُشار فيها إلى مكمن خطر .. أو يُكشف فيها قناع عن وجه عدو للأمة ومقوِّماتها .. أو يبصِّر برؤية ويسدد طريقاً ويقوِّم منهجاً . تحت عنوان خير الكلام ما قلّ ودل □

الخطــر على إســرائيل كمــا تتصــوره

□□ جاء في تعليق لإذاعة إسرائيل مساء [٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٨م] :

(إن عودة الروح الدينية للظهور من جديد في المنطقة تشكل تهديداً مباشراً لمستقبل إسرائيل ، ولمستقبل الحضارة الغربية باسرها ...

إن عودة الروح الدينية بهذا الشكل المفاجيء دليل على فشل جميع أساليب القمع التي استعملها اصدقاؤنا للقضاء على الـروح الإسلاميـة في المنطقة ، مما يحتم على جميع الذين يعتبرون الإسلام عدواً تاريخياً لهم ان يعيدوا النظر في الامر ؛ للتوصل إلى الاتفاق على اساليب جديدة وحاسمة لوقف الزحف الإسلامي الجديد الذي بدات بوادره في مصر وسوريا و إيران وافغانستان ونخشى ان تمتد إلى تركيا ، ذلك البلد الذي بذلنا نحن اليهود جهوداً مضنية حتى استطعنا القضاء على الروح الإسلامية فيه ، على يد اعواننـا واصدقائنا هناك ... إنَّ بعض السذَّج من اليهود واصدقائهم يحاولون التقليل من اهمية ما يجري في افغانستان وإيران وتركيا باعتبارها بعيدة عن إسرائيل ، ولان لإسرائيل فيها اصدقاء وحلفاء كثيرين ، ولكن هؤلاء السذج ينسون ان إسرائيل محاطة بملايين المسلمين من العرب ، وان اخطر الحركات الإسـلاميـة المتعصبـة تنشب بينهم وتنتظر الفرصة المواتية وتفاجيء العالم كله وتفاجيء إسرائيل بصيحات الجهاد .

إنَّ على اليهود واصدقائهم ان يدركوا ان الخطر الحقيقي الذي تواجهه إسرائيل هو خطر عودة الروح الإسلامية إلى الاستيقاظ من جديد ، وإن على المحبين لإسرائيل ان يبذلوا كل جهدهم لإبقاء الروح الإسلامية خامدة ، لانها إذا اشتعلت من جديد فلن تكون إسرائيل وحدها في خطر ، ولكن الحضارة الغربية كلها ستكون في خطر ...) □□

عن كتاب : « عداء اليهود للحركة الإسلامية » زياد على ص ٣٦ ـ ٣٧

من الدكتور : نعمان عبد الرزاق السامرائي

[الريــاض]

في روســـيا : فتح باب الهجــرة لليهود

□□ ذكرت إذاعة الجيش الإسرائيلي ان (٢٨٠) عائلة يهودية ستحصل على ما يبدو في القريب على تصاريح خروج من الاتحاد السوفييتي ، وذكرت الإذاعة ان هذا الامر يشير إلى حدوث تحول في السياسة السوفييتية بشان الهجرة من هناك ، وجاء في التقرير الإذاعي ان هذا يعد اكبر عدد من المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفييتي منذ عدة اشهر ، ويضم هذا العدد اشخاصاً كانوا يقومون بنشاط من اجل السماح بهجرة اليهود السوفييت ، ورافضين للهجرة منذ سنوات طويلة ، ومعلمين للغة العبرية ، وشخصيات بارزة لها دور في الكفاح من اجل الهجرة من الاتحاد السوفييتي ، واشار التقرير إلى ان هذا الامر يثبت ان الزعيم السوفييتي الجديد « ميخائيل جورباتشوف » يتمتع بموقف ليبرالي تجاه موضوع اليهود ! □□

عن (الأخبـار) المصرية من القارىء : محمود الدسوقي [القاهرة]

المسلمون يخســرون (٥٠) بليون دولار !

□□ بلغت الاضرار التي لحقت بالمنشآت النفطيـة للدولتيـن المتحاربتيـن ـ العراق وإيران ـ حتى الآن ، ما يزيد عن خمسين بليون دولار ! □□

مجلة « أوربست » الأمريكية التي تصدر كل ثلاثة شهور لتناول الشئون العالمية

القارىء : عبد الله حمد الأزرق (نيويورك)

تســاؤل ؟

□□ « آرثـر كريس » البـاحث الامريكي والأستاذ السابق بالجامعة الأمريكية ببيروت يعكف الآن على إعداد دراسة مكثفة حول دور الدعوة الإسلامية في المجتمع المصري خلال السنوات العشر الأخيرة بتكليف من مركز البحوث الأمريكي التابع لجامعة كولومبيا الأمريكية ! وتاتي هذه الدراسة ضمن عدة ابحاث يعدها المركز للتعرف على طرق الدعوة الإسلامية واساليبها في اثنتي عشرة دولة عربية وإسلامية منها : مصر والمغرب وإيران وإندونيسيا .

[وإني اتساءل .. هل يدرسون دور الدعوة الإسلامية لدعمها ام لوادها ..؟؟!!] □□

جريدة [المسلمــون]

القارىء : إسماعيل عبد العاطي علي

[القاهــرة]

من كتب وثيقـــة الانتـداب البريطاني علـى فلســطين ؟

□□ قال حاييم وايزمان في كتابه « التجربة والخطأ » :

[... وعدت إلى لندن في خريف سنة ١٩٢١م ، وكان الغرض من رجوعي انني دُعيت إلى لندن لأشرف على كتابة مشروع وثيقة الانتـداب البريطاني على فلسطين .. وكان يجب أن تعرض هذه المسودة على عصبة الأمم لتصدر بها قراراً بعد ان وافق مؤتمر « سان ريمو » على فكرة الانتداب ذاتها ...

وكان لورد كِرْزون قد ولي وزارة الخارجية محل بلفور ، وكان هو المسؤول عن وضـع مشـروع الوثيقة ، وكـان معنا في لندن القانوني الشهير « بن كوهين » ، وهو من اقدر واضعي الصيـغ القانونية في العالم ، وكان « إيريك فوربس آدم » ، سكرتيـر كـرزون يتعاون معنا ...] .. □□

[الغربـــاء]

(العدد الرابع السنة ١١)

القارىء : عزيز فياض ـ لندن

يا أمتي وجب الكفاح

الدكتور : يوسف القرضاوي

●● ألمّت بفضيلة الدكتور الشيخ : يوسف القرضاوي وعكة صحية ألزمته الفراش ، فانطلق من آلام العمود الفقري التي يعاني منها ... إلى آلام أمّته ... وذكّرته آلام العمود الفقري عمود الشعر العربي الذي تعلق به في مطلع شبابه ، ثم تركه ليتفرغ للعلم .. ندعو الله أن يمن عليه بالشفاء العاجل . ●●

يَا أُمَّتي وَجَبَ الكِفاحْ فَدَعي التَّشَدُّقَ وَالصِّياحْ
وَدَعي التَّقاعُسَ ؛ لَيْسَ يُنْـ.........ـصَرُ مَنْ تَقَاعَسَ وَاسْتَراحْ
ما عادَ يُجْدينا البُكا ءُ علىٰ الطُّلولِ ولا النُّواحْ
إنَّا نَتوقُ لِألْسُنٍ بُكْمٍ علىٰ أيْدٍ فِصاحْ
يَا قَوْمُ .. إنّ الأمرَ جِدٌّ قَدْ مَضَىٰ زَمَنُ المِزَاحْ
سَمُّوا الحقائِقَ باسْمِهَا فالقَومُ أمْرُهُمُ صُرَاحْ
سَقَطَ القناعُ عن الوُجو هِ .. وَفِعْلُهُمْ بالسِّرِّ بَاحْ
عادَ الصَّليبيُّونَ ثـ.........ـانِيَةً وَجالوا في البِطاحْ
عاثوا فساداً في الدِّيا رِ كَأنَّها كَلأٌ مُباحْ
عادوا وما في الشَّرْقِ (نو رُ الدِّينِ) يَحْكُمُ أَوْ (صَلاحْ) !
كُنَّا نَسينا ما مَضَىٰ لٰكِنَّهُمْ نَكَأوا الجِراحْ !
أرَأَيْتَ لُبْناناً وَما يَجْري بِهِ في كُلِّ ساحْ ؟
أَرَأَيْتَ « شاتيلاّ » و « صَبْـ.........ـرا » و « البَراجِنَ » والضَّواحْ ؟
أَرَأَيْتَ مَنْ حَمَلوا أَنا جيلَ البِشارَةِ والسَّماحْ ؟
ما هُمْ مِنَ الإنْجيلِ إلاَّ مِثْلَ أَبْنَاءِ السِّفاحْ
لَمْ يَخْجَلُوا من ذَبْحِ شَيْـ.........ـخ .. لَوْ مَشَىٰ في الرِّيحِ طاحْ
أوْ صِبْيَةٍ كَالزَّهْرِ لَمْ يَنْبُتْ لَهُمْ ريشُ الجناحْ
ذَبَحوا الصَّبيَّ وَأُمَّهُ وَفَتَاتَها ذاتَ الوِشاحْ
عَبَثُوا بأجْسادِ الضَّحايا في انْتِشَاءٍ وانْشِراحْ
لَمْ يَشْفِ حِقْدَهُمُ دَمٌ سَفَحوهُ في صَلَفٍ وَقاحْ
فَغَدَوْا علىٰ الأعْراضِ لَمْ يَخْشَوا قِصاصاً أَوْ جُناحْ
ما ثَمَّ (مُعْتَصِمٌ) يُغيـ.........ـثُ مَنِ اسْتَغاثَ بِهِ وَصاحْ
أَرَأَيْتَ كَيْفَ يُكَادُ لِلإسْـ.........ـلامِ في وَضَحِ الصَّباحْ ؟
أَرَأيتَ أقْصَانا ، وَما هَدَمَ العَدُوُّ وَما اسْتَبَاحْ ؟
أَرَأَيْتَ أَرْضَ الأنبيـ.........ـاءِ .. وَما تعاني من جِراحْ ؟
أَرَأَيْتَ كَيْفَ بَغَىٰ اليَهو دُ ، وَكَيْفَ أَحْسَنّا الصِّياحْ ؟
غَصَبوا فِلَسْطيناً وَقا لوا : ما لَنا عَنْها بَراحْ
كشروا عن الأنياب لم يخفوا وجوهَهُم القِبَاح
لَمْ يَعْبَأُوا بِقَرارِ (أَمْـ.........ـنٍ) دانَهُمْ أَوْ باقْتِراحْ
وَلَطالَما اجْتَرَحوا العَظا ئِمَ ، لَمْ يُبالُوا باجْتِراحْ
عادَ التَّتارُ يَقُودُهُمْ جنْكيزُ ذو الوَجْهِ الوَقاحْ
عادَتْ جيوشُهُمو تُهَدِّ دُ بالخَرابِ وَالاجْتِياحْ
يا وَيْلَ أَرْضٍ دَنَّسو ها .. إنَّهُمْ عُقْمُ الرِّياحْ
عادوا وَلا (قُطُزٌ) يُنا دي المُسْلِمينَ إلى الكِفاحْ
لولا صَلابَةُ فِتْيَةٍ غُرٍّ بِدينِهِمو شِحاحْ
في أَرْضِ أَفْغانَ العَريقَـ.........ـةِ في البُطولَةِ وَالصَّلاحْ
غَنِموا السِّلاح مِنَ العَدُ وِّ ، وَقاتَلوهُ بِذا السِّلاحْ
بَذَلوا الدِّماءَ ، وما علىٰ مَنْ يَبْذُلُ الدَّمَ مِنْ جُناحْ
بسيوف (سيافٍ) وقلب الد ينِ أبْطالِ النِّفاحْ
ورِجالِ (برهانٍ) ويُو نُسَ والمَغاويرِ الصِّباحْ
قَدْ بَيَّضوا وَجْهَ الحَنيـ.........ـفَةِ لَيْسَ ذٰلِكَ بِامْتِداحْ

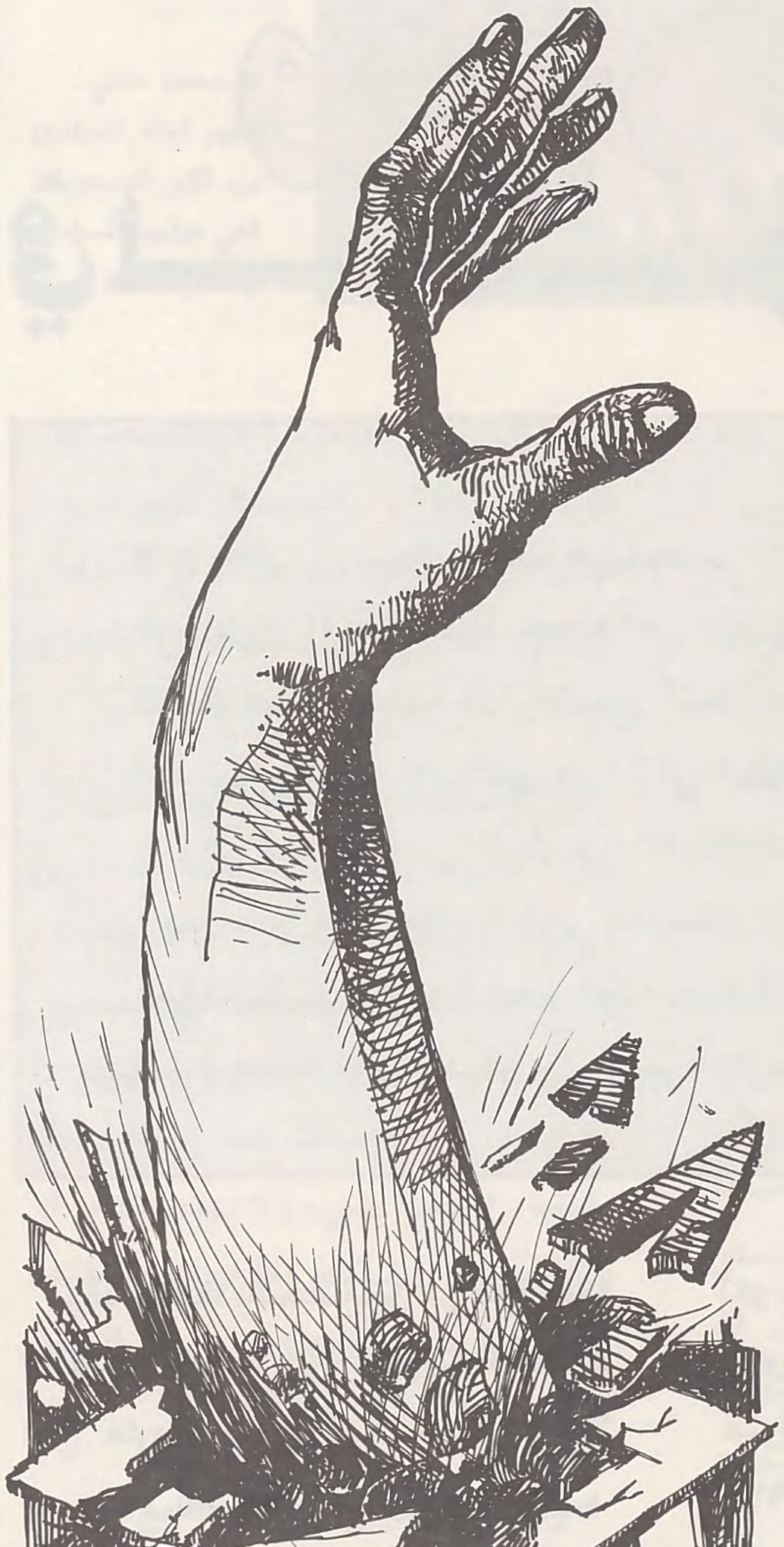

عَادَ المُروقُ مُجاهِراً   ما عَادَ يُخْشىٰ الافتِضاحْ
نَفَقَتْ هُنا سوقُ النِّفا   قِ تُروِّجُ الزُّورَ الصُّراحْ
فيها يُباعُ الفِسْقُ تَحْـ   ـتَ اسْمِ الفُنونِ والانفِتاحْ
وَتَرىٰ الفَسادَ يَصولُ جَهْـ   ـراً في الغُدُوِّ وَفي الرَّواحْ
وَالباطِنِيَّةُ مَثَّلوا الدَّ   وْرَ المُقَرَّرَ في نَجاحْ
وَتَطاوَلَ المُرتَدُّ لا   يَخْفىٰ مِنَ الكُفْرِ البَواحْ
مِنْ كُلِّ أكْذَبَ مِنْ « مُسَيْـ   ـلَمَةٍ » وَأفْجَرَ مِنْ « سَجاحْ »
وَجَدَ الحُصونَ بِغَيْرِ حُرّا   سٍ ، في حِمانا المُسْتَباحْ
وَتَعالَتِ الأصْواتُ تَدْ   عو لِلفُجورِ وَلِلسِّفاحْ
مَسْعورَةً .. إنْ رُحْتَ تَزْ   جُرُها تَمادَتْ في النُّباحْ
ما مِنْ (أبي بَكْرٍ) يُؤَدِّ   بُهُمْ ، وَيَكْبَحُ مِنْ جِماحْ
وَيُعيدُهُمْ لِحَظيرَةِ الإيـ   ـمانِ قَدْ خَفَضوا الجَناحْ
يا أُمَّةَ الإسْلامِ هُبُّـ   ـوا وَاعْمَلوا ، فَالوَقْتُ راحْ
الكُفْرُ جَمَّعَ شَمْلَهُ   فَلِمَ التَّنازُعُ والانْتِطاحْ ؟
فَتَجَمَّعوا وَتَجَهَّزوا   بِالمُسْتَطاعِ وَبِالمُتاحْ
يا أَلْفَ مِلْيونٍ وَأيْـ   ـنَ هُمو إذا دَعَتِ الجِراحْ ؟
هاتوا مِنَ المِلْيارِ مِلْـ   ـيوناً ، صِحاحاً مِنْ صِحاحْ
مِنْ كُلِّ أَلْفٍ واحِداً   أغْزو بِهِمْ في كُلِّ ساحْ
مِنْ كُلِّ صافي الرُّوحِ يو   شِكُ أنْ يَطيرَ بِلا جَناحْ
مِمَّنْ يَخِفُّ إلىٰ صَلا   ةِ اللَّيْلِ بادِيَ الارْتِياحْ
مِمَّنْ يَعِفُّ عَنِ الحَرا   مِ وَلَيْسَ يُسْرِفُ في المُباحْ
مِمَّنْ زَكا بِالصَّالِحا   تِ وَذِكْرُهُ كَالمِسْكِ فاحْ
مِمَّنْ يَهيمُ بِجَنَّةِ الـ   ـفِرْدَوْسِ لا الغيدِ المِلاحْ
بَكَّاءُ مِحْرابٍ ، وَلٰكِـ   ـنْ في الوَغىٰ كَبْشُ النِّطاحْ
مُرٌّ علىٰ أعْدائِهِ   وَلِقَوْمِهِ ماءٌ قُراحْ
في الرَّوْعِ يَبْذُلُ رُوحَهُ   ويقول عند الغُنْمِ : صاحْ
إنْ ضاقَتِ الدُّنْيا بِهِ   وَسِعَتْهُ (سورَةُ الانْشِراحْ)
لا بُدَّ مِنْ صُنْعِ الرِّجا   لِ ، وَمِثْلِهِ صُنْعِ السِّلاحْ
وَصِناعَةُ الأبْطالِ عِلْـ   ـمٌ قَدْ دَراهُ أولو الصَّلاحْ
مَن لَمْ يُلَقَّنْ أصلَهُ   من أهْلِهِ فَقَدَ النَّجاحْ
لا يُصْنَعُ الأبْطالُ إلاَّ   في مَساجِدِنا الفِساحْ
في رَوْضَةِ القُرْآنِ في   ظِلِّ الأحاديثِ الصِّحاحْ
لا يَسْتَوي في مَنْطِقِ الإِ   يمانِ سَكْرانٌ وَصاحْ
مَنْ هَمُّهُ التَّقْوىٰ وَآ   خَرُ هَمُّهُ كَأْسٌ وَراحْ
شَعْبٌ بِغَيْرِ عَقيدَةٍ   وَرَقٌ تُذَرِّيهِ الرِّياحْ
مَنْ خانَ (حَيَّ عَلىٰ الصَّلا   ةِ) يَخُونُ (حَيَّ عَلىٰ الكِفاحْ)
يا أُمَّتي ، صَبْراً ، فَلَيْـ   ـلُكِ كادَ يُسْفِرُ عَنْ صَباحْ
لا بُدَّ لِلكابوسِ أنْ   يَنْزاحَ عَنَّا أوْ يُزاحْ
وَاللَّيلُ إنْ تَشْتَدَّ ظُلْـ   ـمَتُهُ نَقولُ : الفَجْرُ لاحْ
وَالفَجْرُ إنْ يَبْزُغْ فَلا   نَوْمٌ .. وَحَيَّ عَلىٰ الفَلاحْ

صورة من قريب

مسجد المؤمن ومدرسة المدينة في لوس أنجلوس

■■ يعاني الإنسان المسلم في مجتمع الاغتراب من أكثر من مشكلة : قد تختلف في تفاصيلها وحجمها من موقع إلى آخر ، إلَّا أنها تتفق جميعاً في أنها تهدد بمحو هويته الإسلامية وانفصال أبنائه عن عقيدتهم .. وتأخذ المحاولات لمواجهة هذا التحدي أشكالاً متعددة ، ولعلَّ الاحتماء بالمسجد وإيجاد النواة لمدارس تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي هي أولى الخطوات والاستجابات العفوية والضرورية للمواجهة ..

وفي مدينة لوس أنجلوس الأمريكية - ولاية كاليفورنيا - يقوم « مسجد المؤمن » و « مدرسة المدينة » - كمؤسسة إسلامية - يتعاون المسلمون هناك على أداء رسالتها نحو مجتمعهم الصغير - حيث يعيش حول هذه المؤسسة نحو أربعة عشر عائلة مسلمة كأسرة واحدة ، لبناء مجتمع إسلامي سليم ، يؤدي دوره نحو أبنائه وسط مدينة لوس انجلوس الكبيرة ، ويواجه بفاعلية مشكلات مجتمع الاغتراب .. ■■

وقد التقينا بشخصيتين من أفراد هذا المجتمع - حين زارا الدوحة مؤخراً - الأخ هارون عبد الرشيد الحمرا - إمام مسجد المؤمن - والأخ محمد عبد الصبور المدني مدير مدرسة المدينة ..

● يقول الأخ هارون :

- إن طبيعة المشكلات التي يواجهها المسلمون في المجتمع الأمريكي لا تختلف عن المشكلات التي تواجه المسلم في أي مجتمع غير إسلامي .. ولكننا - والحمد لله - استطعنا أن نخطو خطوات كبيرة في سبيل مواجهة التحدي .. ولعلَّ أولى هذه الخطوات هي تكوين نواة المجتمع المسلم ، الذي يتكون من جنسيات مختلفة ، ويتجمع حول المسجد منذ إقامته في عام ١٩٧٢م .

● ويضيف :

... توجد بالمسجد عدة لجان ، منها لجنة الدعوة التي تؤدي دوراً هاماً في تبليغ الرسالة الإسلامية لغير المسلمين من حولنا حسب برنامج محدد ، ولجنة للخدمات الاجتماعية ، تقوم بتصريف شؤون المسلمين والاستجابة لحاجاتهم الاجتماعية اليومية ، حسب ما تقضي به الشريعة الإسلامية ، مثل القيام بإجراءات الزواج والطلاق ، وتقديم المشورة والنصح في الأمور والقضايا الاجتماعية والتربوية المختلفة ، وتحصيل الزكاة وصرفها في الأوجه التي حددها الإسلام ، وعقد لقاءات التعارف بين المسلمين والقيام بالإجراءات اللازمة في حالات الوفاة .. أما اللجنة الاقتصادية فتؤدي دوراً هاماً في دعم ومساندة النشاطات وتحقيق التعاون بين المسلمين ، فهي تقوم على إدارة العمليات المالية لمسجد المؤمن ومدرسة المدينة ، وتعمل على تنمية الموارد المالية وتحقيق الاستثمار الأفضل لها وفق أحكام الشريعة الإسلامية ، وقد قامت في سبيل ذلك بتأسيس « شركة

■ هارون الحمرا : تكوين نواة المجتمع المسلم أولى الخطوات في مواجهة التحدي . ■

■ محمد مدني : تعليم أبناء المسلمين من أكبر الصعوبات التي تواجه المسلمين في أمريكا . ■

المؤمن » للتجارة ، التي تحقق أقصى قدر من التعاون بين المسلمين في هذه المنطقة ..

وفي المجتمع الأمريكي الذي تقوم حضارته على الاتصالات ، كان لا بد من تشكيل لجنة لهذا الغرض ، تصدر حالياً نشرة إخبارية أسبوعية تتناول نشاطات مسجد المؤمن ولجانه ، وفي الوقت نفسه تعالج القضايا الإسلامية المعاصرة خاصة القضايا التي تهم المسلمين في مجتمع الاغتراب ، وتقوم بالاتصال بالمعاهد والمؤسسات الإسلامية ، التي يهمنا أن نتعاون معها ، في جميع أنحاء العالم ، وهي مسؤولة أيضاً عن توثيق الروابط بين أعضاء مجتمع مسجد المؤمن وبين المسلمين الذين يعيشون في امريكا وخارجها ، وعن جمع التبرعات لدعم النشاط الإسلامي هنا وتوسيع نطاقه ..

● وعن مدرسة المدينة .. يقول الأخ مدني :

ـ هذه المؤسسة التعليمية لا تقوم على الربح ، انشئت عام ١٩٧٩م كنشاط من انشطة مسجد المؤمن ، بجهود وأموال نخبة من المسلمين الذين قدموا إلى هذه المنطقة من مختلف البلدان الإسلامية ، بهدف توفير التربية الإسلامية الصحيحة لأبناء المسلمين ، غير أن هذا الهدف لم يتحقق بالصورة الكاملة ، حيث يبلغ عدد صفوف المدرسة حالياً ستة صفوف ـ وهي المرحلة الابتدائية ـ يضطر الطالب بعدها إلى الالتحاق بالمدارس الأمريكية العامة ليستكمل المرحلة الثانوية ، وهذا يعرِّضه بدرجة كبيرة إلى المؤثرات الاجتماعية السائدة في المجتمع غير الإسلامي ، وإلى فرص الانحراف التي توجد بصورة واضحة في أوساط المؤسسات التعليمية الأمريكية ويشكو منها معظم الأمريكيين .. ونأمل أن نستكمل صفوف المدرسة للمرحلة الثانوية بفضل من الله ، ثم بدعم المسلمين في أي مكان ..

● ويضيف :

... يهتم الإخوة القائمون على مدرسة المدينة بتدريس اللغة العربية والتحدث بها ، وهناك مدرسون من مصر والسودان وليبيا وغيرها من البلدان العربية والإسلامية ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى هناك اهتمام بتدريس الإسلام دراسة صحيحة من مصادره الأصلية ، لأن العقيدة الصحيحة هي أساس المعرفة الصحيحة في المجالات الدراسية كافة ، والمشكلة الكبيرة عند المسلمين اليوم ـ خاصة في مجتمع الاغتراب ـ هي أن معظمهم لا يفهمون الإسلام ...

إن قضية تعليم أبناء المسلمين هي كبرى الصعوبات التي تواجه المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية ، فالشباب المسلم المنخرط في المدارس الأمريكية العامة ، يتعرض لمؤثرات تؤدي إلى وجود شباب ضعيف في خلقه وقيمه ، لا يعبأ بشيء ولا يهتم بنفسه أو بالآخرين ، وبذلك يفقدون صبغتهم الإسلامية ، ويصبحون بمرور الزمن هياكل إسلامية بلا مضمون .

ولذلك فإنَّ تجربة إقامة مجتمع مسلم ، يتجمع حول مسجد المؤمن ومدرسة المدينة تجربة هامة في حياة المسلمين في لوس انجلوس .. تستحق الدراسة من المسلمين الذين يعيشون الظروف نفسها في مجتمع الاغتراب وللتعرف على الصورة من قريب ...

● مسجد المؤمن : ١٦٣٥ سانت اندروز ـ لوس أنجلوس ـ كاليفورنيا ، ٩٠٠١٩ الولايات المتحدة الأمريكية .

بقلم : الدكتور ابراهيم علي أبو الخشب

امرأة العزيز

حقيقة خَلْق المرأة كما يقرره القرآن الكريم

وقد انبأنا القرآن الكريم ـ نحن المسلمين ـ أن الله قد خلقها من ضلع آدم عليه السلام : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، وكأن ذلك كان إيماءً بأنها تحن إليه ، كما يحن الشيء إلى أصله ، أو الجزء إلى كله ، أو البعض إلى بعضه الذي يكمله ، ومن أجل ذلك تسكن قلبه ، وتستقر في نفسه . وهو يكن لها من الميل والرغبة ، والمودة والعطف ، والحب والتقدير . بالمقدار الذي يدل على أن الأصل الذي يجمعهما غير متنافر ، ولا مختلف ، ضرورة أنها بضعة منه ، وجزء قد انحدر عنه .

امرأة العزيز أنموذج للمرأة المستهترة

وربما كانت « زليخا » أو امرأة العزيز ـ كما سماها القرآن ـ صورة للمرأة التي لم يمنعها المنصب الذي كانت تشغله ، والمكانة التي كانت قد وصلت إليها ، والمنزلة التي تميزت بها على بنات جنسها ، من أن تطلب الرجل ، متناسية هذه الفوارق الاجتماعية ، والمسافات البعيدة التي كانت بينها وبينه ، وتلك السدود والحدود التي كان من شأنها أن تجعل لكل منهما مكانه الذي لا يتعداه ، أو تجعل ذلك لا يصح ولا يليق .. وتجردها من تلك الأوضاع أو التقاليد ، وتناسيها لهذه الفوارق دليل لا يتسرب إليه الشك على أنها تلبي داعي الطبع ، وحقيقة الأنوثة ، ووجدان المرأة بصرف النظر ـ هنا ـ عن الحرام والحلال ، فإن لهما وجهاً آخر .

الرجل الأجنبي حين يخلو بالمرأة

ولا يجهل أحد أن الشريعة الإسلامية جعلت لذلك أسلوباً من السلوك ، ونمطاً من الارتباط يلتقي على مقتضاه كل من الرجل والمرأة تلبية لهذا الداعي الجنسي الذي أراد الله به أن يقوم العمران ، ويبقى النوع ، وتصلح عليه الحياة .

وهذه القصة وإن كان ينظر إليها الناظر من ناحية كون المرأة أطاحت بكبريائها ، وأرخصت أنوثتها ، وباعت كرامتها بثمن بخس في سبيل الطبع أو الغريزة : إلَّا أن القرآن الكريم ربما ينظر إليها من ناحية أخرى يستهين بها كثير من الناس ، ولا يلتفتون إليها ـ في حين أن وراءها جناية على المجتمع ، وعلى الأسرة كذلك ـ وذلك حين يدخل البيت عنصر غريب عنه ، أو أجنبي منه دخولاً دائماً ترتفع فيه الكلفة ـ كما يقولون ـ دون رقابة ولا مؤاخذة ، ثم يرخى له العنان ليتمكن تمكن الأهل ، ويطمئن اطمئنان أصحاب الحق ، وهذا هو المعنى الذي تدور عليه أحداث هذه المرأة بعد استبعاد حديث يوسف ورؤياه الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر يسجدون له ، وإلقاء إخوته له في الجب ، ومجيئهم لأبيهم بقميصه وعليه دم كذب قائلين له : ﴿ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾ وما تبع ذلك كله من مفاجآت وأحداث ..

خطر الغواية .. وضعف الحمية

ولا يشك أحد في أن امرأة وشاباً في مقتبل عمره ، وريعان شبابه ، ونضرة إهابه ، وتمام خلقه ، وحسن عوده ، وروعة محياه ، وفي بيت معهما الشيطان ، ينسج حباله ، ويحكم حبائله ، وينادي بالغواية ، ويغري بالمعصية ، ويدعو إلى الجريمة ، لا يكون منهما إلَّا الاستجابة له ، والنزول على إرادته ، وليس هذا تصريحاً منَّا بان يوسف عليه السلام خانته عزيمته ، أو تخلى عنه حزمه ، أو طاش صوابه ، أو وقع في الفخ ، فإن ذلك كله ليس من هدف هذا الحديث ، وهو الذي آزره برهان ربه ، وصانته عنايته ، وحفظته رعايته ، وإنما الهدف هذه المرأة التي تحتل في الشعب ـ في هذا الوقت ـ هذه المكانة المرموقة ، تقول لخادم بيتها بكل قحة ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ فلما باغتها زوجها على تلك الحال ، قلبت الأوضاع ، وغيرت الحقائق ، وجعلت نفسها في مكان المعتدىٰ عليه ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ إذ جعلت الإرادة منه ، والامتناع منها ، ويظهر من سياق حديث هذه القصة أن زوجها هذا لم يكن من هؤلاء الذين تثور بهم الغيرة ، أو تأخذ بهم الحمية : بدليل انه وقد ثبت له بشهادة الشاهد أن الجريمة من صنعها هي ، لم يزد مع برود طبعه ، وهدوء نفسه ، على أن قال : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هذا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾ .

الرغبة الجامحة والترف المفسد

ومما يزيد غرابة الذي يتابع الأحداث لهذه القصة أن هذه الزوجة مع دعواها براءة ذمتها ؛ تسمح لنفسها ويسمح زوجها كذلك أن يظل هذا الفتى على وضعه من الأسرة يعيش معها ؛ وكأنَّ « زليخا » كانت تطمع في أن تحقق رغبتها ولا يعنيها بحال من الأحوال

■■ للمرأة في تاريخ الإنسانية مواقف يتناقلها الناس بالإكبار والإعجاب ، والرضا والارتياح ، والغرابة والدهشة ، أو الزراية والاحتقار . والإغضاء وعدم الاحتفال ، شأن كل آدمي من أبناء آدم الذين يصادفهم التوفيق والنجاح ، أو لا تتاح لهم مقادير الهداية ، وأسباب الرشاد والسداد .

وقد تحدثت عن المرأة أساطير الأمم والشعوب أحاديث يقوم بعضها على الحدس والتخمين ، أو الرضا والغضب ، والبغض والكراهية ، وبخاصة فيما يتصل بأصل نشأتها ، أو المادة التي كان منها أصل تكوينها .

ولا حاجة بنا أن ننقلها إليك ـ كما هي ـ لأنها بالخرافة أشبه منها بالحقائق العلمية الثابتة .■■

حديث هؤلاء الذين يتحدثون عنها ، أو يخوضون في عرضها ، إلَّا أن شيئاً واحداً وراء ذلك كله يهز كيانها ، ويزلزل بنيانها ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾ وكأنَّ كل هذا الذي مضى لا يؤثر فيها ، ولا يكدر صفوها ، ولا يصرخ في ضميرها .

وإذا كانوا يقولون امرأة تنكبت القصد ، أو انحرفت عن الجادة ، أو فعلت المنكر ، أو اعتدت على كرامة نفسها ، فليس ذلك بشيء عندها ، لأنه استجابة للطبع ، ونزول على حكم الغريزة ، لكن حين تنكر المرأة على المرأة ذلك ، وهي تعلم أن هذا ليس غريباً في محيطهن يكون الاستنكار والدهش ، لذلك اهتمت كل الاهتمام أن تنكر امرأة على امرأة مثل هذا الصنيع .

والواقع أن محل الاستنكار عند النسوة لم يكن منصباً على المبدأ وهن يسلمن به ، إنما هو على أن كان على فتاها ـ خادمها ـ وفي ذلك نزول عن كبرياء الملك ، وعظمة السلطان ، وتقاليد السيادة ، وانه في بيتها الذي هو قاعدة الحكم ، وموضع المهابة ، ومكان الصون والحفظ لأنه بيت العزيز ، وفي مقابل ذلك عليها أن تقيم الدليل على أن لها العذر ألف مرة ومرة على أنها لم تراود شخصاً عادياً ، ولا إنساناً كيفما اتفق ، تستطيع أن تكبت عواطفها معه ، أو تحتفظ بتوازنها أمامه ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقُلْنَ حَاشَا لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ . قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ (يوسف : ٣٢) .

حين يعم الانحـراف ويشـيع الفسـاد

وفي هذا الذي وقفته مع النسوة بدعوتها لهن ، ما يدل على أن ذلك الأمر لم يكن لها أن تغالبه أو تقاومه ، ولقد ظفرت بذلك ، وأخذت منهن الاعتراف بأن أحداً لا يمكنه أن يرد ذلك التيار الجارف ، أو يصد ذلك الطوفان الحاد ، أو يفلت من تلك الشباك المنصوبة . وذلك إذ قلن ﴿ ما هذا بَشَراً إِنْ هذا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ وقد أغراها هذا القول بأن تكشف برقع الحياء أكثر وأكثر ، وتعلن عن فجورها في غير خجل ﴿ لَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ وبهذا كان التهديد قد تكاملت له كل عناصره ـ الأمر والسجن والصغار ـ ولا عليها من ذلك كله ، وقد قدمن لها ما تعتمد عليه من التنصل من الجريمة ، والوقوع في دائرة المؤاخذة ، وكأنهن وقد قلن : ﴿ مَا هَذَا بَشَراً ﴾ كن يشاركنها هذا الصنيع لو أتيحت لهن الفرصة للفعل .. والذي يدل عليه السياق في هذه القصة .

حين يتتبع القارىء السورة بعد ذلك يجد انها زجت به إلى غيابات السجن ، ولكنه لم يكن لشفاء غليل كان في نفسها منه : دفعها إلى أن تنتقم منه ، وتكيد له ، وإنما كانت بذلك كله تستمر في المحاولة ، وتسترسل في الضغط ؛ على أمل أن ينزل الفتى على سلطان الملك ، وكبرياء الحكم ، وغطرسة السيادة ، ولم يدر بخلد هذه المسكينة ، أن ذلك كله إعلان عن هذه الجريمة التي تلاحقها مهما حاولت أن تخفيها ، أو أن تكتم أمرها ، ومهما حاولت أن تفعل هذه الجملة التي أصدرها الحاكم الكبير في الدولة ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾ فلن تكون طمساً للمعالم ، ولا ضياعاً للحقيقة ، ولا نسياناً لتلك الأحداث ..

وها هو ذا الفتى يظل على كبريائه ، معتزاً بطهارة نفسه ، وبراءة ساحته ، ونقاء سريرته ، على الرغم من ذل الخدمة ، وقيد الرق ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ لتبوء محاولة سيدة البيت بالفشل .

انتصـار الفضيلـة

ولا يجد التاريخ موقفاً كهذا الموقف الذي تنتصر فيه الفضيلة على الرذيلة ، والخير على الشر ، والحق على الباطل ، والضعف على القوة ، مع المحاولة الغاشمة ، والقسوة العارمة ، والإرادة الظالمة ، وربما كانت تتكرر على مسرح الحياة أمثال هذه الأحداث ، وجاءت الأيام والليالي بما يشبه هذه القصة ، لكن الستار في النهاية لم يُسْدَل على مثل هذا الطهر من فتى كان له من شبابه المتوثب ، وحسنه الوضيء ، وفرصته المتاحة ، ما يمكن أن يجعله فريسة للشر ، وحبالة للشيطان ، وضحية من ضحايا الانحدار . إلَّا أنه ضرب بذلك كله عرض الحائط ، قائلاً : ﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ .

والبراعة في هذه القصة أنها وهي جزء من قصة كاملة تضمنتها سورة كاملة ، استطاعت أن تكون وحدها قصة ، يمكن للقاص أن يجعل منها موضوعاً ، له من جمال السرد ، وحسن التتابع ، وروعة المفاجأة ، ما يصلح لأن يكون قصة كبيرة يتحدى بها عمالقة الأدب ، وأساطين البيان ، وهكذا يكون القرآن الكريم مصداقاً لقول الله لنبيه ﷺ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ .

مائة عام على تأسيس معهد اللغة العربية

■■ كان هناك اقتناع تام لدى دعاة التنصير - في القرن الثالث عشر - بضرورة تعلم لغات المسلمين، حتى تؤتي محاولات التنصير ثمارها بنجاح.

وكان هذا الاقتناع - الذي ترجم فيما بعد إلى خطة عمل - عاملاً هاماً بالنسبة لتطور الاستشراق، فلم يكن من السهل - في ذلك الوقت - فصل الاستشراق عن التنصير أو عن الدافع الديني بصفة عامة، فالدافع الديني كان هو السبب الأول في نشأة الاستشراق..

وفي عام ١٣١٢م، صادق مجمع فيينا الكنسي - بالنمسا - على الخطة الخاصة بشأن تعلم اللغة العربية، وتمت الموافقة على تدريسها في خمس جامعات أوروبية؛ وفي عام ١٥٣٩م أنشىء أول كرسي للغة العربية في «كوليج دي فرانس» بباريس، وشغله أول المستشرقين «جيوم بوستل» الذي أسهم في إثراء دراسة اللغات والشعوب الشرقية في أوروبا، وجمع - وهو في الشرق - مجموعة هامة من المخطوطات، ولم يكن عمله منقطع الصلة بجهود التنصير، فهو يذكّر بقرار مجمع «فيينا» الكنسي، ويجمل قيمة معرفة اللغة العربية بقوله:

«... إنها تفيد بوصفها لغة عالمية في التعامل مع المغاربة والمصريين والسوريين والأتراك والهنود، وتحتوي على أدب ثري، ومن يُجِدْها يستطعْ أن يطعن كل أعداء العقيدة النصرانية بسيف الكتاب المقدس، وأن ينقضهم بمعتقداتهم التي يعتقدونها، وعن طريق معرفة لغة واحدة - العربية - يستطيع المرء أن يتعامل مع العالم كله».

وتجدر الإشارة هنا إلى أن قرار إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة كمبردج (١٦٣٦م) ينص صراحة على خدمة هدفين - أحدهما تجاري، تطور فيما بعد إلى هدف استعماري، والآخر تنصيري، فقد جاء في خطاب للمراجع الأكاديمية المسؤولة بالجامعة إلى مؤسس هذا الكرسي:

«... ونحن ندرك أننا لا نهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الأدب الجيد بتعريض جانب كبير من المعرفة للنور بدلاً من احتباسه في نطاق هذه اللغة التي نسعى لتعلمها، ولكننا نهدف أيضاً إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة والدعوة إلى الديانة النصرانية بين هؤلاء الذين يعيشون «الآن» في الظلمات»... ■■

■ رجال الفكر والسياسة في الغرب يوجهون الانتقادات للمستشرقين، ويرون أن يعدوا أنفسهم للدور الجديد كطاقة فاعلة في خدمة العلوم الاجتماعية !! وكاحتياطيين للقيام بمهمة الترجمة والشرح في ميادين العمل المختلفة. ■

حوار على هامش المواجهة الثقافية الحديثة

مؤسسات .. ومحاولات حديثة

وقد قام المستشرقون - مع بداية القرن التاسع عشر - بإنشاء جمعيات ومؤسسات لمتابعة الدراسات الاستشراقية، نشطت في إصدار المجلات والمطبوعات المختلفة، وفي فيينا - عاصمة النمسا - صدرت أول مجلة استشراقية متخصصة في أوروبا هي مجلة «**ينابيع الشرق**» (١٨٠٩م) برئاسة المستشرق النمساوي «**جوزيف فون هامر برجستال**»، الذي ظهر على يديه الاستشراق العلماني في ألمانيا والنمسا..

ويمكن أن نقول: إنَّ مراكز دراسات اللغة العربية ولهجاتها واللغات الشرقية في أوروبا، قامت بصفة أساسية في النمسا وألمانيا والبلاد التي تسود فيها اللغة الألمانية.

واليوم، لا تزال هذه المؤسسات تعمل وتؤدي دورها، على الرغم من وجهات النظر التي تتحدث عن نهاية حركة الاستشراق بعد انحسار المد الاستعماري عن العالم الإسلامي.. وعلى الرغم من الانتقادات التي توجه للمستشرقين من قبل رجال الفكر والسياسة في الغرب، والتي ترى ضرورة أن يبتعد المستشرقون باهتماماتهم عن اللهجات العربية، ويعدوا أنفسهم لتقبل «الدور الجديد كطاقة فاعلة في خدمة العلوم

بجامعة ڤيينا

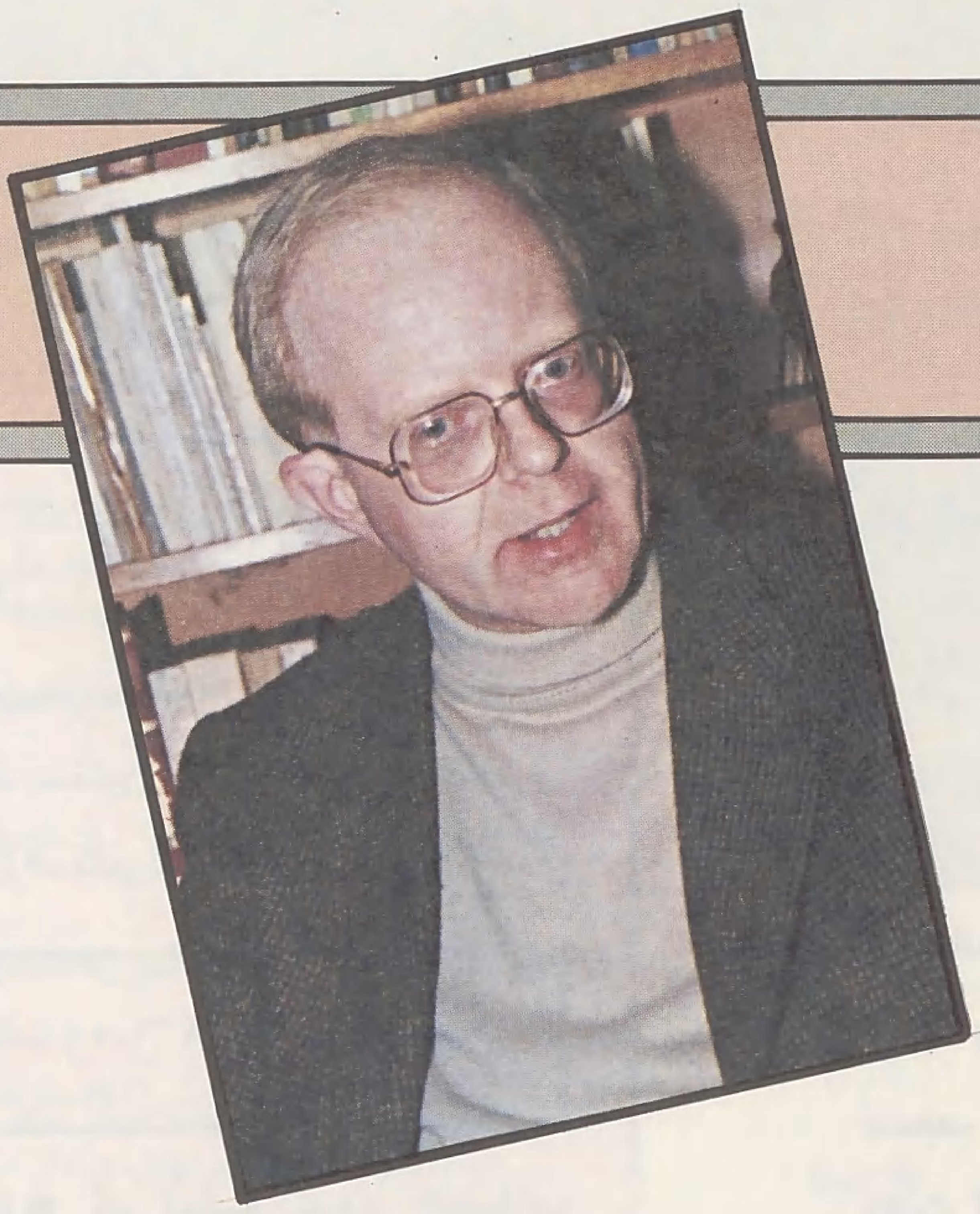

مع المستشرق النمساوي
أرنيه أمبروز

الاجتماعية (!!) ، وكاحتياطيين للقيام بمهمة الترجمة والشرح في ميادين العمل المختلفة » .

والجدير بالذكر هنا أنَّ المستشرقين قد عقدوا بالفعل ندوة حول علم الاجتماع الإسلامي في « بروكسل » ـ « بلجيكا » ـ عام ١٩٦١م .. الأمر الذي يوضح بداية انفتاح مجالات جديدة أمام الدراسات الاستشراقية المعاصرة ، لا تنفصل عن خطة دراسة اللغة العربية ولهجاتها ..

وفي فيينا ـ عاصمة النمسا ـ حيث تحتفل جامعتها بمرور مائة عام على تأسيس معهد اللغة العربية (١٨٨٥م) بها .. التقينا برئيس المعهد ، المستشرق « أرنيه ا . امبروز » .. وأجرينا معه هذا الحوار ...

ـ اسمي الأول « **أرنيه** » ، والعائلي « **امبروز** » ـ من أسرة نمساوية الأصل ، ومن مواليد فيينا ، درست بها ، وتخرجت في جامعتها ـ قضيت بعض السنوات في الولايات المتحدة كأستاذ مساعد في جامعة « لوس انجلوس » بكاليفورنيا ، وزرت معظم البلاد العربية ، عدا بلاد الخليج العربي ، حتى الآن ـ للأسف ـ ولكنني زرت مصر مثلاً وسوريا والمملكة السعودية وألقيت هناك سلسلة من المحاضرات ، ولكن معظم سنوات حياتي قضيتها في بلدتي نفسها فيينا ، وأنا حالياً أستاذ كرسي (FULL PROFESSOR) للغة العربية منذ سنة ١٩٧٤م ..

اهتمام مبكر

●● أين تعلمتم اللغة العربية ؟

ـ في مدينة فيينا نفسها .. وقد بدأت بدراسة العربية أثناء المرحلة الثانوية ، بالجهود الذاتية بعيداً عن المدرسة فقد كنت دائم الاهتمام بدراسة اللغات ، وكانت العربية تهمني كثيراً في ذلك الوقت ولذلك طلبت من والديّ أن يهديا إليَّ ـ وكان عمري آنذاك خمسة عشر عاماً ـ بمناسبة يوم ميلادي سلسلة دروس خصوصية تلقيتها عند طالب عربي مصري يعيش في فيينا ، وهكذا بدأت بدأت قراءة العربية معه ، ثم حصلت على بعض الكتب ـ لمرحلة متقدمة ـ وبعد حصولي على الثانوية قمت بدراسة العربية في الجامعة ، وتخرجت فيها بعد إتمام المرحلة الجامعية متخصصاً في العربية ..

●● يبدو أنه كان لديكم الرغبة ـ في وقت مبكر ـ لتعلم اللغة العربية .. ما هو السبب وراء هذه الرغبة ؟

ـ السبب هو أن اللغة العربية تهمني أكثر من كل الفنون والعلوم الأخرى ، ولا يوجد سبب معين غير ذلك !؟ والحقيقة أنه من الصعب أن يعرف الإنسان لماذا يدرس شيئاً ما ، ويفضله على شيء آخر إلَّا بأن ما يدرسه إنما يستحوذ على اهتمامه ، ولا يتصور أن يعمل أو يدرس شيئاً آخر غيره ، فقد كانت دراسة الثقافة العربية تهمني دائماً ، وكنت أشتاق إلى أن يكون باستطاعتي أن أقرأ بنفسي الكتب العربية ، وأن أعرف التفاصيل حول الثقافة العربية والتاريخ العربي ، وأظن أن هذا يكفي سبباً ..

وبصورة عامة ، كانت اللغات الشرقية تهمني كثيراً ، وقد درست التركية والفارسية أيضاً ، والعبرية والسريانية ، والحبشية .. أي لغات الشرق الأوسط كلها تقريباً ..

الذكرىٰ المئوية

●● هل يمكن أن نتعرف على معهد اللغة العربية والدراسات الشرقية ؛ تاريخه ونشأته وأقسامه المختلفة ومناهج التدريس به ؟

ـ هذا المعهد عمره بالضبط مائة عام ، فنحن نحتفل بالذكرىٰ المئوية لتأسيسه في هذه السنة ، وهو أحد معاهد جامعة « فيينا » ، تأسس سنة ١٨٨٥م ، ويقدم للطلاب مناهج تدريس اللغة العربية والأدب العربي وينقسم إلى ثلاثة فروع أو أقسام :

□ **القسم التركي** .

□ **والقسم الساميّ القديم** .

□ **والقسم العربي** .

وأنا حالياً أرأس القسم الخاص بتدريس اللغة العربية ، والطالب يحصل بعد الدراسة

مائة عام على تأسيس معهد اللغة العربية بجامعة ڤيينا

به - والتي تستمر لمدة أربع سنوات - على درجة الماجستير - كما يقال عندنا في النمسا - وبعد حصوله على الماجستير، يحصل بعد سنتين أو ثلاث سنوات أخرى على درجة الدكتوراه ..

الفرص المحدودة

●● كم يبلغ عدد الطلاب المسجلين في المعهد وجنسياتهم تقريباً ؟

ـ طبعاً معظم الطلاب من النمساويين ويوجد سبعة طلاب أو ثمانية من العرب، وعندنا نظام للدراسة في النمسا، أرجو أن أوضح جانباً منه، وهو أن الطالب الحاصل على الثانوية حينما يلتحق بالجامعة، فإن عليه أن يختار فرعين: فرعاً رئيساً وآخر ثانوياً وذلك خلال مرحلة الدراسة التمهيدية، وأكثر الطلاب عندنا يدرسون العربية كفرع ثانوي - وليس كفرع رئيس، **والسبب في ذلك هو أن المناصب وإمكانات العمل للمتخرجين المتخصصين في الدراسات العربية محدودة جداً عندنا في النمسا ..**

●● ما هي المناصب أو الأعمال التي يشغلها خريج قسم اللغة العربية في النمسا - على سبيل المثال - ؟

ـ المناصب في الحقيقة قليلة ومجالات العمل محدودة فهناك إمكانية العمل في المكتبة العامة، وفي الترجمة في المحاكم، ويمكن للخريج أن يعمل كصحفي حر طبعاً ..

●● هل هناك إمكانات لتزويد وزارة الخارجية بالخريجين ؟

ـ هناك طبعاً وزارة الخارجية أيضاً، ولكن في النهاية تبقى هذه المناصب قليلة فلا يزيد عددها عن العشرة أو العشرين حالياً .. لذلك - من ناحيتي - أنصح طلابي دائماً ألَّا يختاروا العربية كفرع أساسي في دراستهم لأن كسب المعيشة عن طريق هذا التخصص صعب جداً، والطالب في هذه الحالة يقف على قدم واحدة ولا بد له من أن يقف على قدمين .. فيدرس الاقتصاد أو السياسة أو التاريخ الحديث - مثلاً - كفرع رئيس وإلى جانب ذلك يدرس العربية .

●● هذا إذا كانت الدراسة بسبب كسب العيش .. أما إذا كانت الدراسة لأغراض أخرى، فيمكنه أن ينصرف لدراسة العربية إذا اتفق ذلك مع ما يريد .

ـ نعم .. ويعمل في المجال الذي يناسبه .

اللهجات العامية ومصادر دراسة الإسلام

●● وماذا عن مواد الدراسة بالمعهد ؟ وهل يمكن أن نتعرف على أسماء بعض الكتب والمراجع التي تعتمدونها لهذه الدراسة ؟

ـ مواد الدراسة عبارة عن المواد التقليدية في السنتين الأولى والثانية، فعلى الطالب أن يدرس العربية الفصحى بكل تفاصيلها .. أما الكتب الموضوعة لهذا الغرض فهي الكتب الألمانية طبعاً .. وعلى الطالب أيضاً - في هاتين السنتين - أن يدرس إحدى اللهجات العربية الحديثة .

●● تقصدون العامية ..

ـ طبعاً ..

ـ في السنة الدراسية الحالية - مثلاً - أقيمت دورة دراسية في اللهجة العامية المصرية السائدة في مدينة القاهرة . وأود أن أوضح هنا أنه على كل طالب أن يستعد لإجراء تحليل لغوي - وفي هذه الحالة لا يستطيع الطالب أن يلم بتاريخ اللغة العربية إلَّا إذا عرف كل مراحل تطورها - ومن بينها مراحل اللهجات الحديثة - ولا مفر من ذلك .

●● ألا تعتقدون بأن معرفة اللغة الفصحى وإجادتها تكفي للإلمام بتاريخ اللغة العربية ومراحل تطورها ؟

ـ هذا لا يكفي من وجهة نظري، ومن وجهة النظر العملية فإن من يسافر إلى المشرق العربي قد يكفيه أن يكون لديه إلمام بشيء من الفصحى، **أما في مجال الدراسات العلمية، وتحليل اللغة، فإن على الباحث أن يأخذ بعين الاعتبار المراحل الثانوية من تطور العربية وهي مراحل اللهجات ..**

●● وماذا عن الدراسات الأخرى التي يقدمها القسم للطلاب غير دراسة اللغة العربية الفصحى ومراحل تطورها ؟

ـ يدرس الطالب بالقسم الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية والتاريخ العربي ..

●● ماذا يدرس الطالب من مواد في الدين الإسلامي، وما هي الكتب التي يدرسها، وهل هناك كتب معينة أو مراجع تعتمدونها - على سبيل المثال ؟

ـ لا توجد كتب معينة، فحين بدأت بتدريس مادة العقيدة مثلاً قمت بجمع مواد المنهج من كتب معينة وأقدم هذه المواد إلى طلابي في محاضراتي ..

●● هل يمكن أن تذكروا شيئاً عن الكتب التي جمعتم منها المحاضرات ؟

ـ طبعاً، جمعتها من كتب انجليزية وكتب ألمانية، وفرنسية .

●● لماذا؛ وأنتم تحسنون العربية لا يكون عندكم المصدر بلغته الأصلية قبل أن يترجم إلى الألمانية أو الفرنسية، فقد يكون

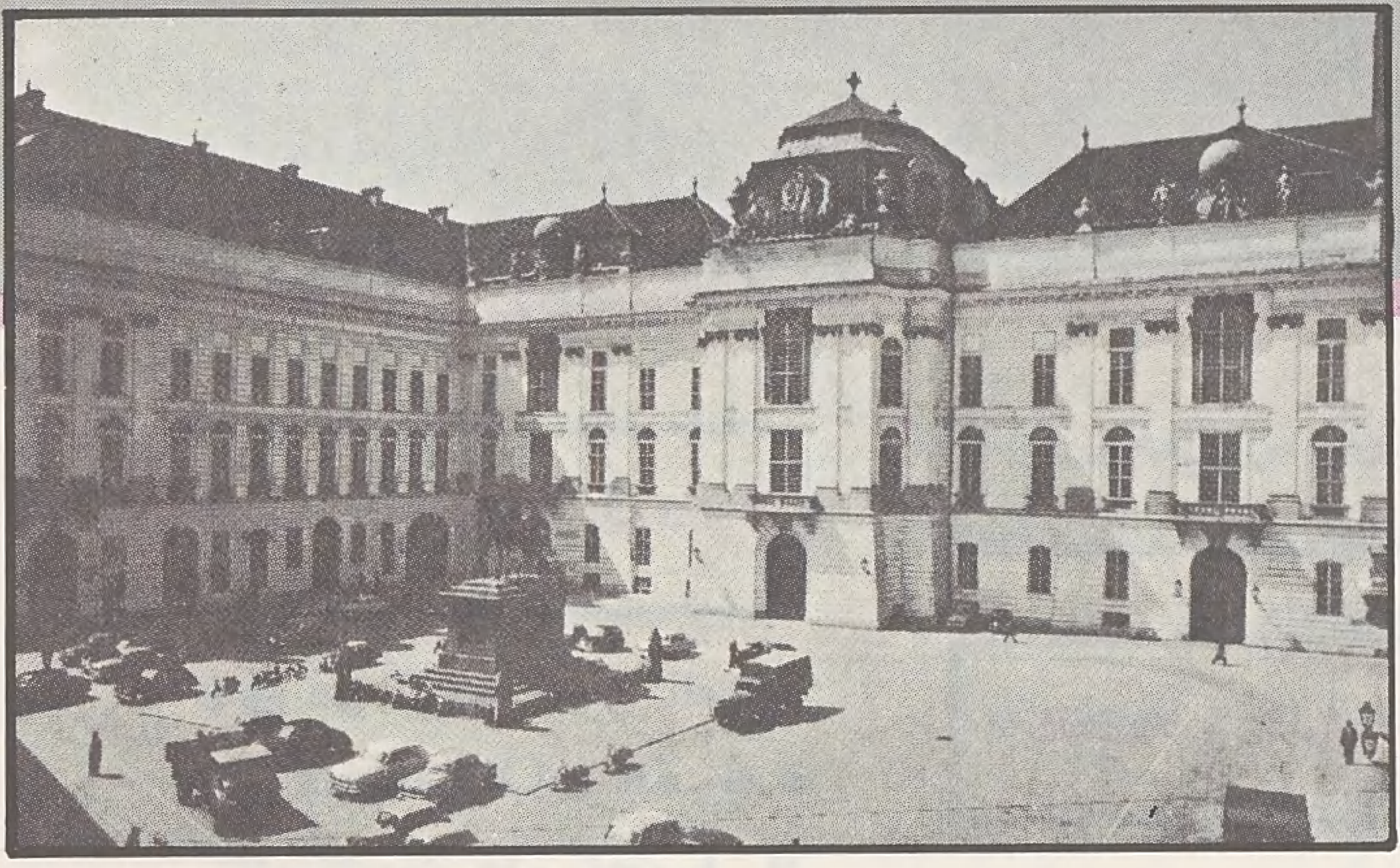

■ المكتبة الوطنية النمساوية تحتوي على كنــوز المخطوطات العربية ■

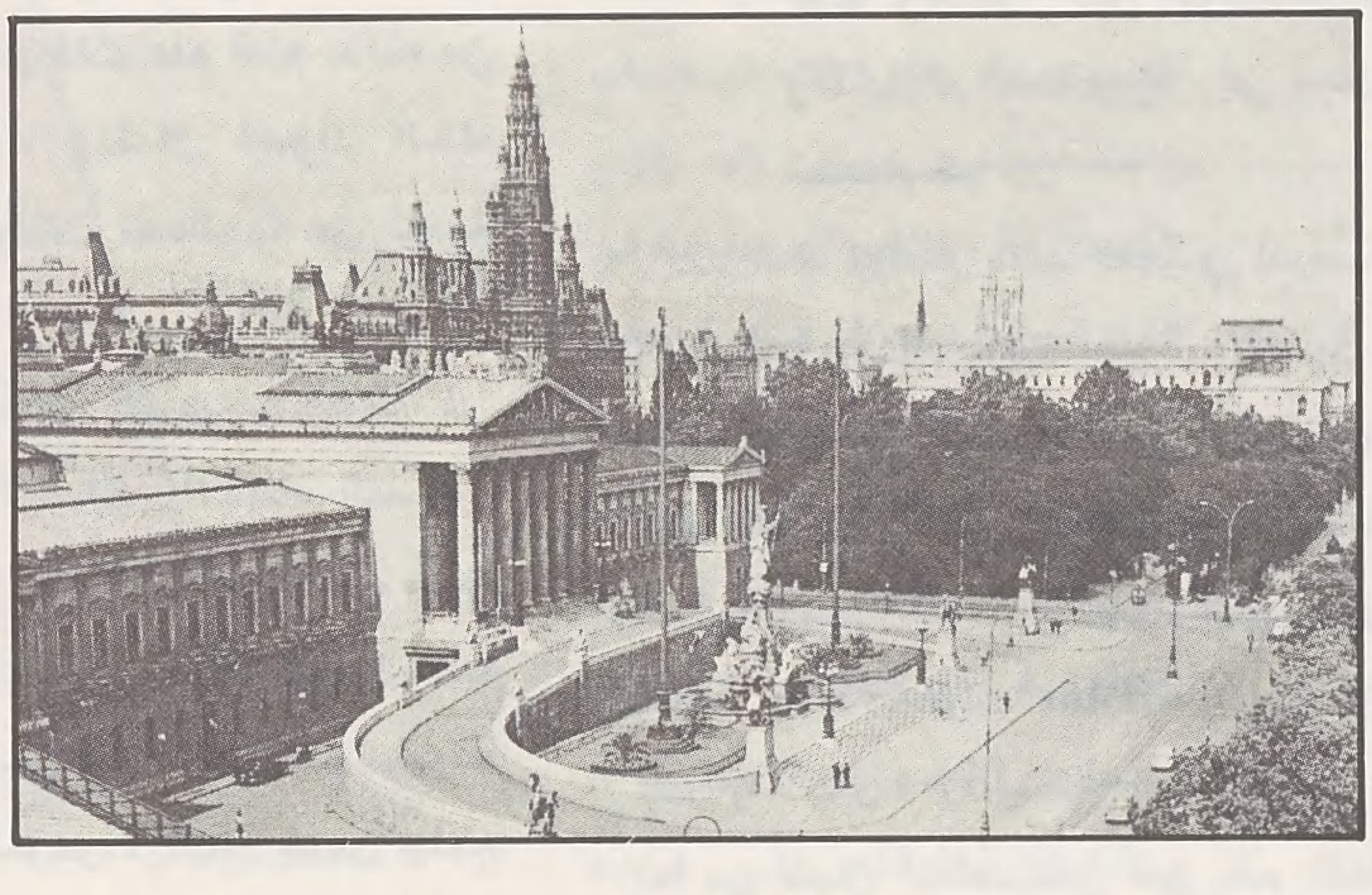

■ فيينا : حيث يقع البرلمان وخلفه دار البلدية ، وفي أقصى اليمين تقع جامعة فيينا الشهيرة ■

تلقي المادة من مصادرها الأولى أقرب للأمانة العلمية وأكثر دقة لاستقاء المعلومات من المصدر الأم ؟

ــ هذا صحيح ، ولكن هذه الكتب التي ذكرتها مكتوبة بمعرفة عشرة علماء في علم الاستشراق ، وهم طبعاً من ناحيتهم قد استعانوا بالكتب العربية الأصلية كمصادر عندما قاموا بجمع المواد وتقديمها في لغاتهم ..

●● نحن في الحقيقة لا نبخس الاستشراق المعاني الإيجابية التي قدمها في الدراسات الإسلامية ، لكن نعتقد أيضاً بأن ألواناً من الاستشراق قد كُتبت بخلفية خاصة وبرغبة خاصة ، ولذلك يبقى الأمر المسلم به أن استقاء هذه الأمور من مصادرها الأولى ، أوْلى من استقائها من كتب يمكن أن يكون لأصحابها نصيب في توجيه بعض الأفكار والمعلومات ، أو القيام بعمليات انتقاء تحقق الأغراض وتخدم الأهواء المذهبية أكثر من أن تحقق المعلومات المنهجية .

ــ هذا أمر جائز ، ولكن من غير الممكن للطالب طبعاً أن يقرأ هو بنفسه ـ أثناء المرحلة التمهيدية لدراساته ـ الكتب العربية ، لذلك علينا أن نقدم كتباً له بلغته ، مثلما تُقدم مثلاً في تركيا كتب بالتركية للمسلمين الترك هناك الذين يدرسون الإسلام ، وفي باكستان كتب بالأوردية ، وفي إيران كتب فارسية ...

●● أنا في الحقيقة لا أقصد الطالب نفسه بقدر ما أقصد المدرس ، فالكتب التي يحضِّر منها المحاضر دروسه لا بد أن تكون مصادر أصلية للمواد ، طالما أنه يعرف اللغة العربية ، فيتلقى كتب العقيدة من مصادرها بالعربية ، ثم يمكن أن تُعطى مراجع للطلاب باللغات الأخرى مع بعض التعليقات الضرورية التي ينبه إليها المدرس أو يمكن أن تشكل إضافات علمية أو تصويبات منهجية .

ــ هــذا ما أقصــده (!!)

معلومــات

- النمسا تقع جنوبي اوروبا الوسطى ، وتحتل قسماً من السلسلة الشرقية لجبال الألب وقسماً من الاراضي المحيطة بنهر الدانوب .
- مساحتها (٨٢٫٨٥٠) كيلو متراً مربعاً .
- تتكون من تسع مقاطعات ، وتشترك حدودها مع سبع دول .
- عدد سكانها ـ حسب آخر إحصائية اجريت عام ١٩٨١م (٧,٥٥٥,٣٣٨) نسمة ٩٩٪ منهم يتكلمون الالمانية ، ٨٨٪ منهم من الكاثوليك ، و ٦٪ من البروتستانت .
- كان للنمسا دور كبير في رسم تاريخ القارة الاوروبية ـ وفي العصر الحديث (١٩٣٨م) كانت اولى الدول التي سقطت في يد « هتلر » كجزء من (المانيا العظمى) وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م ظلت النمسا عشر سنوات تحت سلطة الاحتلال لدول الحلفاء .
- تعتبر عاصمتها ثالث مقر للامم المتحدة بعد « نيويورك » و « جنيف » ، وذلك منذ صيف ١٩٧٩م عندما افتتح « مركز فيينا الدولي » .
- في النمسا اثنتا عشرة جامعة وست كليات فنية .
- « المكتبة الوطنية النمساوية » ، أسست عام ١٥٢٦م ـ وفيها اكثر من مليوني كتاب مطبوع ومخطوط ـ اما « دار سجلات الدولة » فتعتبر من اهم دور السجلات بعد دار الفاتيكان ، وتضم اهم المجموعات الوثائقية التاريخية للدولة ولدول اوروبا .
- الكتب المدرسية تاتي في مقدمة المطبوعات ، تليها كتب التاريخ ، والإفتاء والاجتماع ـ وعدد دور النشر (٤٢٠) داراً منها ثمانون تنتج على مستوى عالمي .
- تصدر في العاصمة « فيينا » ست صحف يومية توزع ٢٫٦ مليون نسخة ـ وهناك عدد كبير من الصحف والمجلات الاسبوعية ـ ووكالة الأنباء النمساوية (A.P.A) عبارة عن جمعية تعاونية تشترك في ملكيتها جميع دور الصحف .
- هيئة الإذاعة والتلفزيون مؤسسة حكومية مستقلة عن الدوائر الحكومية الأخرى تبث ثلاثة برامج للراديو واثنين للتلفزيون .

مائة عام على تأسيس معهد اللغة العربية بجامعة ڤيينا

●● هل لديكم بعض الكتب العربية التي ترجعون إليها ؟ نريد أن نتعرف على بعض الأمثلة ؟

ـ فيما يتعلق بما أقدمه من مواد ـ لدينا مواد : تاريخ العرب ، وتاريخ الأدب العربي وعلم المخطوطات ، وعلم النقوش العربية .. ومقارنة اللغات السامية ، والدورات المختلفة لقراءة النصوص العربية ـ وفي هذا الفصل الجاري ـ على سبيل المثال ـ نقرأ كتاب « التقييد » للباقلاني ، وكتاب الإنصاف له أيضاً ، يعني العقيدة السنيّة طبقاً لمؤلفات الباقلاني ..

●● هل تضعون بين أيدي الطلاب بعض الكتب العربية كمراجع للتدريب أو للقراءة منها ؟

ـ المكتبة التابعة للقسم ومكتبة الجامعة ـ في الحقيقة ـ مملوءة بالكتب العربية ، فلدينا ثلاث قاعات كبيرة مليئة بالكتب ، وكلها تحت تصرف الطلاب .

المخطوطات بالمكتبة الوطنية

●● هل يوجد ضمن المكتبة قسم للمخطوطات العربية والإسلامية على اعتبار أن المخطوطات علم قائم بذاته من ناحية ، وتشكل المواد الخام للمعلومات المطلوبة من ناحية ثانية ؟

ـ المخطوطات العربية محفوظة في المكتبة الوطنية ، ولكن الأستاذ المسؤول عن تدريس علم المخطوطات يصطحب طلابه دائماً في زيارات لقسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية ، ويدربهم على التعامل مع مجموعة المخطوطات الموجودة هناك ضمن منهج الدراسة .

●● هل يشترك القسم في بعض الدوريات التي تصدر في العالم العربي ليبقى مطلعاً على تطور الثقافة والفكر والأدب واللغة ؟

ـ نعم ، يصلنا عدد كبير من المجلات المتخصصة ، نقدمها للطلاب لدراستها .

كتاب في اللهجة الدمشقية

●● وماذا عن مؤلفاتكم وكتاباتكم الشخصية ، في مجال تخصصكم ؟

ـ قمت بوضع كتاب تمهيدي لدراسة اللغة العربية للناطقين باللغة الألمانية ، وكتبت عدداً من المقالات العلمية ، ومعظمها حول المشاكل الخاصة بالتحليل اللغوي للغة العربية ، وهذا الموضوع ليس بالذي يسهل شرحه ، وإذا حاولت هذا لوجب عليَّ أن أشرح الكثير ، ولا يتسع الوقت لذلك ، أما عن مجال اختصاصي فهو علم اللغة واللغويات وفقه اللغة العام ، وأيضاً تطور اللهجات العربية الرئيسة ، وقد ألَّفت كتاباً بعنوان « وصف اللهجة الدمشقية » ، وصدرت هذه الدراسة في « كاليفورنيا » .

●● ماذا كان انطباعكم الشخصي ـ كدارس للغات السامية واللغات الشرقية ـ عن موقع اللغة العربية ومرونتها وكثرة مترادفاتها ، واستمرار حياة الكثير من مفرداتها ، وقابليتها للاشتقاق ؟

ـ اللغة العربية هي أهم اللغات السامية ، وأغناها آداباً ، وطبعاً أجملها أيضاً بالنسبة لي ..

المرونة .. وقدرة العربية على الاستيعاب

●● بماذا تعلل اختيار العربية لأن تكون لغة القرآن الكريم ، باعتباركم على علم بقدرة اللغة العربية على استيعاب المعاني القرآنية أو الدينية ؟

وهل ترى ميزة لاختيار اللغة

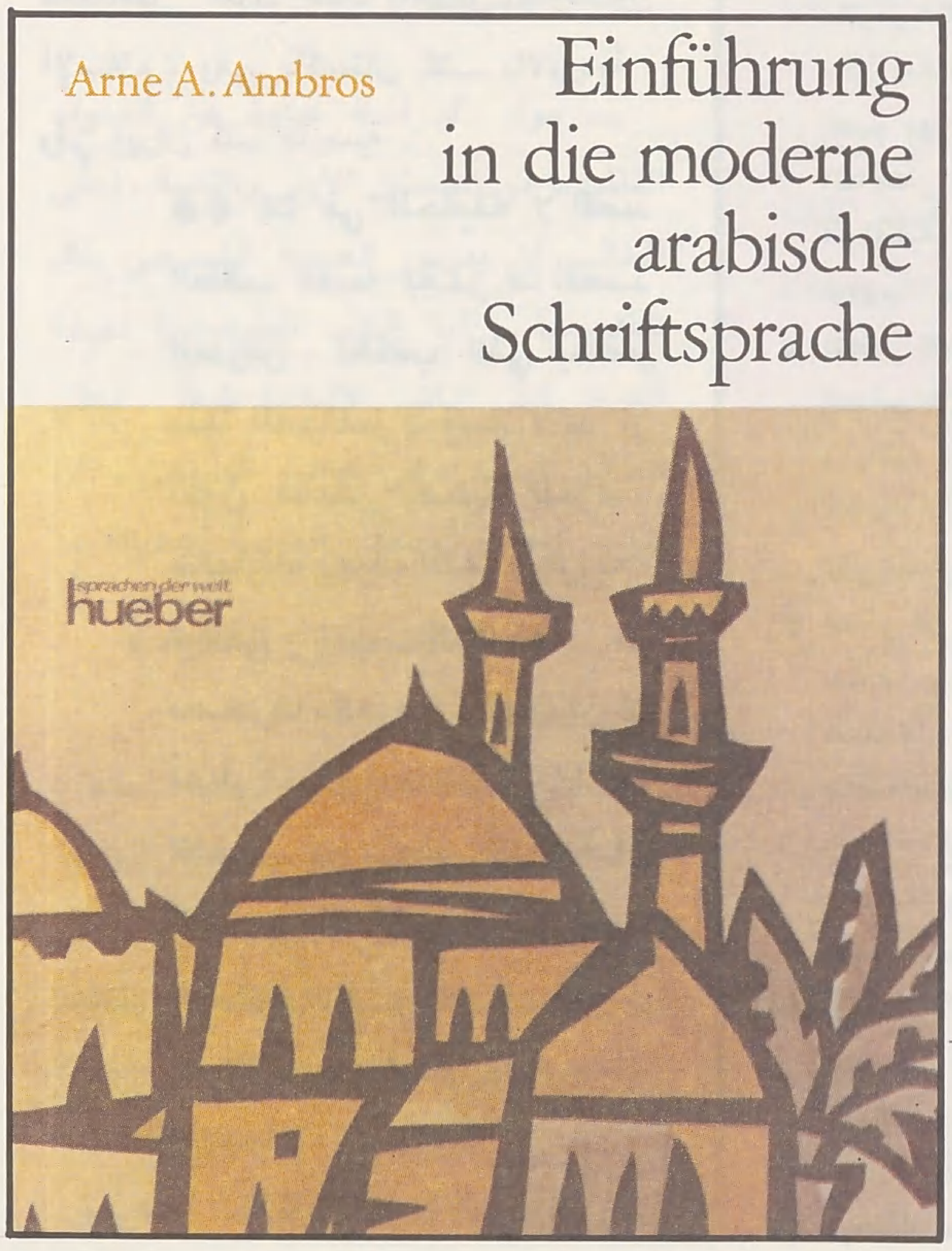

■ غلاف كتاب تعليم اللغة العربية للناطقين باللغة الألمانية ـ للمستشرق النمساوي « آرنيه امبروز » ■

العربية من بين اللغات العالمية أو من بين اللغات الشرقية أن تكون لغة الإسلام ؟

ـ الحقيقة هذا سؤال صعب جداً .. والإجابة عليه تحتاج إلى فكر طويل ..

●● لعلكم تدركون قدرة اللغة العربية على الاستيعاب والتعبير عن الحالات الشعورية ، فالقيم التعبيرية في اللغة العربية قادرة على استيعاب القيم الشعورية والمعاني الكثيرة : من خلال كثرة المترادفات والقدرة على التطور في الدلالة مع الاحتفاظ بالمادة اللغوية الأصلية .. ما هو تعليقكم على هذه الحقيقة ؟

ـ بصورة عامة ، أظن أنه من الممكن تنزيل البشرىٰ الإلهية في أية لغة من لغات العالم ، ولكن لست أدري لماذا أنزل الله تعالى القرآن بالعربية .

●● ألا يوجد لدى اللغة العربية من المرونة والمترادفات والقدرة على التعامل مع السلّم الصوتي الإنساني ما ليس عند اللغات الأخرىٰ ؟

ـ هذا ممكن ولكن ليس من السهل المقارنة بين اللغات بالتدقيق العلمي .. وقد نرىٰ في اللغات الأخرىٰ ـ كاللاتينية مثلاً ـ الكثير من المرونة والمترادفات الكثيرة ، ولكن لست أدري لماذا أُنزل القرآن الكريم بالعربية ..

●● هل تعتقدون بأن المترادفات ، يحمل كل منها معنى خاصاً به أم انها تدل جميعاً على معنى واحد ؟ هذه طبعاً قضية لغوية .

ـ مسألة المترادفات في الحقيقة صعبة ، وفي رأيي ، وفي رأي معظم المستشرقين أن تلك المترادفات المذكورة في العربية الفصحى هي عبارات خاصة باللهجات العربية القديمة للقبائل المختلفة .. يعني لم يثبت لدي أن العربي كشاعر مثلاً كان يستعمل كل هذه المترادفات في وقت واحد ، ولكن القواميس العربية الكلاسيكية جمعت كل هذه العبارات من اللهجات الخاصة بالقبائل كتميم ـ مثلاً ـ أو أسد أو قريش ، في قاموس واحد .. ولكن في قبيلة معينة واحدة لم يكن العرب يستعملون مائة كلمة للأسد مثلاً ـ ولكنهم كانوا يستعملون كلمة واحدة فقط ..

●● ألا تعتقد بأن لكل مترادف تخصصاً في معنى لغوي خاص به : بحيث كان العربي يستعمل كل لفظة لحالة شعورية معينة ؟

ـ هذا ممكن ، ولكن بالنظر إلى ما تحت أيدينا من النصوص لا يمكن أن نحكم في هذا ، لأنه عند ترجمة هذه النصوص إلى لغة أخرى يبقى المعنى واحداً ، مهما بلغ عدد مترادفات الكلمة العربية .. فكيف لنا أن نعرف أن هذا المعنى ـ مثلاً ـ كان يختلف عن معنى آخر للكلمة نفسها إذا كانت الترجمة إلى لغة أخرىٰ تبقى كلمة واحدة .

●● أمَّا نحن فنقول : إنَّ دارس اللغة العربية أو المتخصص فيها ، قد يلمح شيئاً من الفوارق بين الكلمات ..

ـ هذا ممكن طبعاً ..

■■ وبعد فلا بد لنا من ان نعترف بان دراسات المستشرقين كانت دليل المستعمرين ومدخلهم إلى التعرف على العالم الإسلامي ومعرفة خصائصه اللغوية ومكوناته الثقافية ، وتحديد صور التعامل معه وتحقيق التحكم الثقافي في مؤسساته ومناهجه العلمية . ولا يزال الكثير من طلابنا ودارسينا يعيشون على إنتاج المستشرقين وينظرون إلى العالم الإسلامي من خلال عيونهم التي كانت تحمل الكثير من الكيد والتوهين لمقومات الأمة الإسلامية وتركيز الشبهات حول الثقافة والحضارة الإسلامية .

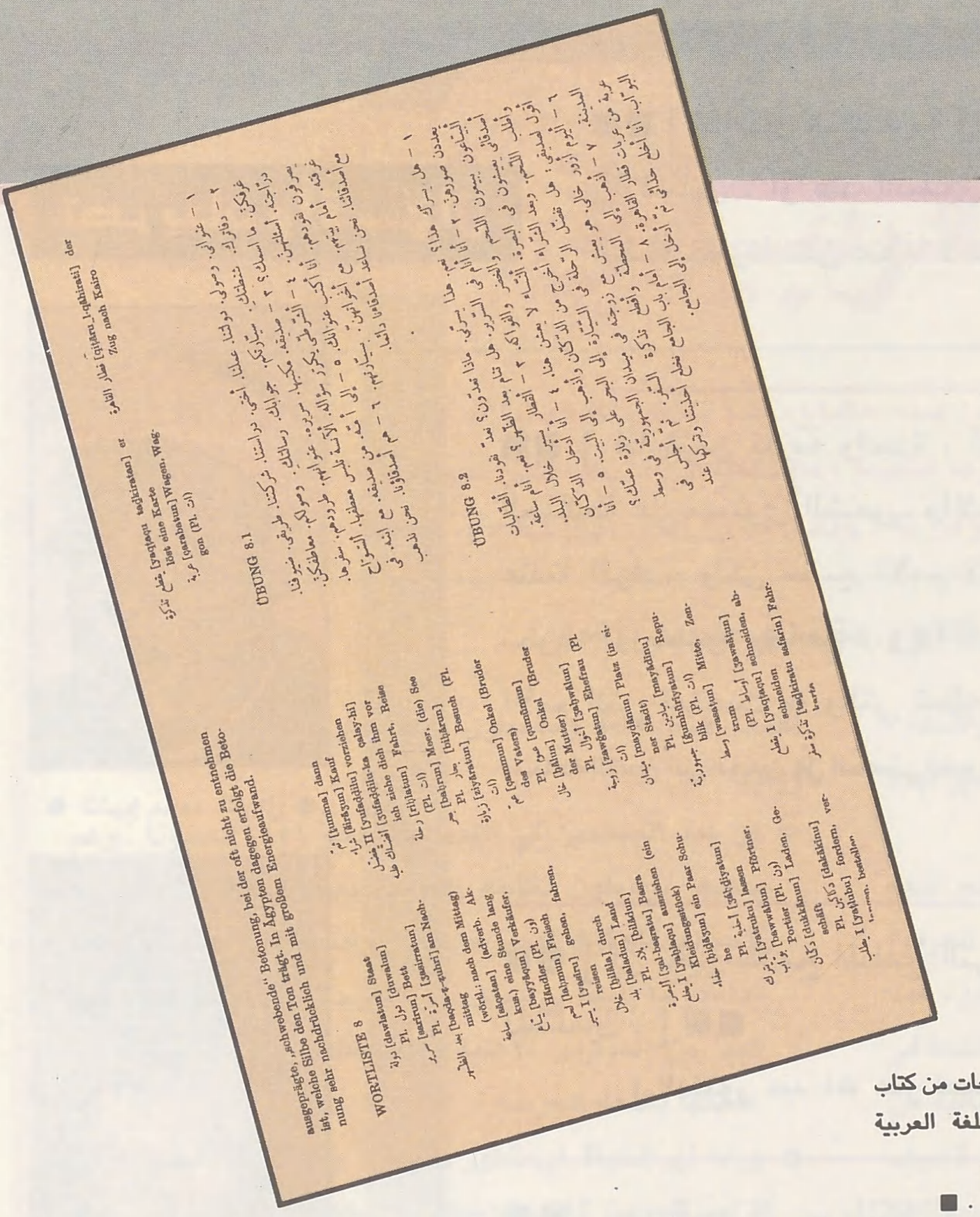

■ صفحات من كتاب تعليم اللغة العربية للناطقين بالالمانية . ■

تصريحات وأقوال

● الشيخ محمد الغزالي ●

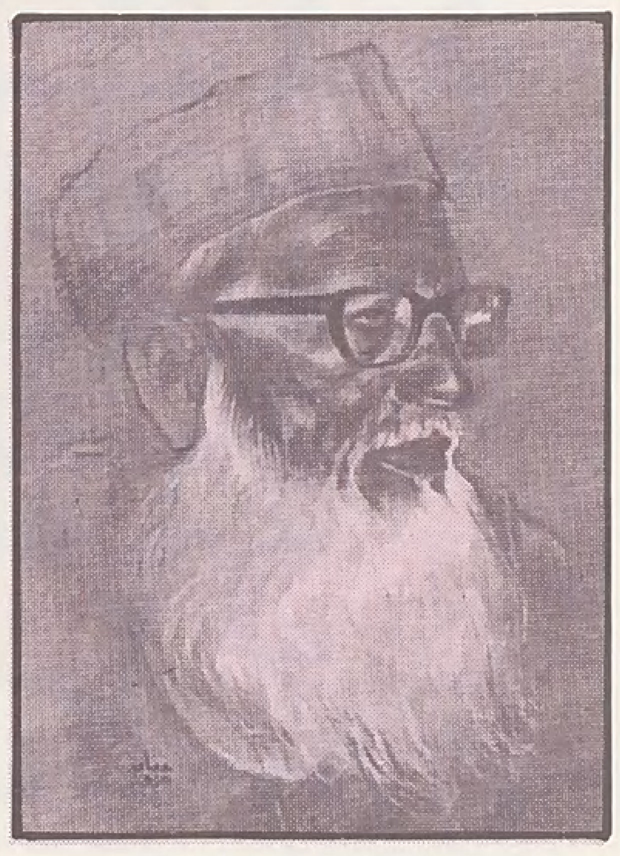

● الشيخ ابي الحسن الندوي ●

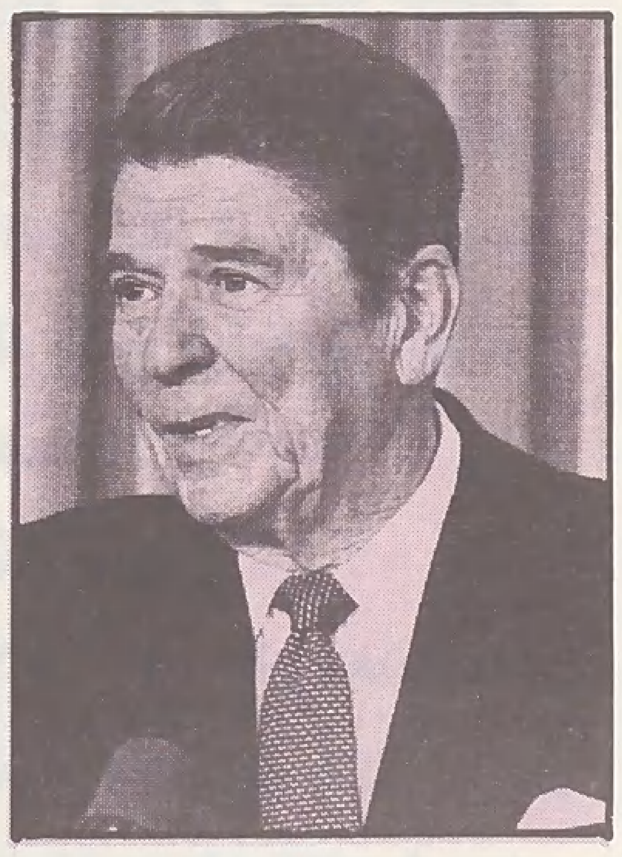

● رونالد ريغان ●

● الدكتور رشدي فكّار ●

■■ [إذا كان هناك أزمة في الفكر الديني فإنما تجيء من سوء الأخذ والاقتباس ، أو عند التطبيق والتصرف .

الخطأ خطؤنا نحن عندما لا نحسن الفهم أو لا نحسن العمل ...] ■■

(الشيخ محمد الغزالي)

■■ [أنا أؤمن بأزمة واحدة ، أزمة عدم وجود القدوة الحسنة ، القدوة الصالحة على مستوى الشعوب والأمم ، ليس على مستوى الأفراد ، الحمد لله عندنا أفراد ، ولكن مصير الأمم لا يتغير بالأفراد .. مصير الأمم يحتاج في تحويله إلى مجهود جماعي .. وإذا بقي هذا الفراغ طويلاً ؛ فإنه ليس خطراً على الأمم التي امتحنت به والتي تمثله بل هو كارثة العالم كله ..] ■■

(سماحة الشيخ ابي الحسن علي الحسني الندوي ـ في محاضرة له بمؤتمر الدعوة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة)

■■ [إنَّ تغيير ملامح المناهج التي تدرس حالياً هو السبيل إلى تغيير واقع المسلمين .] ■■

(الدكتور عبد الله عمر نصيف ـ الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي)

■■ [إنني أعود إلى نبوءاتكم القديمة في التوراة حيث تخبرني الإشارات بأن المعركة الفاصلة بين الخير والشر مقبلة ، وأجد نفسي أتساءل إذا ما كنَّا نحن الجيل الذي سيشهد وقوع ذلك ؟!.. إنني لا أعرف إذا ما كنتَ أنت قد لاحظت هذه النبوءات مؤخراً ، ولكن صدقني إنها تصف الأوقات التي نجتازها الآن] ! ■■

(رونالد ريغان ـ لأحد أعضاء اللوبي اليهودي)

■■ [إنَّ الفكر وجه من وجوه النشاط الإنساني ... وإن الفرد الذي لا يحسن التعبير اللغوي ، لا يمكن أن يعبِّر عن فكره تعبيراً واضحاً ولا يمكن أن يفكر تفكيراً سليماً ..] ■■

(الدكتور عمر فروخ)

■■ [إنَّ الإيمان جزء لا يتجزأ من نفس الإنسان ، وإنه من المستحيل عليه أن يكون ملحداً ، حتى ولو ادّعىٰ ذلك ، حتى ولو أراد وأعلن .. ما دام عاقلاً .

رحلة الشك تدور في حلقة دائرية لتعود إلى نقطة البدء وهي الإيمان المطلق أو العجز والإفلاس وعدم القدرة على مواصلة الطريق العقيم غير النهائي .] ■■

(الدكتور رشدي فكّار)

مع اللغة العربيّة في الهند

■■ عشت مع اللغة العربية حوالي عشرين سنة طالباً ومعلماً ، وهذه المعايشة قد أورثتني حباً لهذه اللغة المعروفة بحيويتها الواسعة والغنية بكنوزها الثمينة ، بالإضافة إلى ما يكنّه قلبي نحو هذه اللغة من الاحترام والتقدير لأنها لغة الإسلام ، الدين الذي أؤمن به ، ولغة القرآن الذي أُنزل شفاء ورحمة للمؤمنين . ■■

بقلم : الدكتور مقتدى حسن ياسين

وهذه الصلة قد حملتني على كتابة هذه السطور المتواضعة ، لعلها تجد أذناً واعية لدى من يتمتع بحب وغيرة وتقدير لهذه اللغة .

والمناسبة هي أني حضرت ندوة خاصة بتطوير مناهج اللغة العربية وطرق تدريسها في الهند ، عقدها قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة « دهلي » عاصمة الهند . وقد حضر الندوة عدد كبير من المدرسين والباحثين الذين يقومون بخدمة هذه اللغة في دولة الهند العلمانية . واستمرت الندوة ثلاثة أيام متتالية من اواخر شهر يناير [كانون الثاني] ١٩٨٥م ، ومع أني لم أتشرف إلّا بحضور جلسة واحدة في اليوم الأخير إلّا أني ازددت ثقة بمستقبل اللغة العربية في الهند ، بما لمست في بحوث ذلك اليوم من العناية والجدية في تعزيز مكانة هذه اللغة ودراساتها وبحوثها في شبه القارة . وقد تفاعلت كثيراً بكلمة الدكتور نثار أحمد الفاروقي رئيس قسم اللغة العربية بجامعة دهلي ، إذ صرح بأن قسم اللغة العربية جاد غير هازل في عقد هذه الندوة ، وأنه بحق يريد التقدم والنهوض بالدراسات العربية في شبه القارة ، وانه مصمم على اتخاذ كل ما يحقق هذه الهدف من الوسائل والطرق .

وبينما كنت أسمع هذه الكلمة جالت في نفسي خواطر أود أن انقلها إلى حماة هذه اللغة في البلاد العربية الذين يسهرون لخدمة هذه اللغة ويضحون بالكثير في سبيل تعزيز مكانتها ورقيِّها .

● إن عدد المسلمين في الهند يبلغ نحو (١١٥) مليوناً ، وهم جميعاً يرتبطون باللغة العربية دينياً وثقافياً ، ويبذلون لإحيائها ما يتوفر لديهم من المال والجهد ، ويستجيبون لكل نداء يوجَّه إليهم في سبيل نشر العربية في الهند ، وهناك عدد كبير من المدارس الأهلية والجامعات الرسمية التي تبذل عنايتها باللغة العربية .

● وبما أن الحياة في تطور مستمر ، والحاجات البشرية في تزايد ملموس ، فإن الوسائل والإمكانات التي تسخَّر اليوم لخدمة اللغة العربية تتضاءل أمام المتطلبات المتجددة يوماً بعد يوم .

● ونرى هناك جهوداً تبذل من الإرساليات النصرانية لخدمة اللغة الإنجليزية والدين النصراني ، وهم يتخذون وسائل متنوعة من المدارس والمستشفيات والصحافة والإذاعة لنشر ديانتهم وثقافتهم بين أبناء الهند ، وآثار جهودهم في هذا المجال ملموسة لدى الجميع .

● وإذ منَّ الله تعالى على أغلب الدول العربية بالثروة والمال ، وهناك رجال مخلصون يقومون بالتخطيط والتنسيق للمساهمة في الحركة الثقافية المعاصرة ؛ فإن العيون ترنو إلى هذه الدول لأجل أن تنتهز هذه الفرصة لتعزيز مكانة اللغة العربية في الهند ولنشرها على مستوىً أعلى ، ولا أقصد أن يكون ذلك بالمال وحده ، بل بتنظيم زيارات خبراء التعليم العرب للمؤسسات التعليمية في الهند ، وبتشجيع الدراسة المسائية للغة العربية في المدن الكبرى ، وبتوفير الكتب الدراسية التي وضعت حديثاً لتدريس اللغة العربية وقواعدها وآدابها على أحدث الطرق وأحسنها .

ومن الواضح أن مثل هذه البرامج لا تكلف كثيراً ، ولكنها تلعب - بإذن الله - دوراً بنّاءً في تعميم اللغة العربية ، وفي تقوية الروح المعنوية لدى المشتغلين بالعربية في دولة علمانية مثل الهند . والله وراء القصد .

الطيور الجارحة وعادات الصيد والأكل

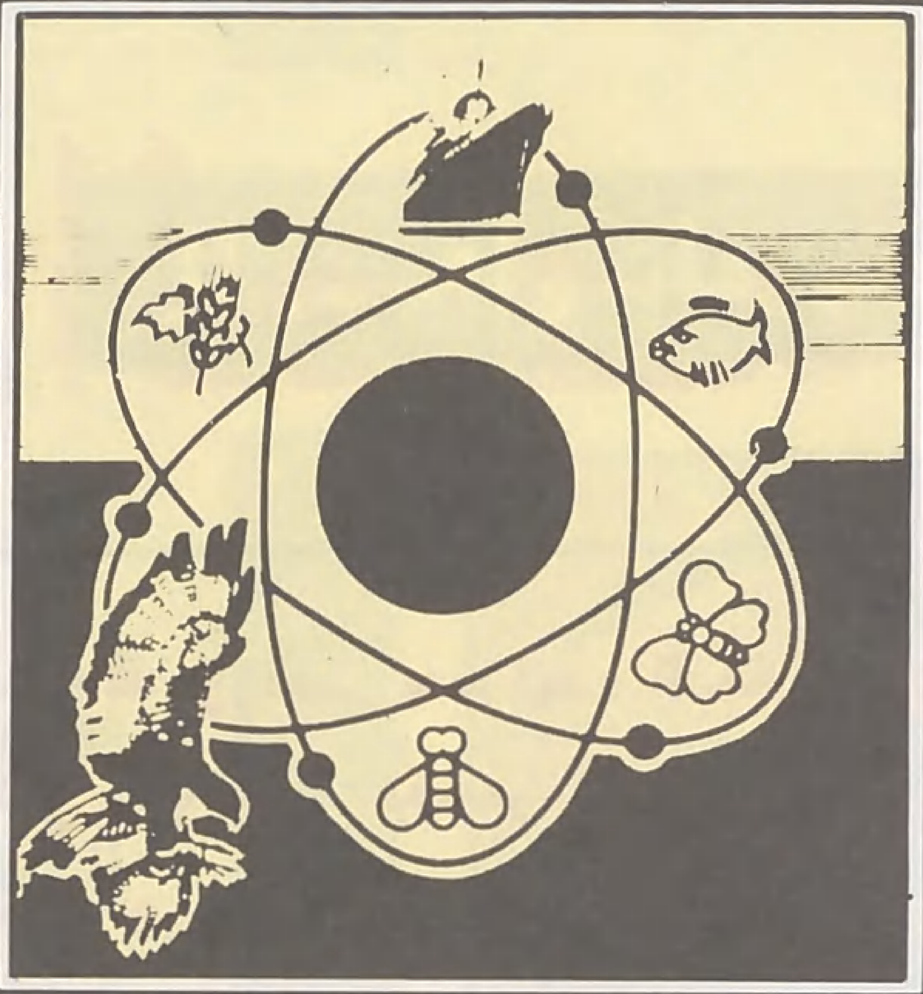

العلم والحياة

■■ المعلومات المتوفرة لدينا عن طريقة الجوارح في الصيد قليلة . ويمكن الاعتماد على الاستنتاج من دراسة بنية الأجنحة والذيل والأقدام والمنقار . كما يمكن تركيب وصف نظري لذلك من خلال الملاحظات المتفرقة .

تعزى صعوبة الحصول على المعلومات إلى كثافة موطن الجارح أحياناً ، حيث يصعب في الغابات متابعته ، وإلى نشاط الجارح نفسه ، فهناك جوارح تصطاد يومياً ، وهي أسهل ملاحظة من الجوارح التي تصطاد كل عدة أيام . ■■

■ النسر الشجاع في لحظة انتشاء فوق فريسته . ■

قام بعض الباحثين باستخدام التكنولوجيا الحديثة لدراسة طريقة اصطياد الجوارح ، في الغابات بشكل خاص ، فقد اصطادوا بعض الجوارح ثم زوّدوها بأجهزة إرسال Radio Transmitters صغيرة ، ولاحقوها بمُسْتَقْبِل محمول . ولكن المشكلة أنه لا يمكن الاستمرار في استقبال الإشارات من مسافة بعيدة . كما لوحظ أيضاً أن الاقتراب كثيراً من الطائر يجعله لا يسلك سلوكه الاعتيادي . وفي حالة الابتعاد قد تضيع فرصة مشاهدة لحظة الصيد وبعض التفاصيل المهمة .

أسهل الجوارح للملاحظة هي جوارح الماء ونسور وصقور البحر ، وكذلك جوارح الحشرات والقوارض والأفاعي والقواقع . فمن السهل مثلاً ملاحظة حداة المسيسبي أو الصقر الأوروبي أو الحداة السوداء وهي تمسك بالحشرات الطائرة بأقدامها ، ثم تأكل البطن وترمي الصدر .

من السهل أيضاً مشاهدة باز العسل The Honey Buzzard وهو يلاحق الزنابير العائدة إلى أعشاشها حتى يمسكها من وسطها ، ويزيل الإبر اللاسعة قبل ابتلاعها .

العوسق Kastrel نوع من الصقور يتغذى على الديدان الأرضية والضفادع والأفاعي ، وهو يسلخ جلد الفريسة قبل أكلها ، وحداة القواقع Snail Kite تأخذ القواقع إلى مجثمها ، وتنتظر حتى تخرج القوقعة باختيارها فتغرس منقارها في جسدها وتدفعها إلى فكها ، وتكسر الصدفة وتقذفها إلى الخارج لتبتلع ما فيها .

هناك جوارح تتغذى على مخلوقات

صغيرة تحتاج إلى بحث للاهتداء إليها في الشقوق . الهارّ ، نوع من الصقور ، يثني رجليه بمقدار (٧٠) درجة حتى يستطيع الإمساك بطرف حفرة في شجرة بقدم بينما يدفع الأخرى إلى داخل الحفرة لإخراج خفاش او طائر . بينما الصقر المعروف بالغرنوق Crane Hawk يدس راسه في تجاويف الشجر واقدامه في الفتحات الاضيق . قليلة هي الجوارح التي تصل إلى الطرائد التي يستطيع هذان الجارحان الوصول إليها ، وكلاهما يقضي وقتاً طويلاً في عملية البحث هذه .

تصطاد الجوارح إمّا وهي محوّمة او محلّقة في الجو وإمّا بالانقضاض من المجثم . فعندما يكون الجارح في مجثمه فإنه يراقب الأرض بعناية ، وعند ادنى حركة يحرك عينيه اماماً وخلفاً ، تزداد نظراته حدة ، يحدد موقع الفريسة تماماً ، وينقض بسرعة ، وتتسارع حركة انقضاضه كلما اقترب من الفريسة ، ويكون جناحاه إلى الأعلى عادة ، فيما يثني رجليه ويضم قدميه .

اما الجوارح التي لا تعتمد على المجاثم ، فهي تحوم وتحلق بحثاً عن الفريسة . عندما تتوفر رياح قوية لا تفرد اجنحتها . وعندما لا توجد رياح قوية فإن الجناحين ينفردان بشكل مروحة ، كما ينفرد الذيل ليحصل على رفع زائد . وقد اظهر التصوير السينمائي البطيء أن راس الجارح يبقى ثابتاً بينما يتغير وضع الأجنحة والذيل . هكذا يعتبر التحويم مجثماً جوياً ، ويأكل الجارح اثناءه الفريسة ، كما لو كان فوق شجرة .

عندما يرى الجارح المحلق فريسة على الأرض يهبط ببطء ، ويتفحص الأرض مرة أو مرتين ثم ينقضّ فجأة وجناحاه مرفوعان .

هناك حيوانات صغيرة سهل اصطيادها ، واسهلها على الإطلاق الخُلَد ، لانه لا يرى . عكس ذلك السنجاب الأكثر حذراً والأصعب اصطياداً . ولا بد للجارح من مفاجأته قبل أن يستطيع الهرب . وهذا يحتاج إلى هجوم مخطط له من مسافة بعيدة .

الأفاعي من الفرائس التي تشكل خطراً على الجارح بسبب سمومها . هناك جوارح لا يستثيرها منظر اي كائن سوى الأفعى .

■ نسر يراقب جحور القوارض على قارعة الطريق . ■

يضرب الجارح الأفعى بإبهامه قرب رأسها . للأفاعي عمود فقري هش سهل الكسر ، ونسر الأفاعي له إصبع قوي قصير متكيف للإمساك بالأفعى . تتدلى الأفعى في إصبع النسر ثم يمررها إلى القدم فالمنقار .

أفعى « الكوبرا » بشكل خاص تشكل معضلة للنسر ، والمواجهة بينهما أشبه بملحمة . وقد زوّد الله سبحانه رجل نسر الأفاعي بحراشف خشنة تحميها من عضّات « الكوبرا » ، ولكن الكوبرا تضرب الجسم ،

■ عوسق يشــرب ■

العلم والحياة

■ انثى الباز وقد اصطادت طائراً ، ونشرت فوقه جناحيها حماية له ، فيما يلوح التهديد من رأسها . ■

■ الصقر الهارّ مزوّد بأرجل تستطيع الدخول إلى تجاويف الشجر بحثاً عن عش أو خفاش . ■

بشكل رئيس والأجنحة ، ولكنها لا تصل إلّا إلى الريش فلا يدخل السم إلى جسم النسر ولا إلى مجرى دمه ، وأثناء العراك تجهد الكوبرا ويكسر ظهرها ويحطم رأسها الخطِر في النهاية ، ويقوم النسر بتقطيعها إرباً ثم يلتهمها .

هناك جوارح غير متخصصة بفريسة معينة ، فهي تصطاد كل الفرائس من الأفاعي السامة إلى القوارض والضفادع والحشرات . من تلك الصقر الحوّام أو الجراح Buzzard الذي يتعامل مع جميع الفرائس وإن كان يفضل الثدييات الصغيرة والمتوسطة مثل الأرانب .

يتكيف الصقر الجرّاح مع الظروف البيئية ومع نوع الفريسة . فهو أحياناً ينقض من المجثم وأخرىٰ يصطاد وهو محوّم أو محلّق .

في بعض المناطق ينقضّ من المجثم بين شهري ايلول [سبتمبر] وشباط [فبراير] ويصطاد محوّماً من آذار حتى آب [مارس واغسطس] ، اي انه ينقضّ من المجثم في الطقس السيء حيث يصعب التحليق .

ووجد في بعض المناطق انه يقيم مجاثمه على مقربة من المآرب (أرض الأرانب) Warren . كذلك فهو يصطاد محوّماً عندما يندر وجود الثدييات الصغيرة .

هناك جوارح متخصصة بفريسة معينة مثل حداة القواقع Snail Kite ونسر الأفاعي Snake Eagle ، وكلاهما يمكن أن يهلك جوعاً في أرض تغص بالأرانب أو بكائنات أخرىٰ غير الفريسة المرتبط بها .

بعض الجوارح تأكل بيض الطيور . وتقوم هذه الجوارح عادة بالتقاط البيض ثم قذفه على صخرة حتى ينكسر . من هذه الجوارح : النسر الهندي والمصري والحداة الأمريكية . كذلك فإن الطيور حديثة الولادة تشكل فريسة جيدة لبعض الجوارح .

أما الطيور الكبيرة فإنها تصطاد فقط من قبل الصقور السريعة مثل الـ Accipiter ، والنسور . وكل جارح له طائره المفضل بعضها لا يأكل إلّا الجواثم من الطيور Passerine ، مثل الحسون والسنونو .

يعتمد الـ Accipiter على المفاجأة والبراعة . يطير بمحاذاة صف الأشجار أو السياج ويفاجيء الفريسة ، أو يسير منخفضاً فوق الأرض وبين الأشجار ليقتحم سرباً من العصافير ، وعادة ما يخطط لهذا الهجوم من مسافة بعيدة ، كما انه قد ينقضّ من مجثمه ليخطف طائراً قريباً .

هناك نسور تفضل الطيور التي تدب على الأرض مثل : البط والحباري Bustard مع انها تصطاد طيوراً أخرىٰ في الجو ، ولكن إذا توفر لها غذاء على الأرض فقلما تلاحق الطيور في السماء ، وقد أدركت بعض الطيور ذلك ، فالطيهوج الأحمر Red Grouse (من فصيلة

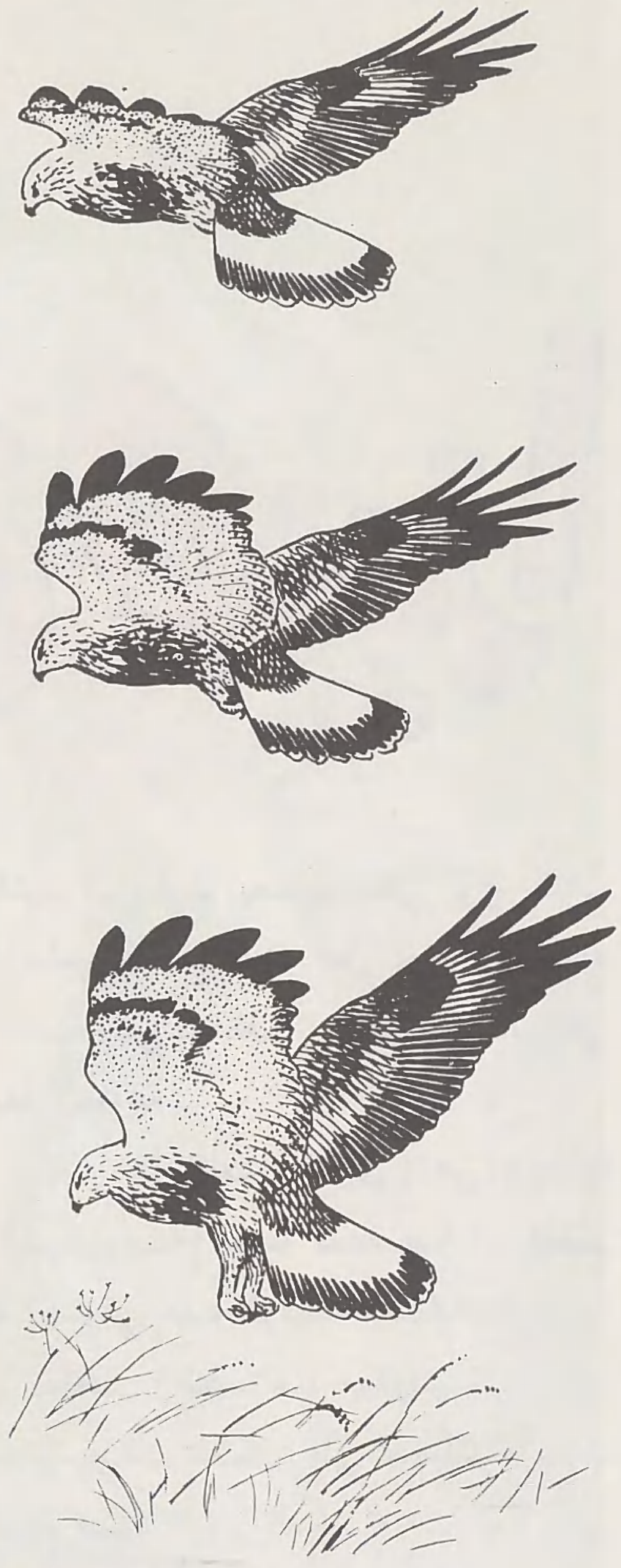

■ الصقر الحوَّام في حالة انقضاض بعد ان رأى فاراً بين العشب . كلما اقترب من الأرض ارتفع جناحاه ونزلت رجلاه لتقوم بالضربة النهائية . ■

الدجاج) يطير ولا يختبىء ، إذا رأى هذه النسور ، لأنه يدرك أن الطيران أسلم من الاختباء .

الباشق Sparrow hawk يختبىء حتى يقترب من الفريسة على الأرض ، ثم يلحق بها في الجو إذا هربت .

النسر المعروف باسم Martial Eagle (النسر الشجاع) لا يستطيع ملاحقة الطيور في الجو ، لذلك فهو يهاجم من مسافة بعيدة وبسرعة كبيرة ومن ارتفاع عالٍ . تصل المسافة احياناً إلى خمسة كيلو مترات .

اكثر الجوارح إثارة في الاصطياد ، وإمتاعاً في المتابعة ، الصقور السريعة الكبيرة مثل الحر Lanner و Sakew ، واكثرها إثارة على الإطلاق الشاهين Peregrine ، ويسمى ايضاً الباز الجوَّال ، إذ تتميز هذه الصقور في انقضاضها بالسرعة والدقة والضربة القوية الصاعقة ، وكلها أمور تثير الإعجاب .

ومتابعة هذه الصقور تدل على انها تخطط لهجماتها من بعيد وتنفذها من بعيد ، يرى الصقر الجائم فريسة ، فينتصب ريشه ويحرك راسه إلى اعلى واسفل . ينتظر قبل ان يتابع الفريسة ، يحوم ليستفيد من ارتفاعه في الجو . قد تمتد الملاحقة خمسة كيلو مترات . وكثيراً ما يتعاون الذكر والأنثى في عملية الاصطياد ، فيقوم احدهما بالقتل فيما يلتقط الآخر الفريسة .

هناك نسور في غابات افريقيا بشكل خاص ، تتغذى على الثدييات الكبيرة : مثل القردة والظباء والعجول التي تزن أكثر من وزن النسور نفسها . تقوم النسور بغرز المخلب الخلفي في رقبة الحيوان حتى تشلّه ، ثم تقوم بتقطيعه ، وأحياناً تعلق أجزاء منه في أغصان الأشجار لتعود إليه عند الحاجة ، او تنقله إلى مجاثمها .

هناك جوارح تأكل الجيف فقط . وهي تنتظر كواسر الوحوش لتقتل حيواناً ما ، لتتغذى عليه بعد ذلك ، أو تنتظر موته موتاً طبيعياً . ولذلك فقدت هذه الجوارح قدم الإمساك القوية والمخالب ، لأنها لا تستخدمها ، واحياناً ينشب صراع فيما بينها على اكل الجيفة . والسابق عادة او المهاجم هو المنتصر ، بينما المدافع خاسر .

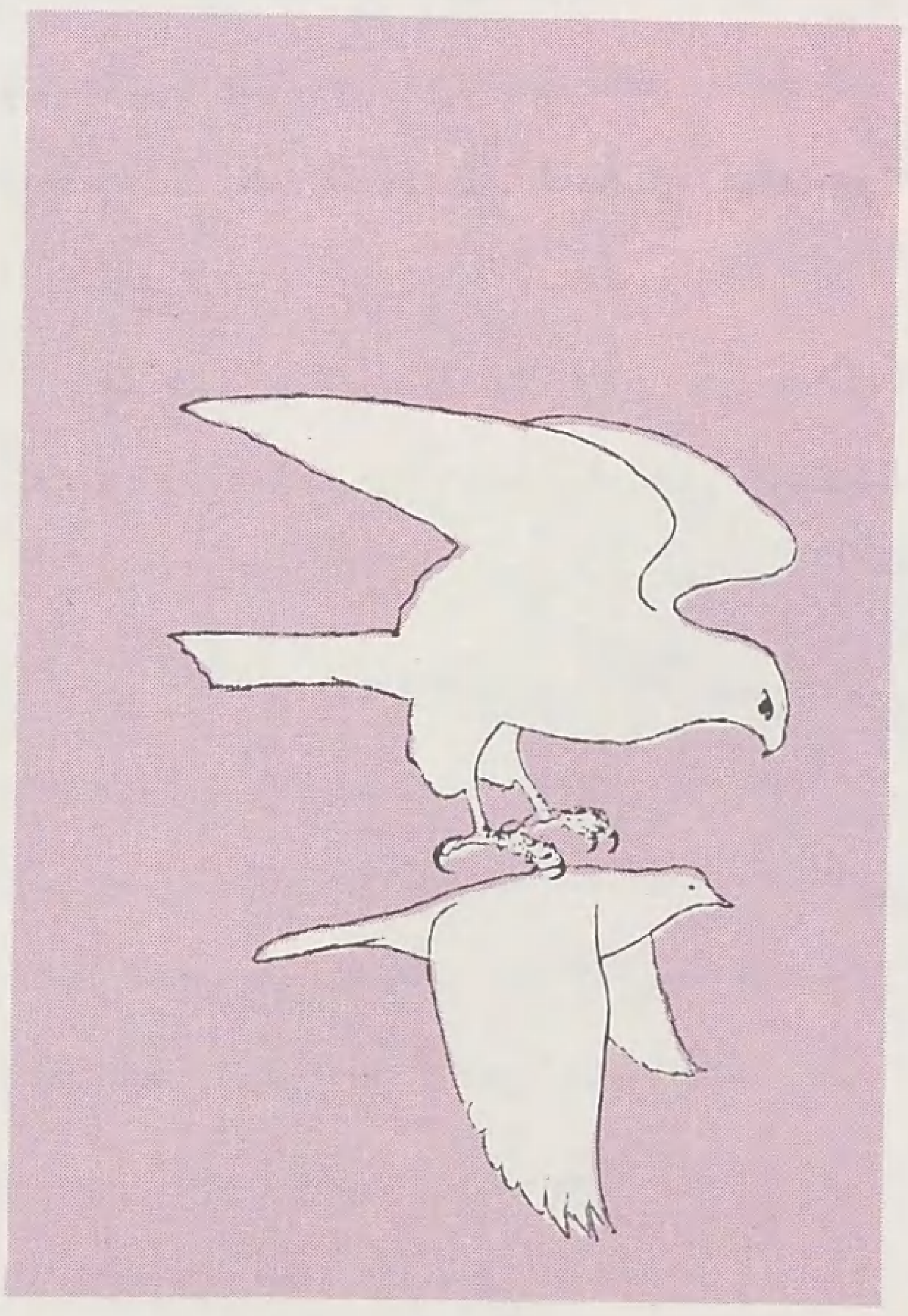

■ الشاهين في لحظة صيد ■

وهناك نسور معينة تخشاها الجوارح الأخرى .

كاسر العظام Lammergeier ، جارح بين النسر والعقاب متخصص في العظام . ويوصف بانه ضبع الجو . اجنحته طويلة جداً ، ويتصف بالرشاقة . يجمع العظام برجليه وينقلها إلى صخرة حيث يسقطها فتنكسر . يسقطها من ارتفاع ٣٠ ـ ٦٠ متراً ، ثم يهبط لياكلها قبل أن يسبقه غيره إليها . إذا لم تنكسر العظمة يعيد الكرَّة مرة واخرى قبل ان ييأس ويتركها .

بين الجوارح قرصنة وسرقة ، ولا تتم بسبب الجوع فقط . بعض النسور أشبه بقطاع الطرق ، خاصة بالنسبة للطيور والثدييات التي لا تستطيع هي اصطيادها ، فتقوم بسرقتها من غيرها ، وتنتشر السرقات اكثر بين الجوارح التي تتغذى على الجيف .

بعض الصقور تكسر رقبة الفريسة بعد قتلها ، وبعضها ياكل الرقبة والراس ويترك الباقي او ينقله إلى مكان آخر . مكان قتل الفريسة يوجد عادة الريش والفرو ومعدة الفريسة ، خاصة إذا كانت مملوءة بالخضار ، فالجارح يعافها . إذا كانت الفريسة كبيرة جداً فإنه يمزقها إرباً وينقلها قطعاً او يتركها ليعود إليها بين حين وآخر ، وتعتمد الكمية الماكولة على شهية الجارح ، والجوارح عادة لا تاكل إلَّا إذا جاعت . ولكن الجوارح ، التي تشهد حياتها فترات من المجاعة ، تاكل اكثر مما تحتاج .

يبقى سؤال عن مدى نجاح الجارح في الصيد . تختلف الآراء حول ذلك ، لأن قليلاً من الناس من رآه بانتظام ولفترة طويلة للحصول على معلومات كافية . العالم السويدي « جوستاف رودبيك » يعتقد ان « الشاهين » ينجح مرة كل (١٥) مرة . والعالم « لامبرت » راقب (٤٦٩) هجمة .

نجح في (٤١٩) منها ، والحقيقة ان كل من راقب هذا الجارح يؤكد نجاحه الكبير . هناك شبه إجماع على أن معظم الجوارح تقوم بعدة هجمات فاشلة قبل القيام بهجمة ناجحة .

قصة قصيرة

طبيبة عن صيدا

— **« هل من أحد يا ماري ؟ »**

تنبهت الشقراء الداخلة . عدّلت من وضع قبعتها البيضاء على شعرها المقصوص قائلة :

— **« لا يادكتورة ، لكن من المحتمل أن ياتينا أحد في نوبتنا الليلية هذه .. »**

التقطت منديلها .. جففت عرقها وهي ترسل بنظرات متخابئة إلى محدثتها وغمغمت :

— **« سأذهب الآن لتفقد قسم العظام .. هل من مساعدة أقدمها ؟! » .**

ابتسمت لها ذات الخمار الأبيض من وراء مكتبها ، وشيّعتها بعبارة شكر رقيقة .

وعادت الغرفة المضاءة في المستشفى الكبير لتهجع في حضن السكون الهادىء .. وبعد أن تصفحت مجلة طبية نهضت (**الدكتورة نجلاء**) من مقعدها كأنها تذكرت أمراً ما ، ثم ما لبثت أن عاودت جلستها بعد إحضارها لشيء صغير من جيب جلبابها الخارجي المعلق على المشجب ، وسرعان ما استغرقها سكون جليل وهي تتابع الترتيل من المصحف بصوت شجي خاشع .

وغامت مقلتان ، وتحدرت دمعتان .. تهدج صوتها وهي تستعيد الآية الكريمة : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ... استوقفها قطار الذكريات عند محطة دقيقة في حياتها وتمثلت صورة والدها الحبيب .. كان يتمنى رؤية اليوم الذي تصبح فيه (**طبيبة**) وتتسلم مشفاه الخاص في المدينة خاصة بعد حصولها على المركز الأول في (**البكالوريا**) والتحاقها بكلية الطب في الجامعة الأمريكية ببيروت .

تذكرت كيف أنها ـ في لحظة ضعف بشري ـ كادت تتخلى عن متابعة دراستها يوم جاءها نعي والدها بموته تحت أعقاب البنادق اليهودية بينما كان يُجري إحدى العمليات الجراحية !

كانت يومها كالبركان الفائر .. لم تكن لتقتات إلا فكرة (الثأر) وطرائقه ووسائله .. لكن .. لكن أمها المكلومة وقفت بحزم أمام ثورة مشاعرها وأفهمتها أن الثأر للأشخاص أو للأرض ليس بذي قيمة إلى جانب الثأر للعقيدة كفكرة وحركة وحياة .. وأوضحت لها هذه الأم المؤمنة أن الوصول إلى الهدف لا يكون بارتجال مواقف أو فورة حماس أو ازدراد شعارات واجترار أحلام !..

ما زالت (**نجلاء**) تذكر مقولة أمها وهي ترفع سبابتها بمنتهى الثقة والقوة :

(عودي يا ابنتي إلى مقعدك في الجامعة حيث المرابطة الحقة على ثغر عظيم الأهمية .. واذكري جيداً أن الأمة بحاجة إلى الطبيبة المسلمة .. ولن نعدم (رجالًا) يثأرون لحرمات الله ! أما إذا احتجنا إليك فما أسهل تغيير المواقع !) .

وها هي بالفعل تلمس الآن من خلال معايشتها لعملها مدى خطورة الدور المنوط بالطبيبة المسلمة لعلاج ورعاية المسلمين ؛ وتقديم الأنموذج الالتزامي الفاضل الذي يُعيد إلى الأذهان الصور المشرقة لإسهامات المرأة المسلمة خاصة طبيبات العهد الصحابي أمثال : **عائشة والرميصاء ونسيبة** ؛ حتى إن (**نجلاء**) أطلقت على نفسها **(أم سليم)** وعلى زميلتها (**نجوى**) **ـ الطبيبة الشاعرة ـ (أم عمارة)** !

وانتبهت من شرودها على صوت أقدام تقترب .. ركزت بصرها على لوح الباب الزجاجي الذي شف عن خيال الشقراء الناحلة وهي تنعطف إلى العنبر الثاني في خفة وحيوية ..

« ياله ! ما زالت (ماري) في جولتها [الرعوية] كما تسميها !.. لشد ما تحيرني هذه الراهبة الشابة ؟! » .

تمتمت (**نجلاء**) بمقولتها وراحت الذكريات تنثال على مخيلتها حيث استعرضت اليوم الذي تعرفت فيه على (**ماري**) وبعض صويحباتها اللواتي يتقنّ الخدمات الصحية بمهارة عالية ، وقد تطوعن عن طريق مجلس الكنائس العالمي لرعاية المرضى ، إلى جانب جهودهن الحثيثة في تعلم العربية حتى أخذن يتكلمن بها . ولم يكد يمر شهر على عملهن بالمستشفى حتى أخذ الامتعاض الخفي يعرف طريقه إلى وجوههن بسبب تمسك (**نجلاء**) و (**نجوى**) بالسلوكيات الملتزمة مع الإخلاص في العمل مما جعلهما قدوة طيبة في المستشفى ، وبدأت الطبيبات الأخريات يحذون حذوهن .. واعتبرت (**ماري**) وصديقاتها أن المنافسة غير المباشرة بين الفريقين أدت إلى نتائج لم يكنّ يتوقعنها !

وعلى إثر ذلك شوهدت (**ماري**) وزميلاتها يحرصن على تعليق الصليب على صدورهن ، ومن آن لآخر لا يتورعن عن تقديم البطاقات الوردية المزخرفة والتي تتضمن مقتطفات من الإنجيل للمرضى ..

بقلم : أمـــة الله الـو د و د

ولا تزال (**نجلاء**) تذكر ذاك المساء الذي كانت تتفقد فيه جناح الأطفال ، ورأت (**ماري**) مكبة على طفلة من ضحايا القنابل العنقودية وهي تمسح على رأسها قائلة : (**صلي معي للسيدة العذراء .. لقد أخبرتني انها تألمت لأجلك وستنتقم لك من (محمد) !! الذى أفقدك رجليك وساعديك ..**) ولما رفعت رأسها عن الطفلة البريئة أصيبت بالارتباك والذعر حيال (**نجلاء**) وأخذت تسحب رجليها بتخاذل قائلة : (**آسفة .. لم اقصد شيئاً ..**) .

وكانت ليلة لم يذق فيها أحد النوم بعد شيوع الخبر .. وتوارت (**ماري**) بعد أن جوبهت بالتقريع .. ومن يومها التزمت الصمت وصديقاتها وقد أحنقتهن نظرات الحذر في كل مكان .. كانت (**نجلاء**) تتساءل : **ترى لماذا تبتعد المسلمة عن المواقع التي نحتاجها فيها وتترك مكانها لأعدائنا ؟**

وقطع عليها استرسالها ـ للمرة الثانية ـ أصوات من بعيد استشعرت أهميتها بحدسها كطبيبة ! .. أغلقت المصحف .. نهضت على عجل وارتفقت النافذة المطلة على الشارع العام .. الأصوات تقترب .. (**يا إلهي ! إنه صوت الإسعاف المتلاحق .. اللهم اجعله خيراً**) .

بوابة المستشفى تفتح بسرعة .. عربات تمرق إلى الداخل مختلطاً ضجيجها بأصوات غير مفهومة .. سيارة الإسعاف تواصل معزوفتها المزعجة وهي تتقدم موكباً من العربات تبينتها (أمل) وهي تتمركز في فناء المستشفى وخارجه بأنها عسكرية !

(**يادكتورة .. اسرعي .. غرفة العمليات ... إسعاف ...**) **وخفت** (**نجلاء**) وراء (**ماري**) المهرولة .. التقت في طريقها إلى جناح الطوارىء حيث غرفة العمليات بزميلتها (**نجوى**) التي لم تنم بعد .. الممرضات يتحركن في استعداد تام .. ممرات المستشفى الهادئة بدأت تكتظ بالعسكر وهم يدقون الأرض بأحذيتهم الثقيلة ويرطنون بينهم بعصبية واضحة .. التقطت أذنا (**نجلاء**) حديث أحدهم إلى

طبيبة عن صيدا

(ماري) بالإنجليزية بأنهم يشترون حياة المصاب بأي ثمن !

وصلت النقالة إلى الغرفة وبينما كانت (نجلاء) تحكم قناعها الطبي على وجهها ؛ راحت المقصات تنزع الثياب المتهتكة المغموسة بالدماء اللزجة والرابضة حول الأخاديد القانية التي اعتورت الجسد الممدد من كل ناحية .

وتحركت شفتا المصاب : **اللـه .. اللـ .. .**

(**الله** !!) نظرت (**نجلاء**) إلى (**نجوى**) نظرة ذات مغزى ثم ما لبثت أن كشفت عن رجليه تحسست بيدها لفافه قانية في مؤخرة ساقه .. فكت رباطها فلمعت سكين مسنونة تناولتها (**نجوى**) باهتمام .. اقتربت (**ماري**) ونظرت إليهما .. قالت وهي تكشط دماً متجلطاً بين أصابع قدميه :

إنه ليس منهم .. هذه السكين هي السلاح الأخير لهؤلاء كما علمت .. ويبدو أن هذا سقط قبل أن يستخدمه (وأشارت الى المصاب) !

حركة مفاجئة شدت الانتباه ثانية إلى الجسد الدامي حيث ارتفعت يمين المصاب قليلاً ثم عادت ثانية إلى مكانها وصاحبها صوته :

(**آه .. الحمد لله .. هل بقي أحد منهم ؟! أين أبو عبيدة ؟ ..**) .

رق قلب (**نجلاء**) بشدة .. نظراتها الزائغة بدأت تتفحص ما بدا من الجسم الراقد أمامها وندت صيحة مكتومة من (**ماري**) :

(**يا للسماء ! إنه .. إنه صغير .. صبي حدث .. يبدو أنه من ..**)

قاطعتها (**نجلاء**) بصوت بادي الاضطراب وإن جاهدت لإخفائه : **لا ترفعي صوتك .. اذهبي وأحضري أنبوبة التنفس .. أسرعي ..**

امتدت يدها ترفع الضمادات عن الوجه الصغير بين نظرات الممرضات المندهشة .. أدركت (**نجوى**) أن في الأمر شيئاً .. تصرفت بسرعة .. أرسلت كل ممرضة إلى مهمة ما .. وعندما خلت الغرفة منهن اقتربت من (**نجلاء**) الذاهلة وهي تحدق في وجه المصاب وقد تدحرجت دمعة من عينيها لتتوسد رموش الفتى المطبقة والتي سرعان ما اهتزت .. ورفع من بصره جاهداً .. والتقت نظراتهما ..

انسلت (**نجوى**) من جوارهما وقد استشعرت دقة الموقف .. أوصدت باب الغرفة بعد أن همست لرجل من هؤلاء العسكر كان يرابط بالباب - وعلمت فيما بعد أنه (كولونيل) - بأن العملية دقيقة ولابد من الانتظار !

مسحت (**نجلاء**) على الوجه الذي افتر ثغره لرؤية ملامحها بعد أن حسرت قناعها .. قال بصوت مجهد :

« **أختي نجلاء » أنت هنا ؟؟ هل تم نسف الموقع ؟!**

تمتمت متماسكة نفسها : **أعتقد ذلك يا أحمد** .

التمعت عيناه فرحة . وطفر دمعه مؤتلقاً وأرسل تنهيدة زادت من تورد وجهه النضر ..

— **أحمد .. مالك ؟ أتبكي ياحبيبي ؟!**

رنا إليها من خلال الدموع وغالب ضعفه لتسمع صوته :

— « **أبكي فرحاً لما وفقني إليه ربي .. وكم بودي لو أستطيع العودة إلى مواطن الجهاد المقدس .. لكن**

هيهات .. إني أشعر بعمق جروحي التي تقربني من الشهادة الغالية .. » .

وضعت يدها على قلبها وقالت بصوت غلبه التأثر :

لن يتوقف الجهاد باستشهادك **يا أحمد** ما دامت العقيدة تنبض في قلوبنا .

وشّى وجهه بآيات الرضا وإن كان صدره يعلو ويهبط بضعف .. أشارت إلى (**نجوى**) التي خفّت إليها .. وبدأت عملية التدليك ..

أرهفت أذنيها لهمهمة ما لبثت أن استطالت حاملة نبرات صوته المائلة إلى التغير :

« **سلامي لإخوان الجهاد في سبيل الله .. إنا منتظروهم هناك .. على عتبة الفردوس .. هنِّئي أمي باستشهاد ولدها الثاني .. وتجلدي أختاه فأنت ..** » .

وغاب صوته مع آخر خفقة قلب صعدت مع دفقة النجيع المتفجر ربيعاً أحمر في ريحانة سماوية .

رفعت (**نجوى**) إليها وجهاً فيه العزاء وفيه التهنئة .. وامتدت يد (**نجلاء**) مسبلة عينيه الصافيتين .. قبلت جبينه الوضيء .. وهي تمسح دمعتين تحدرتا على وجهها .. وتمتمت : يرحمك الله يا أخي الحبيب .. هنيئاً لك جنة الفردوس .. في موكب الشهداء الأبرار ..

وأحست راحة تغلف أعصابها ولم تدر لماذا ألح عليها لحظتها خيال سميتها (**أم سليم**) كما لم تهتد إلى منبع العبق الشذيّ الذي غمر الغرفة لساعات طوال !

(**أم عمّارة .. سأذهب ليوقظوا رئيس المستشفى ليقرر الوفاة .. تابعي عملك إن شئت**) ..

وقبل أن تغادر الغرفة ألقت نظرة الوداع على الجثمان الممدد وتمتمت : أستودعك الله يا أحمد ولتنعم بالشهادة يا أخي فهذا طريقنا ما حيينا ..

وشقت طريقها هادئة وسط الزحام خارجاً ..

ألا يا ابنة الإسلام

دَعي المَسْلَكَ المَذْمومَ يا رَبَّةَ الطُّهْرِ ... دَعي كُلَّ ما يُؤذي العَفافَ .. وما يُزْري
دَعيهِ .. فتَنْزيهُ النُّفوسِ عَنِ الخَنا ... يَقيها عِثارَ الدَّرْبِ في مَيْعَةِ العُمْرِ
وَيَصْلُحُ غَضُّ الزَّهْرِ ما دامَ فَرْعُهُ ... بَعيداً عَنِ الأنْواءِ في رَوْضِهِ النَّضْرِ
رَأَوا في سُفورِ الغانياتِ مَلاعِباً ... لِأَهْوائِهِمْ .. في رَحْبِها خَيْلُهُمْ تَجري
وما أَطْلَقوا فيها الأَعِنَّةَ لِلْوَغىٰ ... ولكن لِفُحْشٍ بالرَّذيلَةِ قَدْ يُغْري
شياطينهُم توحي إليهِمْ بِزُخْرُفٍ ... مِنَ القَوْلِ .. في نَثْرٍ يُصاغُ وفي شِعْرِ
وَإنْ ذَكَروا حَوّاءَ .. كانَ حَديثُهُمْ ... عَنِ الشَّهْوَةِ الحَمْراءِ .. والنَّحْرِ والصَّدْرِ
وَقُبْلَةِ عِشْقٍ في الخَفاءِ رَخيصَةٍ ... تُذاعُ علىٰ الأسْماعِ في السِّرِّ والجَهْرِ
وَوَصْفٍ بَذيءٍ لِلْجَمالِ .. بِلَفْظِهِ ... يُجَرِّدُ تِمثالَ الجَمالِ .. بلا سِتْرِ
كَأَنَّ نِساءَ العالَمينَ تَجَسَّدَتْ ... لَدَيْهِمْ رُموزاً لِلْغِوايَةِ والشَّرِّ
وَقَدْ نَصَبوا مِنْها حَبائِلَ فِتْنَةٍ ... وقالوا : هُوَ الفَنُّ الرَّفيعُ .. بلا نُكْرِ
إذا هَدَروا الأَعْراضَ فَالأَمْرُ هَيِّنٌ ... وَقَدْ جَهِلوا ما قيمةُ النَّهْيِ والأَمْرِ
وَما عَرَفوا حَوّاءَ أُمّاً كَريمَةً ... وَبِنْتاً لَها حَقُّ الرِّعايَةِ والبِرِّ
وَما عَرَفوا حَوّاءَ أُخْتاً شَقيقَةً ... لِذي رَحْمٍ عالي المكارم والذِّكْرِ
وَما عَرَفوا حَوّاءَ ذاتَ رِسالَةٍ ... وَذاتَ مَكانٍ في العُلا لَيْسَ بِالنَّزْرِ
عَشيرَةَ عُمْرٍ لا تُمَلُّ علىٰ المَدىٰ ... إذا ائْتَلَفَ القَلْبانِ في العُسْرِ واليُسْرِ
وَمُصْلِحَةً تَبْني الحَياةَ .. فَتَرْتَقي ... وَتُلْهِمُ أَشْبالَ الحِمىٰ ذُرْوَةَ النَّصْرِ
تَهُزُّ سَريرَ الطِّفْلِ حينَ تَهُزُّهُ ... وَتَنْفُخُ في أَعْطافِهِ شيمَةَ الحُرِّ
تُجَنِّحُ فيهِ العَزْمَ .. حَتّىٰ كَأَنَّهُ ... يَطيرُ إلىٰ العَلْياءِ أَقْوىٰ مِنَ النَّسْرِ
فَيَصْنَعُ لِلأَوْطانِ إكليلَ عِزَّةٍ ... يَشِعُّ علىٰ الأَيّامِ بِالمَجْدِ والفَخْرِ
أَلا يا ابْنَةَ الإسْلامِ .. يا رَوْعَةَ المُنىٰ ... أُسَطِّرُها بِالنُّورِ في مَبْسِمِ الفَجْرِ
أَلا يا ابْنَةَ الإسْلامِ .. لَسْتِ مَهينَةً ... مُقامُكِ لو تَدْرينَ في الأَنْجُمِ الزُّهْرِ
وَلَسْتِ كما شاؤوا لِتَرْويجِ سِلْعَةٍ ... وَتَرْفيهِ عِرْبيدٍ .. وَمُتْعَةِ مُغْتَرِّ
حَضارَتُهُمْ تَبْني المَصانِعَ .. بَيْنَما ... تُدَمِّرُ في الإنْسانِ أُنْموذَجَ الخَيْرِ
أَلا يا ابْنَةَ الإسْلامِ .. يا رِقَّةَ النَّدىٰ ... وَيا هَبَّةَ الأَنْسامِ بِالرَّوْحِ والعِطْرِ
أَطِلّي علىٰ الدُّنيا الجَديدَةِ .. بِالَّذي ... وَرِثْتِ مِنَ الأَخْلاقِ والدّينِ والفِكْرِ
وَكُوني مِثالاً لِلْفَضيلَةِ يُحْتَذىٰ ... وَشَمْساً تُضيءُ الكَوْنَ بِالقِيَمِ الغُرِّ

شعر : أحمد محمد الصديق

٢

في بريطانيا:
مؤسّسَات متقدّمة

استطلاع

■■ كنّا قد عرضنا في العدد السابق لبعض المؤسسات الإسلامية التي تسعى إلى تأصيل الوجود الإسلامي في بريطانيا، ونعرض في هذا العدد لنوع آخر من هذه المؤسسات، يأتي دورها مكملاً، حيث أخذت « جمعية أهل الحديث المركزية » على عاتقها توثيق النصوص الإسلامية ليأتي البناء العلمي الإسلامي متيناً متماسكاً، وأما مجلة « إمباكت » فقد أخذت على عاتقها أيضاً التعريف بالإسلام على حقيقته، والرد على شبهات ومفتريات أعدائه في مجتمع الاغتراب ... ■■

إمباكت (IMPACT)

مجلة إخبارية مستقلة تصدر مرتين في الشهر تعبيراً عن وجهة نظر إسلامية حول الأحداث الجارية .. وإن كانت « إمباكت » - وذلك اسمها - صغيرة الحجم ؛ إذ لا يزيد عدد صفحاتها عن ست عشرة صفحة، فإن مضمونها، وما تهدف إليه، والجهد الذي يبذل من أجلها يجعلها في سلسلة المؤسسات المتقدمة لتأصيل الوجود الإسلامي في بريطانيا ..

تعود فكرة إصدارها إلى عام ١٩٦٣م حين قدِم رئيس تحريرها، والمسؤول عن جميع المواد وترتيبها، وقراءاتها بمنظار إسلامي، والإشراف على عمليات إخراجها وجميع ما يلزمها، الأستاذ **محمد حاشر الفاروقي** من بلاده في الباكستان إلى بريطانيا للتخصص في « **علم الحشرات** » فالرجل ليس صحافياً أصلاً، ولم يدرس الصحافة، كما لم يسبق له العمل في مجالها .. غير انه وجد نفسه مضطراً لذلك فهو يقول :

[... عندما حضرت إلى بريطانيا، وجدت أن هناك مفاهيم كثيرة مغلوطة عن الإسلام والمسلمين تنتشر في الصحافة الغربية، ويتداولها الغربيون. وكانت صدمتي كبيرة حين لم أجد مطبوعة إسلامية واحدة ترد على هذا الغلط وتصححه ... فعقدت العزم وجمعت بعض الإخوة المبتعثين وطرحت عليهم فكرة إصدار مجلة لتصحيح ما يمكن تصحيحه من تلك المفاهيم الخاطئة، مستفيدين في ذلك كله من التسهيلات الممكنة التي تتيحها الحرية النسبية في بلاد الغرب .. ولم نكن ندري يوما كيف يمكن القيام بمثل هذا العمل، او كيف نبدأ الإعداد له .. وكان عليّ، كصاحب الفكرة، ان أشرع في تنفيذها بنفسي وذلك ليس لأني قد هُيئت لمثل هذا العمل من قبل، ولكن لأن أحداً من إخوتي لم يجرؤ على الإقدام نحوه قبلي .. فتقدمت ووجدت نفسي مستغرقاً فيه] ..

■ مبنى المكتبة الحكومية اصبح مركزاً إسلامياً. ■

أمّـة الدعـوة

ويضيف الأستاذ **الفاروقي** :

[... نحن دائماً نردد ان الغرب لا يفهم الإسلام، هذا صحيح .. وبالمقابل هل نفهم نحن المسلمون الغربَ ؟ وهل حاولنا ذلك ؟ .. الاّ يفهم الغرب الإسلام او الاّ يريد ان يفهمه فذلك خطؤه وتلك مسؤوليته، امّا الاّ نحاول أن نفهم الغرب فتلك هي مسؤوليتنا وأساس مشكلتنا .. نحن نعرف الغرب بشكل عام وسطحي جداً، ليس لدينا معلومات كافية عن الغربيين، عن السمات الحسنة فيهم، وعن المداخل التي يمكن ان ننشىء من خلالها علاقات طيبة معهم .. إنهم ابناء « آدم » ايضاً .. فإذا كنّا ننظر إليهم كأمة الدعوة التي

لتأصيل الوجود الإسلامي

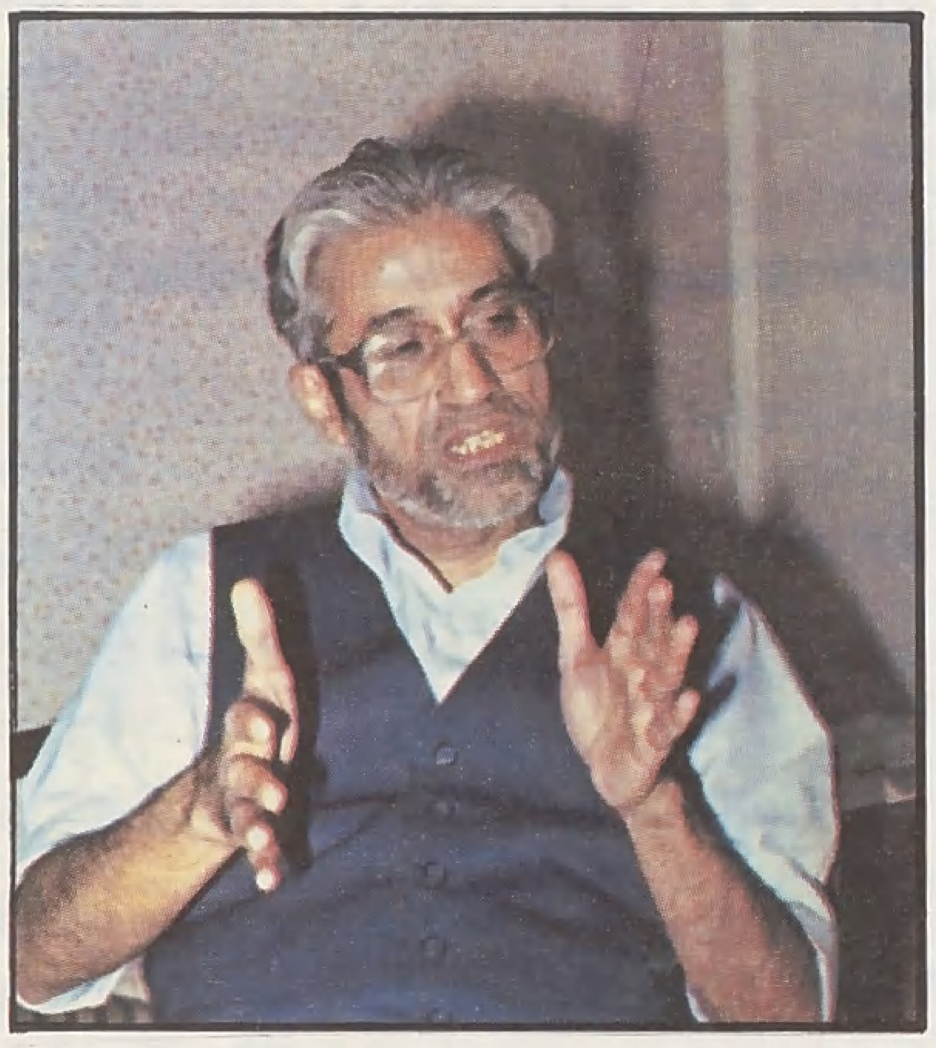

■ محمد حاشر الفاروقي :
الغرب لا يفهم الإسلام ، فهل نفهم نحن الغرب ؟! ■

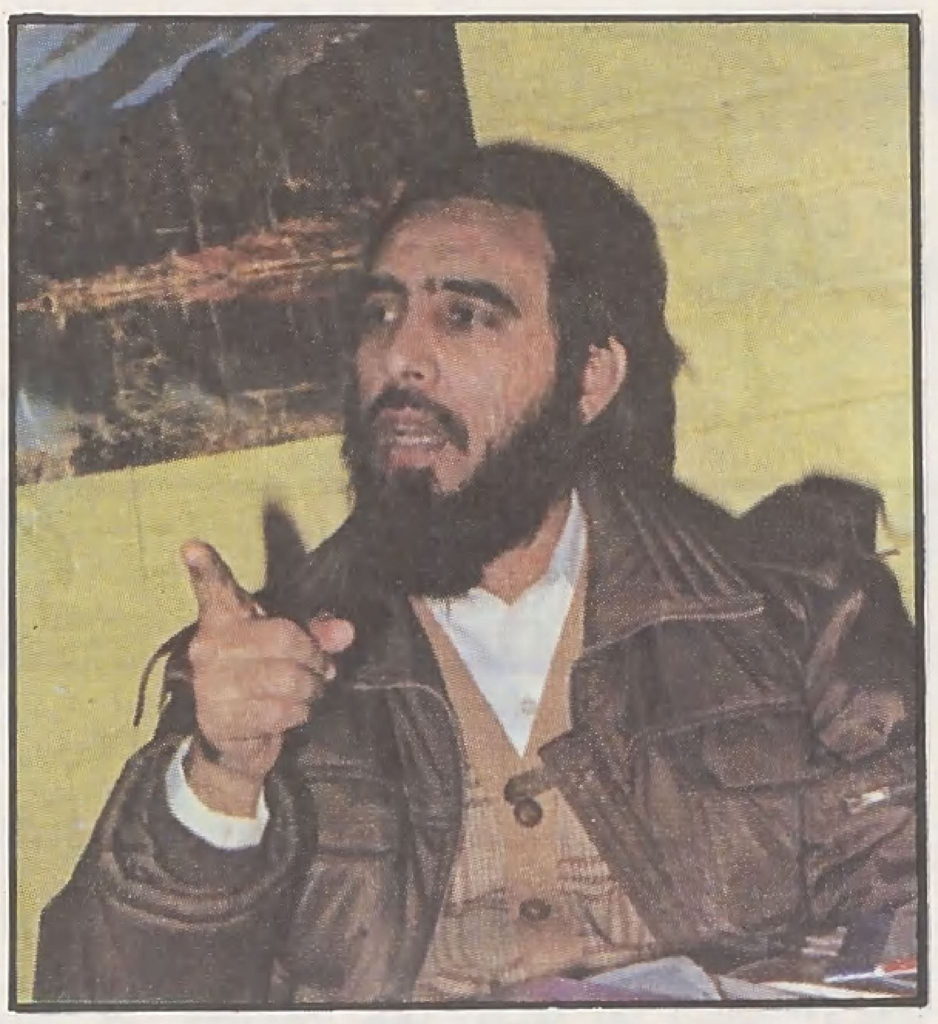

■ محمود أحمـــد :
التناقض بين جيلي الآباء والأبناء أخطر ما يواجه الجالية المسلمة . ■

يمكن أن تصبح يوماً ما أمة إجابة ، أو مسلمي المستقبل ، وجب علينا أن نعمل على فهمهم ..

إن مسؤولية تبليغ رسالة الإسلام تتطلب منّا ان نفهم جيداً المجتمع الذي نعمل فيه .. إضافة إلى انه لا يمكن أن نُفْهَمَ ما لم نقم نحن بفهم الطرف الآخر اولاً] ..

بين إعلامـــين

تعتمد « إمباكت » بشكل أساسي في تحرير موادها على « ارشيف » متواضع للمعلومات إضافة إلى حصيلة الزيارات التي يقوم بها رئيس التحرير إلى بعض البلاد ولقاءاته مع القادمين إلى بريطانيا من البلاد الإسلامية المختلفة .. ولعلَّ من المشكلات الجوهرية التي تواجه « إمباكت » : الحصول على المعلومات .. وهنا يبدي الأستاذ الفاروقي ملاحظة هامة حول الفرق بين الإعلام الغربي والإعلام الإسلامي فيقول :

[... الإعلام الغربي يبذل اقل من الجهد الذي نبذله في الحصول على المعلومات ومع ذلك تجده اكثر نجاحاً .. ربما يعود ذلك إلى مقدرة المؤسسات الإعلامية الغربية على الاستفادة من كل شخص يمكن أن تتوفر لديه معلومة ، أياً كانت تلك المعلومة وأياً كان ذلك الشخص ؛ رجل اعمال ، دبلوماسياً ، سائحاً ... إلخ .. يضاف إلى ذلك شبكة عريضة من المراسلين تنتشر في كثير من بلاد العالم .. نحن لا نستطيع ان ننافس الإعلام الغربي في مثل هذه الحالة .. ولا يمكن للعمل الإعلامي ان يكون ناجحاً ما لم تتوفر لديه معلومات كافية] ..

مشكلات الصحافة الإسلامية

وهنا تبرز المشكلات الحقيقية التي تواجهها الصحافة الإسلامية بشكل عام و « **إمباكت** » بشكل خاص .. ويرىٰ الأستاذ الفاروقي أنَّ هناك مشكلتين رئيستين تواجهان هذه الصحافة :

الأولى : **قلة الإمكانات المادية** .

الثانية : **صعوبة الحصول على المعلومات** .

قلة الإمكانات المادية

تعتبر الإعلانات أهم مصدر تمويل لمعظم الصحف والمجلات .. ودونها لا تقوىٰ هذه الصحف على الاستمرار والصمود أمام النفقات الباهظة للعملية الصحفية .. ولكن ـ والقول للأستاذ الفاروقي ـ [إذا قدر لباحث أن يجري دراسة علمية لتوصل إلى ان اكثر من ٥٠٪ من الميزانيات التي تخصصها بعض البلاد الإسلامية للإعلان تتجه بصورة مباشرة إلى الصحافة الغربية المعادية والمضادة ، وذلك على امل أن تكف هذه الصحافة عن حملاتها العدائية او تخفض صوتها على الأقل .. غير أن التجربة أثبتت عكس ذلك ، فقد تسكت هذه الصحافة لأيام او شهور ، ما بقي مفعول الدعم الإعلاني ، وما أن يقل او يتلاشى هذا الدعم حتى تعود مرة أخرىٰ إلى مواقفها العدائية ..

وبالمقابل ، فإنَّ ذلك الدعم قد يكون حراماً على الصحافة الإسلامية .. وبما أن الصحف والمجلات الإسلامية لا تحصل على الدعم المادي ، عن طريق حصولها على إعلانات من الدول الإسلامية ، فإنها تصبح عاجزة عن توفير رأس المال الكافي لدفع العملية الإعلامية .

من جهة اخرىٰ ، فإن الصحف والمجلات على امتداد العالم الإسلامي تعتمد اساساً على المعلومات التي تبثها وكالات الأنباء الغربية ، وهذا يعني اننا ندعم السياسة العدائية للإعلام المضاد من خلال ما نقدمه لهذه الوكالات من دعم مادي نظير خدماتها الصحفية .. وهذا يعني ضرورة الإسراع ببناء وكالة انباء إسلامية عالمية تغطي باخبارها ومعلوماتها التي تخدم الفكرة والدعوة الإسلامية جميع وسائل الإعلام لدىٰ المسلمين وغيرهم ..] .

صعوبة الحصـــول على المعلومـــات

يقـول الفـــاروقي :

[إن المجتمع المسلم لا يتمتع بالقدر الكافي من الحرية التي تسمح بانسياب المعلومات وتداولها بين فئاته المختلفة .. فمصادر المعلومات حذرة كتومة تعتقد أن ما لديها من معلومات إنما هي أسرار لا يجوز الاطلاع عليها .. وإذا قدر لصحافي مسلم ان يذهب لإجراء مقابلة مع مسؤول في بلد إسلامي فإنه سيحتاج إلى كثير من الوقت والجهد والصبر ليحصل على ما يريد ، وقد لا يحصل على شيء .. **في حين إذا كان ذلك الصحفي اوروبياً فإنك تجد ان الأبواب التي اوصدت امام الأول ، قد أشرعت امام الآخر وفتحت على مصاريعها !!**

إضافة إلى ذلك فإنَّ أي مسؤول تكون لديه معلومة هامة نجده يحرص على أن يدلي بها لصحفي غربي ، ولذلك فإنَّ المسلمين يقرؤون كثيراً عن أخبار بلادهم

خاصة والعالم الإسلامي عامة من الصحافة الغربية .. وهذا يؤدي بطريق غير مباشر إلى أن يتجه القراء نحو الصحافة الغربية أكثر من حرصهم على الصحافة الإسلامية وهو شكل من أشكال الدعم المادي لصحافة الغرب ..

ولم يغن هذا التمييز من جانب المسؤولين في البلاد الإسلامية في التعامل مع الصحفيين الغربيين والمسلمين شيئاً .. إذ لم يتوقف التشويه المتعمد للصورة العربية الإسلامية في الصحافة الغربية] .

ويضيف :

[... وما يقال عن الحكومات يقال أيضاً عن المنظمات والهيئات الإسلامية غير الحكومية .. فهي أيضاً تعتقد أن معلوماتها سرية ... لذا فإن الكثير من المعلومات التي نحصل عليها من هذه المنظمات يكون من النوع المتداول أو الذي سبق معرفته] ..

مصادر كاذبة

وإلى جانب هاتين المشكلتين هناك مشكلات فرعية أخرى من ابرزها :

[أن المصادر التي تحصل منها على معلوماتك كثيراً ما تكون غير صادقة .. وهناك يتوجب عليك أن تبذل جهداً كبيراً في التنقيب عن الحقيقة وسط سيل من المعلومات المغلوطة والكاذبة] ..

ومشكلة أخرى تتمثل في : [أن الصحفيين المسلمين عاجزون عن توظيف القدر المتاح من الحرية في بلادهم بصورة أفضل .. هناك قدر من الحرية وإن كان قليلاً .. إن أُحسن استخدامه نمت الصحافة المسلمة وإلَّا تلاشت واختفت .. وفي اعتقادي أن الصحفيين المسلمين إذا اجتهدوا فإن الحرية ستنمو وسيزول سوء الفهم القائم بين الصحافة والسلطات] .

كما أن الصحافة الإسلامية والإعلام الإسلامي عامة يعاني من عدم توفر المعاهد المتطورة والمؤسسات الإعلامية التي تقوم بتأهيل الإعلاميين وإعدادهم الإعداد الذي يتناسب ومقتضيات العصر والعالم من حولهم ، صحيح أن هناك أقساماً للإعلام في بعض الجامعات الإسلامية ، غير انها لا تكفي ولا تزال في بداية الطريق ... من هنا نجد في عالم المسلمين اناساً يهتمون بالصحافة والإعلام عموماً ، وليس هذا هو المطلوب ، إنما المطلوب : **نوع من الاحتراف الإعلامي القائم على اسس علمية صحيحة** .

سياسات مخطئة

ويلاحظ **الفاروقي** [أنَّ السياسات الحكومية المخطئة التي تنتقدها الصحافة ، لم تضعها تلك الحكومات لأنها تريد الخطأ ، إنما وقعت في ذلك لأنها بَنَت على معلومات خطأ زودتها بها وسائل الإعلام المختلفة .. وليس من شك في أن المعلومات التي يُمد بها المسؤولون إن كانت صحيحة سليمة فإن السياسات التي تنبني عليها تبعاً لذلك ستكون صحيحة سليمة كذلك ...] .

الفتاة المسلمة في التلفاز البريطاني

●● واخيراً ، يشير الأستاذ محمد حاشر الفاروقي إلى مقال نشر على صفحات « إمباكت » بتاريخ ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٥هـ (٧ شباط [فبراير] ١٩٨٥م) يناقش مدى الفائدة التي يجنيها أبناء المسلمين في بريطانيا من نظام التعليم الإسلامي المتبع حالياً ، وذلك على ضوء مقابلات اجراها التلفاز البريطاني مع مجموعة من الفتيات المسلمات ..

فقد عرض التليفزيون البريطاني في منتصف شهر يناير الماضي برنامجاً ـ « المجلة الآسيوية » ـ تضمن لقاء مع (١٥) فتاة مسلمة من أحد المراكز الإسلامية في « **مانشستر** » ، ولم يتضح للمشاهدين ما إذا كانت مجموعة الفتيات تمثل حقيقة المجتمع الإسلامي في « **مانشستر** » . ولكن هناك العديد من النقاط التي اثارتها إجاباتهن ، فبعضها كان جيداً ، والأخرى جاءت مشوشة ، ولكن الاهم أنهن جميعاً اردن إثبات هويتهن كمسلمات ، وانه لكي تكون مسلماً يجب عليك أن تتقبل نظاماً معيناً في الحياة يحظر فيه لبس بنطلونات « الجينز » ، ورقص « الديسكو » ، والتواعد مع الشباب ، والخروج في الليل ... إلخ . والمحزن حقاً أن هؤلاء الفتيات كانت تنقصهن الدراية المبدئية ، والفهم الصحيح لكثير من الأمور من وجهة النظر الإسلامية ، فلم تستطع إحداهن أن تشرح المعنى الحقيقي للالتزام بالقيم والثقافة الإسلامية ، وفشلن جميعاً في تقييم البعد الأخلاقي لنظام الحياة التي تعيشها البنت المسلمة ، وقد أسهمت الأسئلة الموضوعة بخبث شديد في إظهارهن كفتيات مظلومات ينقصهن الكثير من المعرفة بالعالم من حولهن .

ويثير ذلك سؤالاً حول نظام التعليم الإسلامي في شكله الحالي ، وهل يخدم الغرض من توعية أبنائنا وتعريفهم بطريقة الحياة الإسلامية ، ومبادئنا الأخلاقية ، وتقاليدنا الإسلامية ككل ؟ إذ أن كل الذين شاهدو البرنامج أسفوا أشد الأسف للطريقة السلبية التي كانت ترد بها الطالبات .. في هذا المجتمع المفتوح لم يعد يكفي أن نسوق الأولاد إلى المسجد في نهاية كل أسبوع لقراءة بعض آيات القرآن ، ثم يُنْسى كل شيء خلال بقية الأيام . بل يجب على الآباء والأمهات أن يسهموا بجدية في إزالة الحواجز التي تباعد بينهم وبين القيم التي يتحدثون طويلاً عن ضرورة تعليمها لأولادهم ، والتقاليد التي يريدون أن يتخذوها مثالاً يحتذى في حياتهم الخاصة والعامة .

هؤلاء الفتيات اللاتي شاهدهن الجمهور يتخبطن في الإجابة على أسئلة جوهرية ، كن جميعاً في سن النضوج ، ولا شك أنهن سيصبحن بعد وقت وجيز أمهات مسؤولات ، فإن ظللن غير **عارفات بالتحديات الحقيقية التي تواجه المسلم** في حياته اليومية ، وبقين عاجزات عن تمييز الأشياء بمعانيها الخيرة والشريرة من وجهة النظر الإسلامية ، فكيف نتوقع منهن ان يأخذن بيد الأجيال الجديدة في الطريق المستقيم ؟

جمعية أهل الحديث المركزية

تعتبر « **جمعية أهل الحديث المركزية** » في

■ علينا أن ننظر إلى غير المسلمين أنهم أمة دعوة يمكن أن تصبح أمة إجابة ، وهذا يتطلب منّا أن نفهم المجتمع الذي نعيش فيه فهماً حقيقياً يساعد على تحقيق ما نصبوا إليه . ■

مؤسسات متقدمة لتأصيل الوجود الإسلامي

■ مصادر المعلومات في معظم أنحاء العالم الإسلامي حذرة كتومة أمام الصحفي المسلم ، أما إذا كان الصحفي أوروبياً فعند ذلك تجد الأبواب الموصدة أمام الأول قد أشرعت أمام الآخر وفتحت على مصاريعها .

المملكة المتحدة من المؤسسات المتميزة في مجال تأصيل الوجود الإسلامي .. فهي وإن كانت تخدم الهدف ذاته الذي تخدمه مؤسسات إسلامية أخرىٰ ، إلَّا أنها تركز بشكل رئيس على عقيدة المسلم .. إذ جعلت من أساسيات أهدافها : تنقية عقيدة المسلمين من البدع والخرافات التي علقت بها في فترات الوهن والضياع .. وبالطبع لم تكن الطريقة ميسورة ممهدة ، بل مليئة بالأشواك ، بحكم طبيعة العلاقات التي تربط بين الأفراد بعضهم ببعض ، وبينهم وبين المجتمع الذي يعيشون فيه ، ونوعية المفاهيم التي تسيِّر نظم الحياة في المجتمع البريطاني ..

إعـــداد الناشــئة

أمام هذا رات الجمعية أن من أفضل السبل لتحقيق ما تصبو إليه : الاهتمام بالنشء الصغير منذ نعومة أظفاره ، مع بقاء محاولات التركيز على الكبار ، وبدأت مسرعة تحاول العمل على تنفيذ ما كانت قد وضعته نصب عينيها منذ تأسيسها في حزيران [يونيو] ١٩٧٥م كمؤسسة خيرية : ضرورة « تعليم أبناء الجالية المسلمة وإعداد النشء وتربيتهم على منهج الإسلام وقيمه الأصيلة وإصلاح ما فسد من مفاهيم عن العقائد والتصورات والسلوك » .

ولتحقيق ذلك كان على الجمعية أن تعتمد في بداية الأمر على ما هو ميسور لها من إمكانات .. فأسست « المدرسة الإسلامية السلفية » مدرسة مؤقتة ترتبط بالمسجد ، وتقدم خدمتها لأبناء المسلمين في الفترة المسائية ، ولمدة ساعتين يومياً ..

●● وحول المدرسة والجمعية ونشاطاتها ومشاريعها المستقبلية والمشكلات التي تواجه المسلمين في بريطانيا وما طرحته الجمعية من حلول عملية كان هذا اللقاء مع الأستاذ محمود احمد ميرفوري الأمين العام للجمعية .. الذي قال عن مشروع « المدرسة الإسلامية » :

[لم يكن من اليسير في بداية الأمر أن تحظى فكرة المدرسة بالقبول لدى الآباء .. بل إن كثيراً منهم لم يكن لديه أيّ استعداد أو رغبة في إلحاق أبنائه بهذه المدرسة ، وذلك راجع إلى أسباب كثيرة ، لعلَّ من أهمها : ذلك المفهوم الذي يسود بعض الأوساط في الباكستان والهند ، ويذهب إلى أن الولد إذا عرف كيف يتلو القرآن الكريم ـ وهي معرفة ينقصها الفهم ـ فذلك كافٍ لحفظ هويته الإسلامية .. وقد انتقل هذا المفهوم مع الوافدين إلى بريطانيا .

إلَّا أنَّ هذه النظرة اختلفت حين وُفِّقنا لإعداد ووضع وبدء تنفيذ منهج وافٍ انعكست آثاره على هؤلاء الأبناء ... ولما وجد الآباء أن بعض أبنائهم أصبحوا يعرفون ـ إلى جانب القرآن الكريم ـ شيئاً عن التوحيد والفقه والحديث والسِّيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والآداب الإسلامية والأخلاق والمعلومات العامة والعلوم الاجتماعية والجغرافيا ، إضافة إلى اللغة الأوردية والعربية ، ازداد الإقبال وارتفعت أعداد المنتظمين من الأبناء حتى وصل عددهم الآن إلى أكثر من اربعمائة طالب وطالبة يتولى أمر تدريسهم خمسة عشر معلماً ومعلمة بينهم اربعة من خريجي الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ..

وإلى جانب المنهج التعليمي ، ننظم للطلاب برامج رياضية ورحلات لزيارة المعالم التاريخية في بريطانيا ، والأماكن الإسلامية خارجها ، مثل : الأراضي المقدسة في السعودية .. كما يتم تدريبهم على الخطابة باللغات : العربية ، والأوردية ، والإنجليزية] ..

عقبـــــات ..

■■ هل سارت الأمور بعد ذلك كما تشتهون ، ام ان هناك عقبات بقيت تعترض سبيلكم ، لتقلل من فائدة المدرسة الإسلامية لأبناء المسلمين ، وماذا فعلتم للتغلب على مثل هذه العقبات ؟

ـــ إنَّ أبناء المسلمين لمَّا كانوا ملزمين قانوناً الالتحاق بالمدارس الحكومية وقضاء ثماني ساعات فيها يومياً ، فإنهم حين يأتون مساء إلى المراكز الإسلامية لتحصيل لون آخر من الدراسة لساعتين اخريين ، يكونون قد أرهقوا عقلياً وجسدياً .. الأمر الذي أضعف همة بعضهم عن تلقي العلوم الشرعية ..

يضاف إلى ذلك أن بعض المواظبين على دروس المدرسة الإسلامية السلفية ، حين يبلغ السادسة عشرة من عمره يترك المدرسة الحكومية لأجل أن يعمل .. وعندها يتوقف عن حضور دروس المدرسة الإسلامية ، وشهود الصلاة بالمسجد ... وكثير ممن ترك المسجد والمدرسة جرفه التيار بعيداً عن دائرة السلوك الإسلامي ..

■■ وحول محاولات التغلب على هذه العقبات ، قال الاخ محمود :

[... شعرنا أن المدرسة المؤقتة لا تكفي للمحافظة على أبنائها ، ولا بد من وجود مدرسة حكومية ، أو خاصة لأبناء المسلمين يتلقون فيها تعليماً تنطلق جميع مناهجه من المبادىء الإسلامية ، وهذا ما نسعى لتحقيقه ، وإن كانت هناك صعاب تحول دون ذلك حالياً ، منها : عدم وجود تنسيق بين المراكز والجمعيات الإسلامية ، إضافة إلى أن هذه الجمعيات لا تستطيع بأوضاعها المالية الحالية أن تنشىء مدارس خاصة بمستوى المدارس البريطانية الأخرىٰ .. وباعتقادي أن تلك مسؤولية الحكومات الإسلامية ، وعليها أن تتصدىٰ ، إمَّا مباشرة أو بواسطة الجمعيات والمراكز الإسلامية ، لذلك] .

مشــكلات البنــات

وللبنات المسلمات مشكلات ايضاً ، وصفها الاخ محمود بانها [خطيرة .. وان خطورتها لا يدركها إلَّا من كان مقيماً في بريطانيا او كانت له صلة بالمجتمع الغربي ..

بعض البنات مثلاً ، فررن من البيوت حين ضقن بتوجهات الوالدين .. وبعضهن تزوج من غير المسلمين .. ويرجع ذلك بشكل اساسي إلى الاختلاف بين ثقافتين : ثقافة الوالدين ، وهي ثقافة ذات جذور إسلامية ، اياً كان عمق هذه الجذور ، وبين ثقافة الأبناء الذين وُلدوا وترعرعوا في معاقل الثقافة الغربية .. يضاف إلى ذلك ان نسبة عالية من الآباء امِّيون لا يجيدون اللغة الإنجليزية كما يجيدها ابناؤهم ، فتنعثر وسيلة التاثير شيئاً ما ..

بعض البنات ـ وكذلك الأولاد ـ يلجان او يُؤخذن إلى مراكز خاصة ، تُعرف باسم (Link Houses) حيث تتولى الحكومة مهمة الاتصال بين

الآباء والأبناء الفارين ، ولا تسلم البنت ـ أو الولد ـ إلى والديها إلَّا إذا وافقت هي .. وفي هذه المراكز التي لا يملك المسلمون من أمرها شيئاً ، تتم صياغة البنات ـ والأولاد ـ بالكيفية التي تريدها الحكومة ... وهذا ليس في صالح المسلمين قطعاً .

ومساهمة منَّا في توعية وتربية البنات تربية إسلامية ، خصصنا لهنَّ حلقات دراسية خاصة بهنَّ تحت إشراف إحدى الأخوات ..

وكحل أمثل ، تبنت « جمعية أهل الحديث » مشروع إنشاء « المدرسة الإسلامية للبنات » ببيرمنجهام ووضعت دستوراً لذلك من خمسة عشر بنداً ، وقسمت المشروع إلى ثلاث مراحل ليكون صالحاً للتنفيذ والتطبيق العملي ... وقد انجزت مرحلة الحصول على المبنى ولا تزال مرحلتان لم تكتملا بعد ، وذلك لحاجتهما إلى دعم مادي كبير ، وهما البناء والتعمير ؛ وإيجاد هيئة تعليمية وإدارية من مدرسين وموظفين مؤهلين .

مجلس الشريعة الإسلامية

■■ وحول معاناة المسلمين في بريطانيا في القضايا التي تتصل بالأحوال الشخصية ، من زواج وطلاق ونحو ذلك قال الأخ محمود :

ـ كثير من الإخوة الهنود والباكستانيين الوافدين يُصرُّون على أن يزوجوا أبناءهم وبناتهم بأقارب لهم من الهند وباكستان .. ولمَّا كان القادم حديثاً لا يستطيع أن يتأقلم سريعاً مع الحياة هنا ، أو أن يفهم الطريقة التي يفكر بها شريك حياته ، تنشأ المنازعات التي تفضي إلى الطلاق .. وتتعقد المشكلة أكثر حين نجد أن القانون البريطاني لا يراعي أحكام الزواج والطلاق التي جاءت بها الشريعة الإسلامية ... وكثير من المسلمات ذهبن إلى المحاكم البريطانية وحصلن على الطلاق ـ على الطريقة البريطانية ـ وقبل أن يطلقن شرعاً تزوجن بآخرين !

ولذلك دعونا لاجتماع حضره بعض العلماء ممن يمثلون المذاهب الفقهية المختلفة ، وكوَّنا ما سُمي بـ « مجلس الشريعة الإسلامية » لحل المشاكل المتصلة بالأحوال الشخصية ، وحتى تكون لمسلمي بريطانيا لجنة واحدة تتولى هذه الأمور وفقاً لشرع الله تعالى .

توحيد المسلمين

■■ لاحظنا وجود نوع من الخلافات التي وصلت إلى حد المنازعات ـ للأسف ـ بين بعض الجمعيات والمراكز الإسلامية القائمة في المملكة المتحدة ، فما هو سببها ؟ وماذا فعلتم للتغلب عليها ؟

يقول الأخ محمود :

ـ إنَّ أكثر المسلمين الذين هاجروا إلى بريطانيا حملوا معهم إلى جانب عاداتهم وتقاليدهم خلافاتهم التي كثيراً ما تتجاوز حدود خلاف الرأي لتؤثر على العلاقات بين هذه الفئة وتلك ، وقد تصل إلى حد الفجور في الخصومة والتشابك بالأيدي والضرب في ساحات المساجد ، وأحياناً كثيرة تضطر الشرطة إلى التدخل وفض النزاع ! وخطورة هذه الخلافات والصراعات أنها تنعكس على الناشئة ، فتشوش عليها وتجعلها في حيرة من أمرها .. لا تدري أين الصواب ومع من يكون الحق !

لهذا سعت الجمعية بالوسائل والإمكانات المتاحة كافة لتوحيد المسلمين وجمع صفوفهم .. وعقدت في إطار ذلك عدة ندوات ومؤتمرات كان من أبرزها : « مؤتمر توحيد الأمة الإسلامية » الذي عقد في « بيرمنجهام » قبل سنتين تقريباً ، واشترك فيه مفكرون من معظم المؤسسات والمنظمات الإسلامية العاملة في بريطانيا ... لكن الأمر يحتاج إلى كثير من الجهد والوقت .

عضوية المجالس المحلية

وبالرغم من أن الجالية المسلمة في بريطانيا تُقدر بمليوني نسمة إلَّا أنه لا يوجد من يمثلها في مجلس العموم البريطاني ، وفي السنوات الأخيرة استطاع بعض المسلمين أن يحصلوا ـ بالانتخاب ـ على عضوية بعض المجالس البلدية .. ولكنْ ـ يقول الأخ محمود ـ :

[كثير من هؤلاء ضعيف الصلة بالإسلام والمسلمين .. ورغم أنهم يجيدون التحدث بالعربية والإنجليزية ولهم اتصالات مباشرة مع المسؤولين البريطانيين إلَّا أنَّ اهتمامهم بمشكلات المسلمين والبحث عن حلول لها ، قليل .. وفي اعتقادي أنَّ مسؤولية ذلك تقع على عاتقنا نحن .. حيث حصر الدعاة أنفسهم في محيط المسجد ، وبإطار ما سُمي « بأمور الدين » بينما تركوا « أمور الدنيا » لغيرهم .. الأمر يحتاج إلى توعية ، من أجل إيصال أشخاص مسلمين عاملين إلى المجالس المحلية يكون همهم الأساسي خدمة المسلمين] ..

عدم أهلية

●● ومن مشاكل الدعاة يقول الأخ محمود :

[إنَّ بعضهم جاء إلى بريطانيا وهو لا يملك الأهلية والكفاية العلمية التي تمكنه من اداء رسالته على الوجه الأمثل ..

وهناك من يعجز عن الرد على تساؤلات الطلاب خاصة إذا كانت تتصل بالأمور الغيبية ، ويأمرهم بعدم تكرار السؤال وأن الأمر قد يؤدي بهم إلى الكفر ! دون ان يضع في اعتباره طبيعة النظام التعليمي البريطاني الذي يربي الفرد منذ الطفولة على ألَّا يقبل أمراً إلَّا بعد مناقشته .. وكثيراً ما سئلتُ وأنا أدرس القرآن الكريم والسنة لطلاب لا تتجاوز أعمارهم الثانية عشرة عن مسائل ما كنَّا نجرؤ ونحن كبار على أن نسأل مشايخنا وأساتذتنا عنها] .

■ تشجيع الناشئة على حفظ القرآن الكريم ومدارسته . ■

مؤسسات متقدمة لتأصيل الوجود الإسلامي

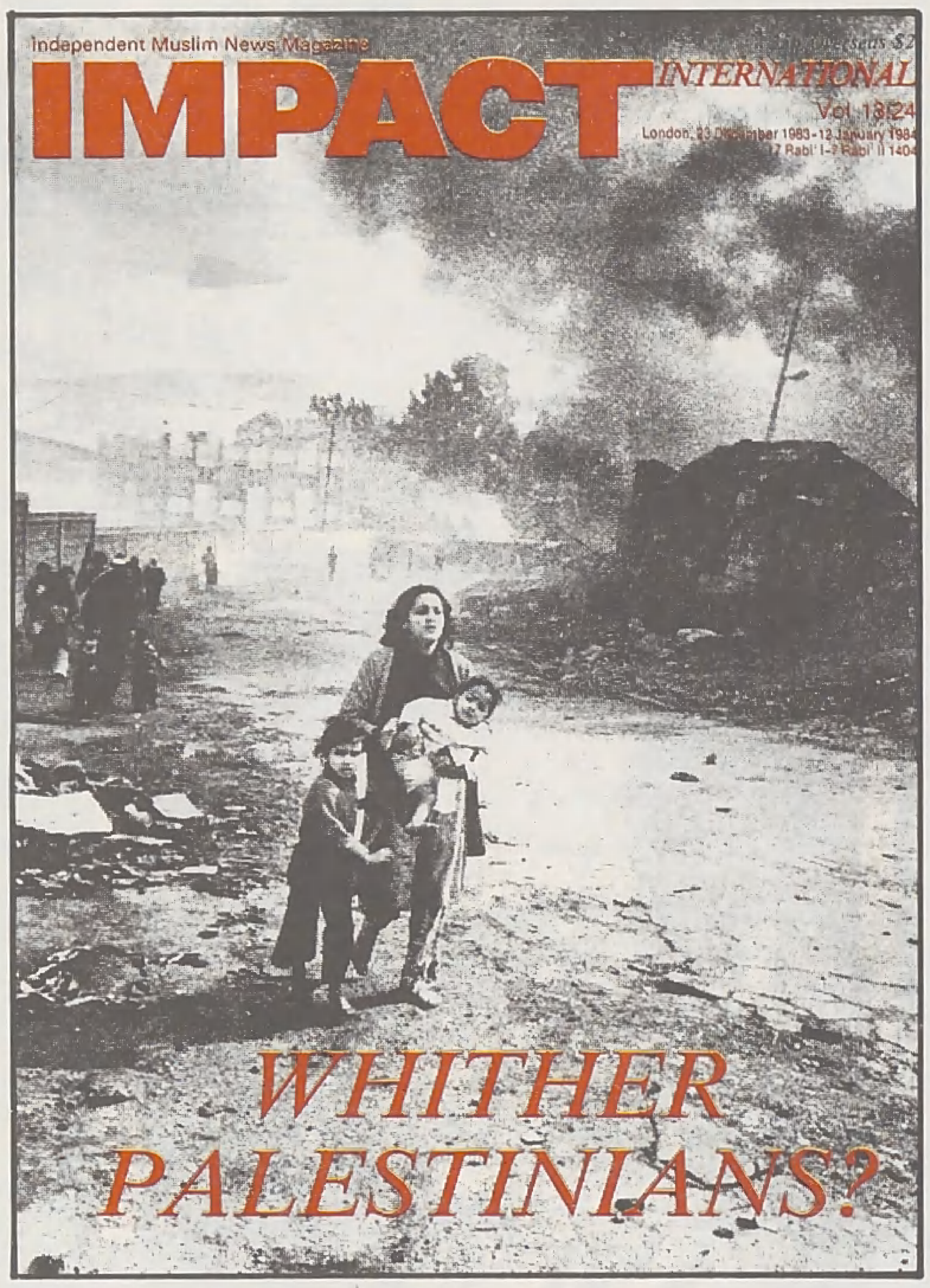

■ مجلة (إمباكت) .. ■

■ من مطبوعات جمعية أهل الحديث المركزية . ■

التربيــــة بالقدوة

●● ويقــول الأخ محمــود :

[إنَّ الناشئة تعيش في تحدٍ مستمر .. وهي بذلك في صراع دائم من أجل إثبات الوجود والرد على التحدي .. لكن المشكلة مشكلة الأب المسلم القدوة .. فكثير من الآباء لا يعرفون إلَّا أشياء تقليدية وسطحية جداً عن الإسلام .. ومن يعرف منهم لا يعمل بما يعرف .. قال لي أحد الطلبة (١٥ سنة) : إنكم تأمروننا بالصلاة والمواظبة عليها وهو ما يأمرني به أبي عندما أعود إلى البيت .. ولكن ما رأت عيني أبداً أبي وهو يصلي أو يتلو القرآن .. فهل الأمر موجه لنا نحن ؟ ولماذا لا تأمروا آباءنا بالصلاة وتلاوة القرآن كما تأمروننا ، إذا كان الأمر فيه خير ؟

إنَّ التناقض القائم الآن بين جيلي الآباء والأبناء لهو أخطر ما يواجه الجالية المسلمة في بريطانيا] ..

أنشطـــــة متنوعـــــة

■■ **بعد ان عرفنا شيئاً عن المشكلات ومساهمات الجمعية في إيجاد الحلول المناسبة لها ، الا يمكن ان تقدموا شيئاً عن المشكلات ومساهمات الجمعية في إيجاد الحلول المناسبة لها ، الا يمكن ان تقدموا شيئاً عن الأنشطة التي تقوم بها الجمعية في مجال الدعوة والإرشاد ؟**

يقــول الأخ محمــــود :

ــ من أنشطة الجمعية في الوقت الحاضر : إقامة الصلوات الخمس جماعة ، وصلاة الجمعة ، وتنظيم دروس في القرآن الكريم ... عقد مؤتمر سنوي واجتماعات تربوية منتظمة يشترك فيها علماء من جميع أنحاء بريطانيا وأوروبا وبلاد العالم الإسلامي .. زيارة السجون وتنظيم دروس إسلامية ، وإقامة صلاة الجمعة فيها ..

وفي مجال الطباعة والنشر أصدرت الجمعية مجلة « الصراط المستقيم » شهرية إسلامية جامعة باللغتين الأوردية والإنجليزية ... توزع داخل بريطانيا وخارجها ، وتُهدى إلى المساجد والمكتبات والمستشفيات والمراكز الإسلامية .. كما تصدر الجمعية في حدود إمكاناتها نشرات وكتيبات حول موضوعات إسلامية تهم المسلمين هنا] ..

مركــز الجاليـــات

●● **وفي نهاية لقائنا تحدث الأخ محمود عن مركز الجاليات ... فقال :**

ــ ما تقوم به الجمعية من نشاطات هو في الحقيقة قليل جداً بالمقارنة مع ما هو مطلوب .. إنَّ الحاجة تدعو إلى مضاعفة الجهود .. ولدى الجمعية مشروع جامع للإصلاح الاجتماعي في بريطانيا ، ولكنها تعاني قلة الوسائل وضيق المكان للمضي في تنفيذ برامجها .. لذلك اتخذت الجمعية قراراً ببناء مركز للجاليات الإسلامية . ووفقت الجمعية لشراء بناية ضخمة مساحتها (٣٢٢٥) ياردة مربعة ، تقع وسط احياء يكثر فيها المسلمون (جرين لين ، لِتل جرين لين ، شارع كونتري) .. وكانت في الأصل مبنى المكتبة الحكومية .. وقد بيعت لنا بسعر رمزي (٢٤ الف جنيه استرليني) بشرط ان نحافظ على معالمها المعمارية الأثرية .. ويتبع المبنى مسبحان ، حوَّلنا واحداً منهما إلى صالة متعددة الاغراض ، حيث تستعمل لإقامة حفلات الزواج الإسلامية ، والألعاب الرياضية التي يساعدنا المجلس المحلي ببعض تكاليفها .

وقد استطعنا إعادة تعمير مبنى المكتبة واستخدامه مؤقتاً ، كمكان للصلاة يتسع لألف شخص تقريباً ، ومكاتب للإدارات المختلفة ..

إننا نريد تعمير المبنى كله واستغلاله لتحقيق اهداف الجمعية وغاياتها ، لا سيما « المدرسة الإسلامية للبنات » وغيرها .. ولكن يحتاج الأمر إلى جهد مالي ضخم لا يتوفر لنا ولن يتوفر ما لم يتكاتف معنا إخواننا في البلاد الإسلامية .. ونسال الله التوفيق] ..

الرِّزق في المنظور الإسلامي

■■ الأمة الإسلامية اليوم تتخبط في متاهات لا حصر لها ، وتعاني من مشكلات مزمنة طال امدها ، وما ذلك كله إلّا نتيجة طبيعية لابتعادها عن منهج كتاب الله الكريم وسنة نبيه المصطفى الأمين ، فإلى جانب المشكلات السياسية والاجتماعية والثقافية تثار اليوم في بلاد المسلمين المشكلة الاقتصادية .

وتخلف المسلمين المريع في هذا المجال جعل بعضهم يفكر في حلول ضالة ما انزل الله بها من سلطان . كقولهم : يجب تقليل عدد السكان !! ولا اريد أن أتناول هذا الموضوع من الوجهة الفقهية الشرعية ، واتركه لذوي الاختصاص من علمائنا الأجلاء . وإنما اريد أن اتناول موضوع الحد من عدد سكان البلاد الإسلامية أو ما يسمى بالنمو الدِّيمُغرافي ، من وجهة نظر الاقتصاد الإسلامي ، ولا عبرة في ذلك بوجهة نظر الاقتصاد الوضعي سواء أكان ماركسياً ام راسمالياً .

إن السياق التاريخي لهذه القضية يقتضي منّا أن نعرج على نظرية « مالتوس » المهجورة - والتي يريد بعض الناس في عالمنا الإسلامي ، للأسف إحياءها وبعثها من جديد بشكل أو بآخر - وتلك النظرية الباطلة القائمة على الحسابات المادية المحضة ، والقاضية بعدم تناسب ازدياد السكان مع وفرة الغذاء والكساء ! لا يمكن أن تكون حلاً لمشكلات المسلمين الاقتصادية ، لأنها نظرية مادية بحتة ، تغفل دور الخالق عزّ وجل الذي يمسك الرزق ويبسطه كيفما يشاء . يقول الله تعالى في تقرير هذه الحقيقة الكونية الكبرى :

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأرضِ إلَّا عَلىَ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (هود : ٦) .

فالله هو خالق الرزق ، وهو الذي تكفَّل به لكل مخلوقاته على مختلف انواعها ، العاقلة وغير العاقلة ، الكبيرة والصغيرة ، فالكون كله يسير وفق سننه ولا شيء يخرج عن إرادته ، يقول صاحب الظلال في شرح هذه الآية : « إن لكل مخلوق رزقاً ، هذا حق ، وهذا الرزق مذخور في هذا الكون ، مقدر من الله في سننه التي ترتب النتاج على الجهد ، فلا يقعدن احد عن السعي ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، ولكن السماء والأرض تزخران بالأرزاق الكافية لجميع المخلوقات ، حين تطلبها هذه المخلوقات حسب سنة الله التي لا تحابي احداً ولا تتخلف او تحيد » (الظلال : ٤/١٨٥٧) .

ولذلك فليس صحيحاً ما تذهب إليه النظريات الاقتصادية المادية ، من ان ثروات الأرض محدودة ، لا تكفي لعدد كبير من البشر ، أو انها ستنفد في يوم ما ، فثروات الأرض وخيراتها باقية لا تنفد بمر الأعوام ، وكرّ الدهور ، والإنسان يكتشف كل حين مع تقدم وتطور وسائله العلمية ، خيرات جديدة ، وما عليه إلَّا الضرب في الأرض لاستخراج كنوزها ، واستغلال ثمارها ومعادنها .

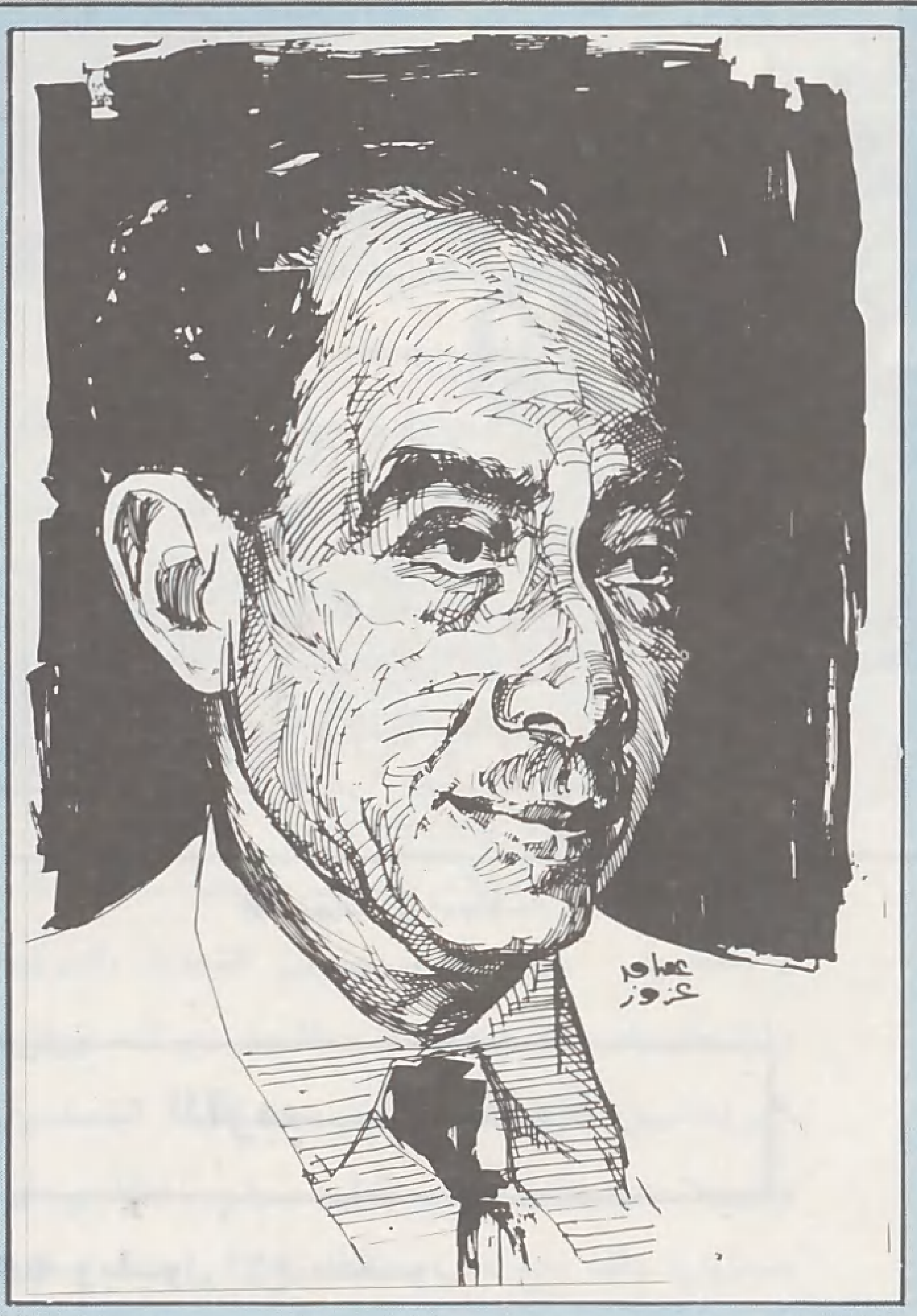

■ سيد قطب : الرزق مقدر من الله في سننه التي ترتب النتاج على الجهد ■

بل إن الاقتصاد الإسلامي ليضع شرطاً لوفرة الرزق ، لا يعرفه الاقتصاد الوضعي وذلك الشرط هو طاعة الله ، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرىَ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأرضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف : ٩٦) .

ويقول ايضاً :

﴿ وَأَن لَو اسْتَقَامُوا عَلىَ الطَّرِيقَةِ لَأسْقَيْنَاهُم مَاءً غَدَقاً . لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً ﴾ (الجن : ١٦ : ١٧) .

وفي شرح هذه الآية الكريمة ، وتقرير هذا الشرط ، يقول صاحب الظلال رحمه الله تعالى : « وهذا الارتباط بين الاستقامة على الطريقة ،

بقلم : فيصل تيلاني

■ من آثار المعاصي والذنوب : أنها تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء والثمار والمساكن . ■

[ابن قيم الجوزية]

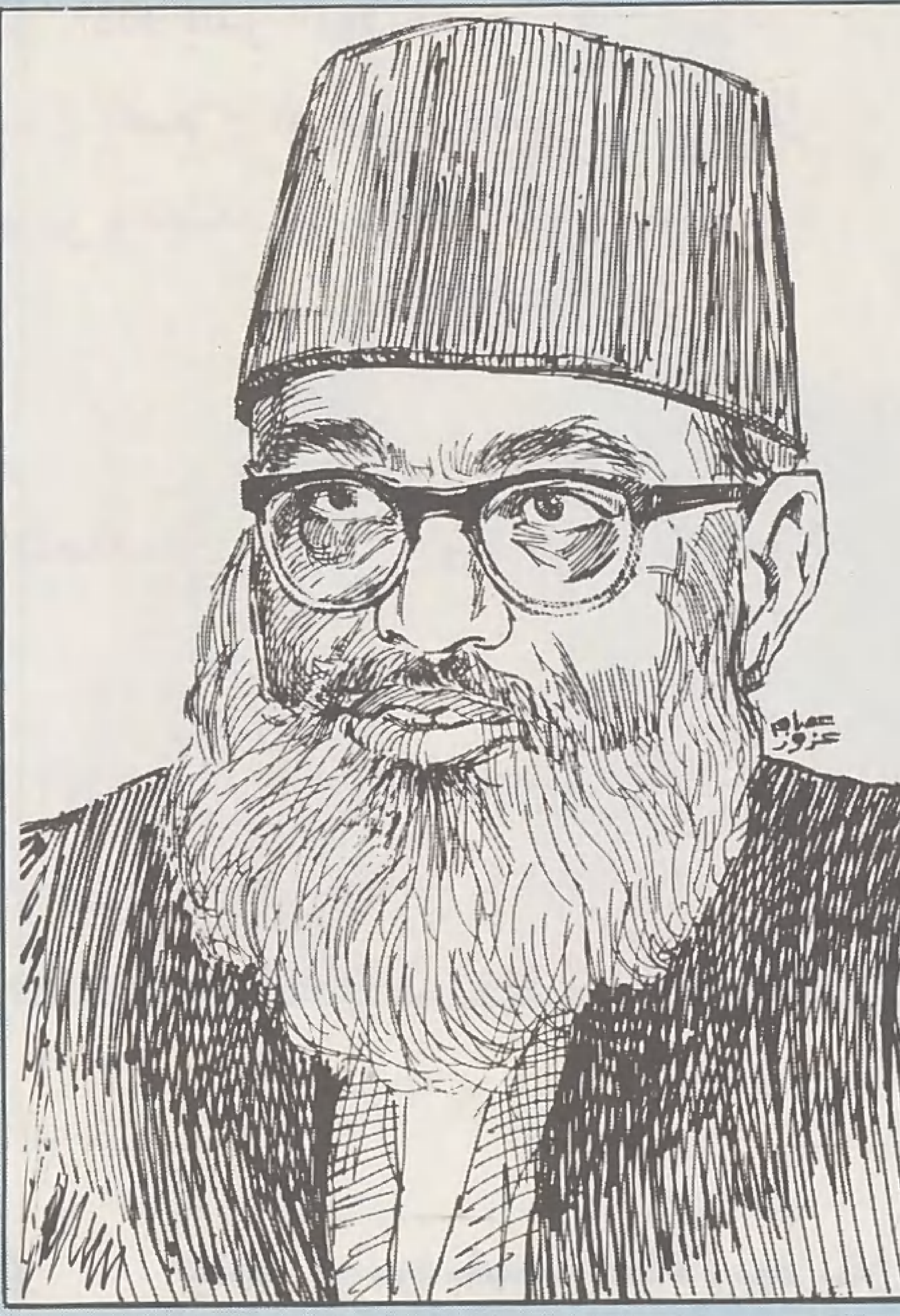

■ ابو الأعلى المودودي : الطريق الصحيح لإقامة التوازن بين عدد السكان ووسائل العيش أن تبذل الجهود الفعّالة لاكتشاف الموارد الجديدة للرزق ■

وبين الرخاء والتمكين في الأرض حقيقة قائمة ، وقد كان العرب في جوف الصحراء يعيشون في شظف ، حتى استقاموا على الطريقة ، ففتحت لهم الارض ، التي يغدودق فيها الماء ، وتتدفق فيها الأرزاق ، ثم حادوا عن الطريقة ، فاستُلِبت منهم خيراتهم استلاباً ، ولا يزالون في نكد وشظف حتى يفيئوا إلى الطريقة ، فيتحقق فيهم وعد الله » (الظلال : ٦/ ٣٧٣٤) .

وفي كون المعاصي والذنوب هي سبب محق الرزق ، وضيق العيش وقلة المؤونة ، او ما يسمى بالندرة في علم الاقتصاد الحديث ، يقول العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله في توضيح هذه الحقيقة : « ومن آثار الذنوب والمعاصي : انها تحدث في الأرض انواعاً من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار ، والمساكن ، قال تعالى :

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الجواب الكافي : ٥٨) .

وبناء على ما سلف يتضح لنا ، ان محاكمة اوضاع المسلمين الاقتصادية او غيرها إلى قواعد او نظريات علوم وافدة ، تمثل تحديات ومفاهيم مجتمعات اخرى خطا فادح ينبغي الّا يقعوا فيه ، وأنّ خيرات بلاد المسلمين ، لو استثمرت وفق الأساليب الحديثة ، لاتسعت لعدد ضخم من السكان المسلمين ، وان الحل الصحيح الأمثل لقضية المسلمين الاقتصادية ، يكمن في تكوين نسلهم وإعداده إعداداً علمياً لتعمير الأرض وفق تعاليم ديننا الحنيف ، وان مسالة الثروات الارضية مسالة نسبية ، إذ ان هناك من الامم من تفتقر إلى ثروات الأرض الخام ، ولكن بتكوين نسلها وجدية واجتهاد ابنائها ، استطاعت ان تبلغ مكانة مرموقة في عالم الاقتصاد ، وامة اليابان خير شاهد على ذلك .

وانه ليس من المنطقي ولا من المعقول ، ان تعمل دولة الإرهاب الصهيوني على تهجير اليهود الموجودين والمشتتين في مختلف دول العالم ، وتبني لهم المستوطنات على ارضنا ، ونفكر نحن ونعمل على تقليل نسلنا !!

يقول العلامة ابو الأعلى المودودي رحمه الله في كتابه « حركة تحديد النسل » :

« ليس تقليل السكان او وضع الحد لزيادتهم ، علاجاً ناجعاً لمشكلة السكان ، ولا هو طريق حاسم للمحافظة على التوازن ، بين عدد السكان ووسائل المعيشة ، فإنه عسى ان يزيد هذا التوازن اختلالاً بدلاً من ان يحافظ عليه .

وعلى العكس من هذا فإن الطريق الصحيح لإقامة هذا التوازن والمحافظة عليه ، هو ان تبذل مزيد من الجهود الفعالة الجديدة ، لزيادة وسائل المعيشة واكتشاف الموارد الجديدة للرزق ، وحيثما وضع هذا الطريق موضع التجربة فإن التوازن بين عدد السكان ووسائل المعيشة ، ما بقي قائماً على حاله فحسب بل قد نمت زيادة وسائل المعيشة بنسبة اكبر من عدد السكان » .

والخلاصة انه إذا كان المقصود بالحد من عدد السكان ، هو الخوف من ضيق الرزق وسوء المعيشة وشظف الحياة ، فهذا منطق جاهلي تاباه قواعد الإسلام وروح شريعته الغراء ، وهو واد في صورة جديدة ولا ريب !! وان الحل الإسلامي الصحيح لهذه القضية ، يتمثل في تكوين نسل المسلمين تكويناً علمياً سليماً ، وتنشئة اجيال المسلمين وشبابهم على الكدّ والجدّ والقضاء على مظاهر الكسل والخمول والانحراف ، التي تعوق نهضتهم ، وذلك عن طريق التربية الإسلامية العظيمة ، التي تحث المسلمين في أي عصر او مصر على العمل الصالح ، الذي اعتبره الإسلام درجة من درجات العبادة . ■■

ابن تيمية

■■ على الرغم مما كتب عن ابن تيمية ، وهو بالقياس إلى أعماله ومواقفه وشخصيته الفذَّة يعد قليلاً ، إلاَّ أن هذا الجانب من جوانب نشاطه المتعدد الأوجه لم يظهر فيما كتب عنه ؛ فلم يشر المؤلفون الذين تناولوا شخصيته وأعماله بالدراسة والبحث إلى ما بذله من جهود مخلصة من أجل إصلاح أوضاع السجون ، وجعل أحوال المسجونين أقل قسوة مما كانت عليه في الظروف التي سادت مصر والشام في نهاية القرن السابع ، وبداية القرن الثامن الهجريين ؛ أثناء حكم المماليك هذين البلدين .

ولعلَّ ذلك يرجع إلى سببين ، أولهمـا :

أن الذين درسوا شخصية وأعمال ابن تيمية ليسوا من المهتمين بالنظم العقابية ، ومن ثم فإن جهوده من أجل إصلاح أحوال المسجونين ، وتخفيف المعاناة عنهم لم تلفت نظرهم .

أما السبب الثاني فهو أن تلك الجهود التي بذلها ابن تيمية في هذا الصدد لم ترد فيما وضعه من كتب ومؤلفات ، وهي كثيرة ، أو لعلَّها وردت في بعض كتبه التي لم تصل إلينا وهي كثيرة أيضاً ، حيث ذكر ابن تغري بردي أن مصنفات ابن تيمية بلغت خمسمائة مجلد[1] ؛ لم يصل إلينا منها إلاَّ عدد قليل ربما لا يزيد على خمسين مجلداً . ■■

أثره الواضح في أعمال الملك الصالح الإصلاحية

ومع ذلك فإن تلك الجهود ليست من الخفاء بحيث يفوت الدارسين ملاحظتها ؛ ففيما كتبه عنه المؤرخون امثال ابن كثير والمقريزي وابن تغري بردي الكثير الذي يمكن أن نستخلص منه مواقف **ابن تيمية** المشرفة من أحوال المسجونين السيئة ، ومساعيه الدائبة من أجل تخفيف المعاناة عنهم ، وما بذله من جهود لدى **الملك الناصر محمد بن قلاوون** لكي يصلح من أوضاع السجون ، ويهتم بأحوال المسجونين ؛ وهي الجهود التي ظهرت آثارها واضحة فيما قام به الملك الصالح من أعمال ؛ تعد في جملتها حركة إصلاح شاملة للسجون ؛ تضمنت فيما تضمنته بذل المزيد من الرعاية للمسجونين سواء بإطلاق سراح أعدادٍ كبيرة منهم ، أو بتحسين أحوال من بقي مسجوناً لعدم قضائه المدة المحكوم بها عليه .

أسبـاب وشواهـد

واعتبار ابن تيمية المشير بهذه الاصطلاحات ليس من قبيل الاستنتاج ؛ ذلك لأنه توجد كثير من الشواهد التي تجعل القول بغير ذلك ضرباً من التحكم . ومن هذه الشواهد :

أولاً : أن ابن تيمية على خلاف من عاصرهم من فقهاء وعلماء ؛ كان يتمتع بصفات افتقر إليها سواه ؛ **مثل الجراة في مواجهة الأوضاع غير الصحيحة ، والشجاعة التي ليس لها نظير عند مواجهة الحكام فيما يعتقد أنه حق انحرفوا عنه ، أو باطل مالوا إليه ، وموهبته الأصيلة في النقد** ، مع ما كان يتمتع به من بصيرة نافذة وبعد نظر .

ثانيـاً : أنه عانى من الحبس أكثر من مرة ، وخبر السجون وعرف ما يجري بداخلها من أمور لا يقرها الشرع ولا يقبلها العرف ، وعلى الرغم من أن حبسه كان في بعض المرات في قصر أو في قاعة حسنة نظيفة في إحدى القلاع ، **إلاَّ أنه حُبس ذات مرة في سجن « الجب » بقلعة صلاح الدين في القاهرة سنة ٧٠٥هـ ، وذلك في ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية ، حيث قضى في هذا الحبس المهول عامين ، ثم أفرج عنه سنة ٧٠٧هـ .**

ثم حددت إقامته في دار ابن شقير في القاهرة ؛ حتى نفاه الملك المظفر بيبرس الجاشنكير إلى الإسكندرية ، وكان قد تولى الملك سنة ٧٠٨هـ عقب خلع ابن قلاوون لنفسه للمرة الثانية ، فظل ابن تيمية مقيماً بالإسكندرية حتى عاد

بقلم : أحمد علي المجذوب

ودوره في إصلاح السجون

● الإمام أحمد بن تيمية ●

قلاوون إلى القاهرة حين استرد عرشه للمرة الثالثة سنة ٧٠٩هـ ، فبعث في طلب ابن تيمية ؛ حيث اجتمع به وتبادل معه الرأي في كثير من الأمور ، وكان ابن تيمية كعادته صريحاً جريئاً .

ثالثاً : **أنه منذ عودة ابن تيمية من منفاه في سنة ٧٠٩هـ وإلى حين رجوعه إلى دمشق في سنة ٧١٢هـ كان بصحبة ابن قلاوون** ، أو على اتصال دائم بهذا الملك الذي أصدر خلال هذه الفترة القصيرة كثيراً من الأوامر والمراسيم التي أبطل بها أوضاعاً فاسدة كان **ابن تيمية** قد وجه إليها نقداً شديداً ؛ مثال ذلك الرشوة ، ففي سنة ٧١١هـ أصدر **الملك محمد بن قلاوون** أمراً بأن لا يُولّى أحد بمال ولا برشوة .

ويقول ابن كثير :

« **وكان سبب ذلك الشيخ تقي الدين بن تيمية**[٢] » .

تأثير ابن تيمية على ابن قلاوون في أعماله الإصلاحية

ليس ذلك وحسب ، بل إن ابن قلاوون أبطل أيضاً رسوم الولايات والمقدمين والنواب والشرطية ، والتي كانت تجبى من عرفاء الأسواق وبيوت الفواحش[٣] ويقول **ابن تغري بردي** :

« **وأبطل ما كان يأخذه مهتار**[٤] **طشتخاناه السلطان من البغايا والمنكرات والفواحش** » وكانت جملة مستكثرة .

كذلك منع **ابن قلاوون** الخمر وعاقب شاربيها بشدة ، وكان **ابن تيمية** يعيب على الحكومة تهاونها مع شاربي الخمر ، ويقوم أحياناً بمهاجمة الأماكن التي تباع فيها ، ويعاقب شاربيها بشدة .

وفضلاً عن هذه الشواهد التي تؤيد ما ذهبنا إليه من أن **ابن تيمية كان وراء حركة الإصلاح العقابي التي قام بها ابن قلاوون** ، والتي سنلقي الضوء عليها فيما بعد ، فإن هناك مستشرقاً فرنسياً هو الأستاذ « **هنري لاووست** » الذي قضى أكثر من ثلاثين سنة في دراسة عصر المماليك ، والحنابلة ، **وابن تيمية** بوجه خاص ، وترجم كتاب « **السياسة الشرعية** » إلى الفرنسية ، وقدم له بمقدمة قيمة ، يرجح أن ابن تيمية صنفه ما بين سنة ٧٠٩ و ٧١٢ هجرية ، في أعقاب استدعاء ابن قلاوون له من **منفاه** بالإسكندرية ، وبناء على طلب من هذا الملك كما فعل **هارون الرشيد** مع أبي يوسف .

ويرىٰ « **هنري لاووست** » بالاستناد إلى ما كتبه **ابن كثير** في « **البداية والنهاية** » أن هناك مطابقة واضحة بين الخطط المرسومة في كتاب « **السياسة الشرعية** » والإصلاحات المقترحة فيه ، والتدابير

ابن تيمية ودوره في إصلاح السجون

والإصلاحات التي قام بها **محمد بن قلاوون في التاريخ نفسه**[٥] .

سجن ابن تيمية لم يحدّ من نفوذه العلمي وتأثيره الوجداني

وعلى الرغم من أن **الملك الناصر محمد بن قلاوون** ، كان قد أمر بحبس **ابن تيمية** أربع مرات كان آخرها سنة ٧٢٦هـ ؛ حيث سجن في قلعة دمشق إلى أن توفي سنة ٧٢٨هـ إلَّا أن ذلك لم يكن عن حقد أو كراهية أو استخفاف بالفقيه الكبير والمفكر العظيم ، وإنما كان لخلاف في الرأي ؛ ولعدم التزام **ابن تيمية** بما أمره به **ابن قلاوون** من الامتناع عن الفتيا في مسألة الطلاق ، وبتحريض من الفقهاء الذين كانوا يخالفون **ابن تيمية** في آرائه .

وإذا كان **ابن تيمية** قد توفي في سنة ٧٢٨هـ فإن تأثيره في **ابن قلاوون** ظل قائماً حتى وافت المنية هذا الملك سنة ٧٤١هـ ؛ حيث إن السياسة التي أشار عليه بها بشأن السجون ظلت مستمرة منذ أول أمر أصدره في سنة ٧١١هـ بالإفراج عن المسجونين ، وألَّا يؤخذ من كل مسجون إلَّا نصف درهم ، كما أصدر أمراً آخر يقضي بإطلاق سراح الأشخاص الذين سُخّروا غصباً في بعض الأعمال .

أوضاع السجون في عهد ابن تيمية

وزيادة في الوضوح سنبين للقارىء ما كانت عليه أوضاع السجون أيام **ابن تيمية** حتى يمكن أن ندرك طبيعة واهمية الإصلاحات التي أشار بها **ابن تيمية** على **ابن قلاوون** .

على الرغم من أن السجون كانت تتبع الدولة من حيث كونها أماكن يودع فيها الأشخاص ؛ سواء الذين صدرت بحقهم أحكام بالحبس ، أو الذين حبسوا على سبيل التوقيف أو ما يسمى بالحبس الاحتياطي ، كما أن حراسة هذه الأماكن كان يعهد بها إلى الشرطة إلَّا أن إدارتها في الداخل والإشراف على نزلائها من الوجوه كافة كان يعهد به إلى ضامن يتولى الإنفاق عليها مما يحصله من المسجونين ، ويؤدي للحاكم مبلغاً من المال سنوياً ، وكان يوجد فضلاً عن هذا الضامن أشخاص يسمون **« مُقْطَعين »** بعدد السجون ؛ أي أنه **كان يجمع لكل سجن « مقطع » مهمته إدارة السجن لحساب الضامن ؛ الذي كان غاية همه أن يُحصِّل اكبر قدر من المال من المسجونين** ؛ **ضارباً عرض الحائط بما هم عليه من فقر وفاقة** ، **وقد اختلف الرأي فيما كان الضامن يحصله من كل مسجون** .

فبينما يقول **ابن تغري بردي** : إنه كان على كل شخص يودع في السجن ولو للحظة واحدة أن يدفع للضامن مائة درهم ، بالإضافة إلى الغرامة التي يلزم بدفعها ، وكان الضامن يحصلها لحساب الحكومة . **فإن المقريزي في « السلوك »** يقول : إن هذا المبلغ كان ستة دراهم يدفعها للضامن ، وليس مائة درهم .

وسواء أكان المبلغ مائة درهم أو ستة دراهم فإن الذي لا شك فيه أن هذا ليس هو كل ما كان يتقاضاه الضامن من المسجونين ، وإنما كان يتقاضى أضعافه من القادرين .

أما الفقراء فإنه كان يسخرهم في بعض الأعمال التي تعود عليه بدخل كبير ، غير عابىء بما يتحمله هؤلاء من أذى وما يصيبهم من ضرر .

ومن ثم فإن إلغاء **ابن قلاوون** لهذا النظام يعد من قبيل الرجوع إلى الأصل ، وهو قيام الدولة بالإشراف على السجون ورعايتها للمسجونين حماية لهم من استغلال الضمَّان ؛ وهو ما عليه الحال الآن في السجون القائمة .

ولقد سبق أن ذكرنا أن **ابن قلاوون** أصدر مرسوماً في سنة ٧١٤هـ يقضي بألَّا يؤخذ من كل مسجون إلَّا نصف درهم فقط ، أي انه بدأ أولاً بتحديد ما يجب على الضامن أن يأخذه من المسجونين بنصف درهم ، ثم تلا ذلك إلغاء نظام الضمان تماماً ، وربما يكون السبب راجعاً إلى عدم التزام الضامن بهذا التحديد لما يحق له أن يأخذه ، وحصوله على مبالغ أكبر ، ربما تكون قد وصلت إلى ما ذكره **ابن تغري بردي** ، أي : مائة درهم في بعض الأحوال ، ولم تقلّ عن ستة دراهم في أدنى الأحوال كما ذكر **المقريزي** .

ولم يقف **ابن قلاوون** في سعيه إلى إصلاح أحوال المسجونين عند هذا الحد ، بل قطع شوطاً آخر لا يقل عن الشوط السابق أهمية ؛ ذلك بأنه التفت إلى سجن « الجب » الذي كان بقلعة الجبل قبيح المنظر ، شديد الظلمة ، كريه الرائحة ، فأصدر أمره سنة ٧٢٩هـ بردمه ، لما عرفه من أن المحابيس يمرون فيه بشدائد عظيمة ، فرُدم وعُمِّر فوقه طباق للمماليك السلطانية .

وقد عُمل هذا الجب في سنة ٦٨١هـ أيام الملك المنصور قلاوون .

ويقول **المقريزي في « خططه »** :

إنه كان بالقلعة جب يحبس فيه الأمراء ، وكان مهولاً مظلماً كثير الوطاويط كريه الرائحة ؛ يقاسي المسجونون فيه ما هو أشد من الموت ؛ عمره الملك المنصور قلاوون سنة ٦٨١هـ إلى أن أمر الملك الناصر محمد بن قلاوون

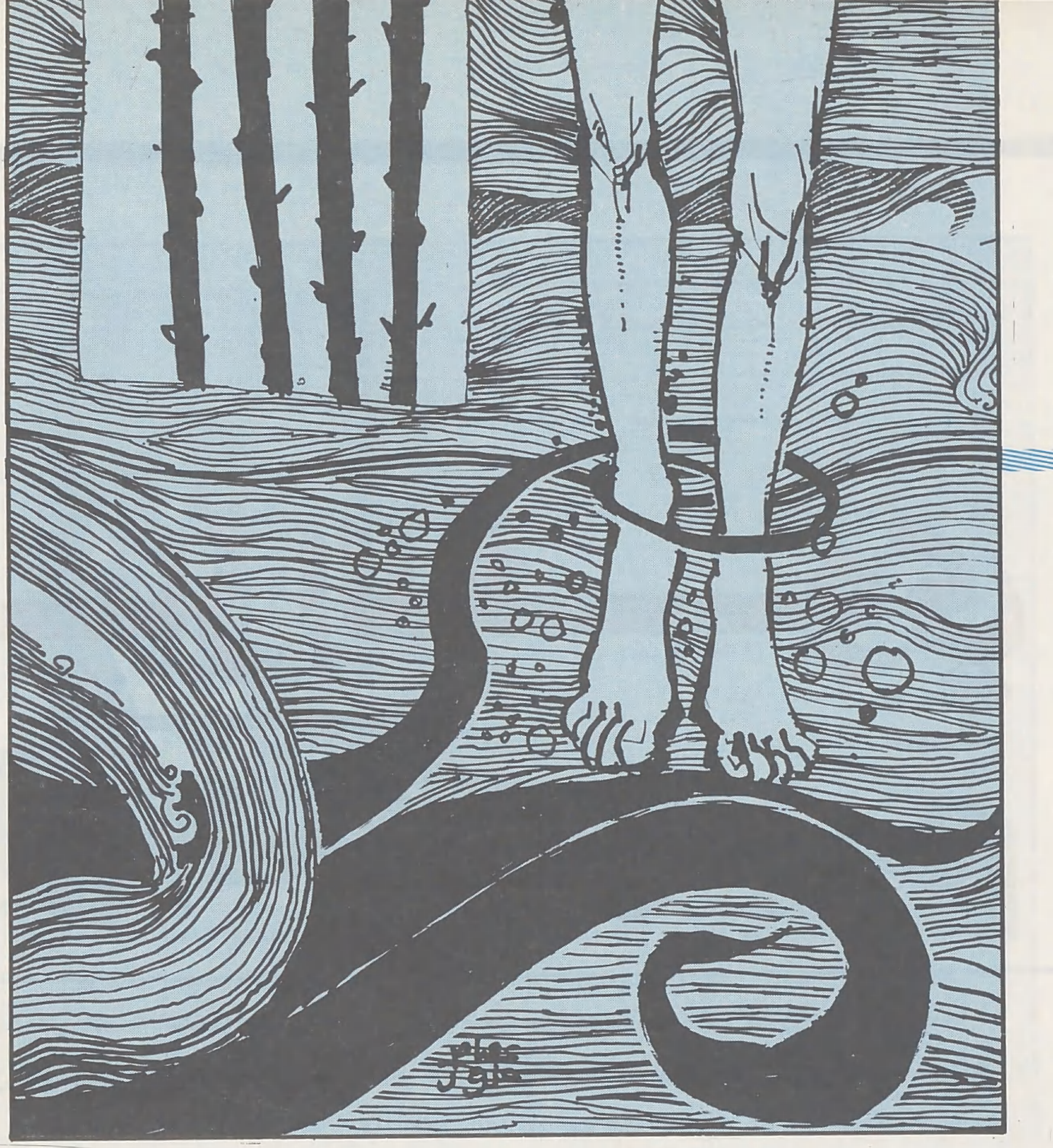

بإخراج من كان فيه من المحابيس ، ونقلهم إلى الأبراج وردمه ، وعَمَّر فوق الردم طباقاً (غرفاً) للمماليك في سنة ٧٢٩هـ .

ويقول **المقريزي** :

إن المسجونين كانوا يودعون في هذا السجن عن طريق التدلية فيه ، أي أنهم يربطون بحبل ويدلون فيه ، حتى إذا استقروا في قاعه بقوا فيه إلى ما شاء الله ؛ وكان الطعام والشراب يدلىّ إليهم كذلك .

كذلك أزال الملك الناصر محمد بن قلاوون السجن الذي كان يسمى بـ (**خزانة البنود**) وأقام مكانه منزلاً خصصه لسكنى الأمراء من الفرنج مع أولادهم ؛ وقد سُمي السجن بـ (خزانة البنود) لأنه أقيم مكان أحد المخازن ، وكانوا يسمونه خزانة ، ويضعون فيه السلاح أو الأعلام وتسمى بنوداً ، وكان يسجن فيه الأمراء والأعيان .

ولم تقتصر جهود ابن قلاوون في مجال إصلاح السجون على سجون الأمراء ، حيث إن كلاً من سجن الجب ، وسجن خزانة البنود كانا مخصصين للأمراء والأعيان ، بل إن جهوده شملت السجون التي يودع فيها أرباب الجرائم من السرّاق وقطاع الطريق ، ونحوهم ، مثل السجن المسمى بـ (**حبس المعونة**) في القاهرة ، حيث كان يوجد سجن آخر بالاسم نفسه في مصر (مصر القديمة الآن) ويقول **المقريزي** عن هذا السجن :

إنه كان حرجاً ضيقاً شنيعاً يشم من قربه رائحة كريهة ، فلما ولي الملك الناصر محمد بن قلاوون مملكة مصر هدمه وبناه قيسرية للعنبر .

وهكذا نجد أن **الملك الناصر محمد بن قلاوون** كان يتبع إزاء المجرمين سياسة حكيمة ومنهجاً سليماً ، فهو لا يقاوم الجريمة بالسجون الموحشة والعقوبات المهلكة ، وبزيادة عدد السجون ؛ بل على العكس يزيل ما يمكنه إزالته من السجون ولا يقيم مكانها غيرها .

وفي الوقت نفسه يصدر الأمر تلو الأمر بالإفراج عن المسجونين ، ويقاوم عوامل الإجرام بحزم وقوة ، ويضرب للناس المثل ، ويجعل من نفسه قدوة صالحة لهم ، فيلتزم بما أمر به الله تعالى ، وينتهي عمّا نهى عنه ، ويقول عنه **ابن تغري بردي** :

إنه « كان على غاية من الحشمة والرياسة وسياسة الأمور ، فلم يضبط عليه احد أنه أطلق لسانه بكلام فاحش في شدة غضبه ، ولا في انبساطه ، مع عظيم ملكه وطول مدته في السلطة وكثرة حواشيه وخدمه ، وكان مع هذه الشهامة وحب التجمل مقتصداً في مجلسه ؛ لا يتحلى بالذهب ، وكان لا يشرب الخمر ، ويعاقب عليه ، ويبعد من يشربه من الأمراء عنه ؛ وكان في الجود والكرم والإفضال غاية لا تدرك ، خارجة عن الحدود ، ولم يشهر عنه أنه وُلِّي قاض في ايامه برشوة ، ولا محتسب ولا وال ؛ بل كان هو يبذل لهم الأموال ، ويحرضهم على عمل الحق ويعظم الشرع الشريف » .

فلا عجب إذا قام بهذه الإصلاحات في مجال العقوبة فضلاً عن كثير غيرها في شتى المجالات من عسكرية وسياسية وإدارية وزراعية وقانونية وغيرها .

ولذلك فإن **ابن تغري بردي** لم يكن مبالغاً حين وصفه بأنه أعظم ملوك الترك (المماليك) مهابة وأغزرهم عقلاً ، وأحسنهم سياسة ، وأكثرهم دهاءً ، وأجودهم تدبيراً ، وأقواهم بطشاً وشجاعة ، وأحذقهم تنفيذاً .

فإذا اجتمعت هذه الصفات كلها في ملك ، ووُجِد إلى جانبه عالم عظيم وفقيه كبير مثل : ابن تيمية رحمه الله ، اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ، كما قال فيه كمال الدين بن الزملكاني غريمه اللدود ، فهل تعجب إذا امتدت جهود الإصلاح إلى كل ميدان بما في ذلك ميدان الجريمة والعقوبة ؟

---

(١) النجوم الزاهرة ص ٢٧١ المجلد التاسع .
(٢) البداية والنهاية ص (٦٦) الجزء الرابع .
(٣) النجوم الزاهرة ص (٤٦) الجزء التاسع .
(٤) «مهتار» كلمة فارسية معناها : الأكبر . «والطشت خاناه» معناها : المكان الذي يوجد فيه الطشت حيث يغتسل السلطان .
(٥) الأستاذ محمد المبارك في تقديمه لكتاب «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» . سلسلة روائع الفكر الإسلامي .

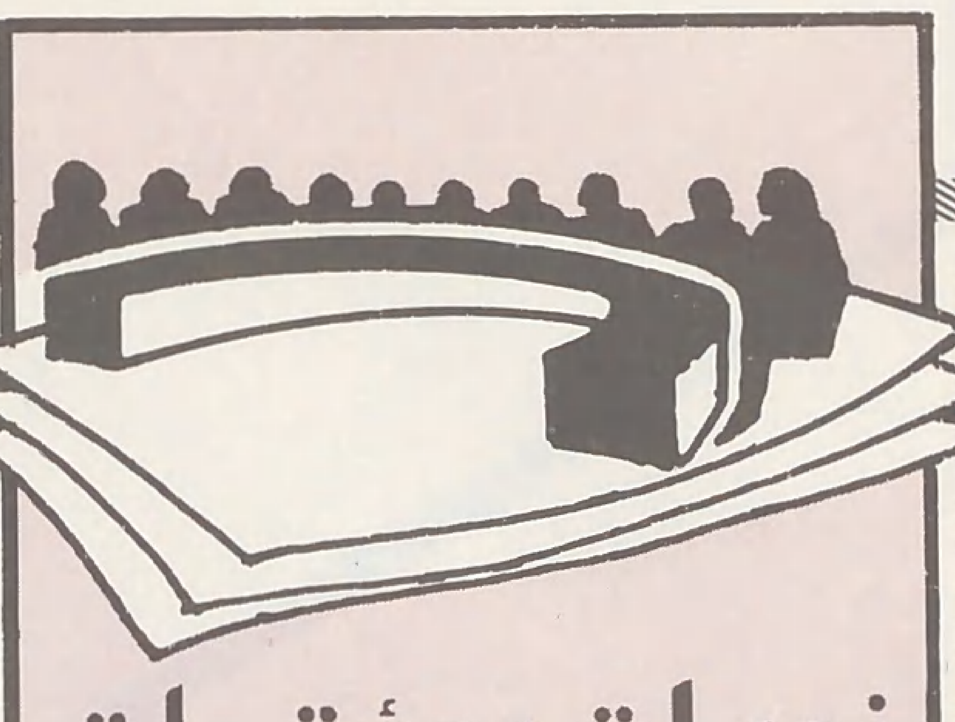

ندوات ومؤتمرات

الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم

■■ شاع مصطلح الإعجاز في بداية الجيل الثالث على ألسنة العلماء والباحثين، وهو نوع من تخصص الدلالة في الألفاظ الإسلامية، وقبله كان يطلق على معنى الإعجاز لفظة (آية)، فالقرآن الكريم آية من آيات الله إلى نبيه محمد ﷺ، والمعجزات التي أُيِّد بها النبيون من قبل هي آيات بيِّنات..

ومع أنّ أبحاثاً كثيرة ودراسات قد ظهرت محاولة تحقيق مفهوم الإعجاز، فإن الإعجاز البياني - الذي يعتبره كثير من الأساتذة والعلماء المرادَ بإعجاز القرآن - لم يحظ بدراسات الاقدمين أو المحدثين بصورة كبيرة.

وحول هذا الإعجاز في القرآن الكريم ألقى الدكتور عبد الصبور شاهين أستاذ الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، والأستاذ الزائر بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر محاضرة بعنوان [الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم] وذلك في إطار الموسم الثقافي السابع الذي تقيمه رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر: ■■

قال الدكتور عبد الصبور:

تُنوول الإعجاز القرآني من جوانب مختلفة، اشهرها الإعجاز البلاغي، وأحدثها الإعجاز العلمي، وبين هذين البعدين ظهرت بحوث تحقق مفهوم الإعجاز: كالإعجاز الاقتصادي، والإعجاز القانوني، والأعجاز التشريعي، والإعجاز الاجتماعي.. وكان الإعجاز البياني هو مناط التحدي الموجه من القرآن إلى معارضيه عندما يقول القرآن:

﴿ فأتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ ﴾ (البقرة: ٢٣)، أو: ﴿ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾ (هود: ١٣)، ثم ياتي الحكم القاطع الخاتم: ﴿ قُل لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (الإسراء: ٨٨).

محاولات على الطريق:

ثم اشار إلى محاولة الأستاذ محمود محمد شاكر في مقدمته لكتاب الأستاذ مالك بن نبي (الظاهرة القرآنية) وقوله: إن وجهة الإعجاز التي يؤكدها القرآن دائماً هي البيان، وإن كل الذين بحثوا عن جانب البيان لم يصلوا إلى شيء، لا الباقلاني، ولا عبد القاهر الجرجاني، ولا من لف لفهما من الائمة والباحثين، كل هؤلاء قاربوا ولم يمسوا، حاولوا ولم يتحققوا، وإنما تشاغلوا بامور اخرى لا تتصل بالبيان..

ويعلق المحاضر على ذلك بقوله: كثيرون ممن قراوا هذه المقدمة يعجبون بها لما طرحته من احكام جريئة على السلف من العلماء، ولكنهم يعجبون منها لان الاستاذ شاكر لم يقدم حلاً للمشكلة، ولم يطرح مفهوم البيان الذي يقصده ويرى ان السلف اخطؤوه حينما حاولوا الوصول إليه.. ونتوقع منه ان يحاول إنجاز ما تمناه في حياته..

وينتقل إلى عرض محاولة الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله في دراسة الصورة البيانية بشكل عام محاولة منه لإدراك مفهوم البيان في آيات القرآن، فلم يقصر بحثه على صورة التشبيه عندما يتكون من مشبه ومشبه به، واداة تشبيه، ووجه شبه، لكنه عمد إلى الصورة الشاملة، يحاول ان يستوحي منها تجسيد هذه الصورة من كلمات القرآن ومن وسائله التعبيرية.. فقدم (التصوير الفني في القرآن)، وضمّن كتابيه (مشاهد القيامة) و (في ظلال القرآن) صوراً شاملة ولا سيما فيما يتعلق بتصوير الجانب الأخروي.

اما الكاتب الإسلامي مصطفى صادق الرافعي في كتابه عن الإعجاز القرآني والبلاغة النبوية فيتحدث عن اسلوب القرآن فيقول: (... إنما هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله، ليس من ذلك شيء إلّا وهو معجز، وهو الذي قطع العرب دون المعارضة، واعتقلهم عن الكلام فيه، وضربهم بالحجة من انفسهم، ثم هو الذي مثل لهم الياس قائماً لا يتّصل به الطمع، وصوّر لهم العجز غالباً لا تنال منه القدرة، وهذا يتبين من طرق نظمه، ووجوه تركيبه، ونسق حروفه في كلماتها، وكلماته في جملها، ونسق هذه الجمل في جملته، وما اذهل العرب عن انفسهم من هيبة رائعة وروعة مخوفة وخوف تقشعر منه الجلود، حتى احسوا الفطرة القوية، وتخلف الملكة المستحكمة، وراى بلغاؤهم ان هذا التركيب جنس من الكلام غيرُ ما هم فيه).

ويعلق المحاضر بقوله: هي نصوص يمكن ان ينطبق عليها فعلاً وصف الأستاذ شاكر من انهم قاربوا ولم يلمسوا، حاولوا فعلاً أن يقدموا صورة رائعة، ولكن ضمن أساليب لا تسفر عن الحقيقة التي يتطلبها عقل الباحثين.

محاولة القدماء:

وعن منهج القدماء قال الدكتور عبد الصبور شاهين:

فيما يتعلق بالإعجاز اللغوي ركّز القدماء على

الدكتور : عبد الصبور شاهين

- أستاذ الدراسات اللغوية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .
- بدأ دراسته بالأزهر الشريف ، وحصل على الثانوية الأزهرية .
- حصل على ليسانس دار العلوم عام (١٩٥٦م) ، وعين معيداً بالكلية عام (١٩٥٨م) وتدرج في سلك التدريس حتى أصبح أستاذاً عام (١٩٧٨م) .
- متخصص في الدراسات اللغوية داخل القراءات القرآنية ، وحولها أعد رسالتي الماجستير والدكتوراه .
- يعمل خبيراً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ورشح عضواً به .
- من مؤلفاته : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي - في التطور اللغوي - دراسات إحصائية لجذور مفردات تاج العروس باستخدام الكومبيوتر .. العربية لغة العلوم والتقنية .
- له مجموعة من المترجمات أهمها كتب الأستاذ مالك بن نبي الستة الأول وهي (شروط النهضة ، مشكلة الثقافة ، فكرة الأفريقية الآسيوية ، وجهة العالم الإسلامي ، ميلاد مجتمع ، الظاهرة القرآنية) ترجمها عن الفرنسية ، وكتاب الدكتور محمد عبد الله دراز (دستور الأخلاق في القرآن) ، كما راجع كتاب (الإسلام يتحدى) لوحيد الدين خان .

الكلمة وتكوينها ، وتأليفها في الجملة ، وعلى تأليف النظم وتعلق بعضه ببعض ، وعلى الروح التي تشيع في أجزائه فتحيلها معجزة واحدة ، على تفاوت ما بينها زماناً ومكاناً .. فمع أن القرآن قد نُجّم في تنزيله على ثلاثة وعشرين عاماً فإنَّ أوله كآخره لا يتفاوت ولا يمكن أن يوصف بعض الكلام بأنه متقدم على بعض أو بعضه أنقص من بعض ، وإنما هو يتنافس في الكمال ، أو يتكامل على مر التنزيل دون أن يُسبق بمرحلة نقص أو توهم نقص فقد بدأ كاملاً وانتهى كاملاً .

والقدماء في هذا يتابعون وجوداً فنياً : فاللفظ يتواءم مع اللفظ ، والكلمة تأخذ بعناق أختها ، والجملة تساوي الجملة ، والإيقاع متوافر سواء أكان إيقاعاً موسيقياً أم كان إيقاعاً داخلياً .

كما تابع القدماء دراسة الفواصل ، والفواصل جرس موسيقي رائع تميز به القرآن ومثَّل لذلك بسورة مريم .

أما المحدثون فقد توفرت بحوثهم على الإيقاع ومثل لذلك بما كتبه الأستاذ سيد قطب رحمه الله .

معانٍ جديدة لألفاظ قديمة :

ويطرح المحاضر الموضوع الأساسي لمحاضرته فيقول : إن هذا كله - رأي القدماء والمحدثين - يعتبر فعلاً لغوياً ، لكنه يُغفل جانباً آخر لم يتعرض له أحد وأقول : لم يتعرض له أحدٌ - بالتنكير على سبيل الاستقصاء - : فاللغة لفظ ومعنى ، وقد كان القدماء يقولون : إن المعاني ملقاة في الطريق ، وإنما يتفاضل البلغاء باختيار الألفاظ ، فإذا تابعنا هذه القضية التي وضعت عنواناً على البلاغة العربية فسنجد أنها لا تَصْدُق فيما يتعلق بالقرآن ، يأتي القرآن بألفاظ مأنوسة يستعملها كل الناس في معانٍ لا يعرفها الناس ، ولا يتطرقون إليها ولا تقع في تصوراتهم .. وقد كان هذا فعلاً هو الجانب المحيِّر للذين يعارضون القرآن .. وربما كانت كلمة سحر تعبيراً عن تلك العملية الهائلة التي أحدثها القرآن في صميم اللغة العربية فقلبها رأساً على عقب : فلا يستعمل اللفظ القرآني في معنى جاهلي ، وإنما يأتي اللفظ القرآني بمساحة في الدّلالة أوسع وأرحب من أي استعمال جاهلي سبق .. وهذا هو الجانب الدّلالي الذي يعتبر من أصعب بحوث الدراسات اللغوية وأشقها ويتجنبه الباحثون ، ويذهبون إلى الأصوات أو النحو أو الصرف أو المعجم أو التراكيب ، ولا يقتحمون باب الدلالة .

تغيير العقـول :

ويوضح الدكتور عبد الصبور شاهين مهمة الرسول ﷺ في سبيل تغيير الواقع الجاهلي وهي تتركز في تغيير العقول فيقول :

كانت مهمة صعبة جداً لتغيير الحالة الفكرية التي تهيمن على لغة العقول وتهيمن على الألفاظ وعلى معانيها .. ولتصيير لغة التفكير لغة أخرى .. فإذا استطاع أن يغير لغة العقول لتفهّم اللغة الجديدة فإنه يكون بذلك قد صنع الجيل المسلم الذي يقوم عليه بناء الأمة والدولة والحضارة على مر التاريخ .. ومن هنا ندرك الحكمة في أن الرسول ﷺ عندما بدأ الدعوة : اقتصر على فتح مدرسة الأرقم بن أبي الأرقم ، ولم يتعرض للأوثان بالتحطيم لأنها لا تهمه ، إنما هو يريد أن يحطم الأوثان في عقول المؤمنين ، لأنه لا يتخلص المؤمن من مهابة ووجود هذه الوثنية الجاهلية بكل ركائزها وتأثيراتها بمجرد أن يقول : لا إلـه إلّا الله ، محمد رسول الله ، بل لا بد من استمرار التزكية والتربية والتعليم حتى يتحقق للمسلم جوهر جديد ووضع جديد ..

وأكبر معجزة حققها رسول الله ﷺ هي تخريج هذه المدرسة التي هاجرت معه إلى المدينة ذات يوم من أيام العام الثالث عشر للبعثة ، فهذه الثلة أو الكوكبة من المؤمنين كانت تتكلم لغة أخرى ، وتعتنق فكراً آخر ، ومنهاجاً آخر ، وتصوراً آخر ..

التباين الدّلالي لألفاظ القرآن :

وفي سبيل إيضاح التباين الدلالي للألفاظ يستشهد المحاضر بالآيات الخمس الأوَل التي نزلت كل ألفاظها شيئاً آخر يختلف عن معانيه الجاهلية :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق : ١ - ٥) .

يقـــول :

﴿ اقْرَأْ ﴾ ليس معناها أنه قدم إليه شيئاً مكتوباً ليقرأه ، ولكنه طلب منه مطلباً وهو يعلم أنه لا يقرأ بالمفهوم الجاهلي ، ولذلك كان ردّ الرسول ﷺ : « ما أنا بقارىء » إنه لا يعرف القراءة ، فيلح عليه أن يقرأ ليغير لديه مفهوم القراءة - كما سيأتي بعد ذلك - إنه سوف يقرأ رسالة تتصف بأنها قول ثقيل :

﴿ يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ . قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً . نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً . إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ (المزمل : ١ - ٥) .

﴿ باسم رَبِّكَ ﴾ والرب بالمفهوم الإسلامي ليس الرب بالمفهوم الجاهلي : كانوا يرون أن لهم أرباباً من دون الله ، هي هذه الكائنات المحدودة الصورة ، فإذا بالرب لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وليس كمثله شيء ، بَدِيعُ السَّمٰوات والأرض ، لا إله إلّا هو خالق كل شيء ، هذه كلمة رب التي تتحقق في هذا الموقف بهذا المعنى الهائل الذي لم يكن يدور في خلد إنسان من أهل الجاهلية ، أو متعبد على ملل النصارى واليهود من أهل الأديان ، أولئك الذين ثلّثوا وألّهوا الأشخاص وسقطت في نفوسهم مفاهيم الألوهية إلى درك نفاه القرآن وكفّرهم من أجله .

ويربط الدكتور عبد الصبور بين ﴿ ربّك الّذي خَلَقَ ﴾ و ﴿ خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ فخلق هنا ذات بعد ضخم جداً لأنها تتعلق بخلق الإنسان ، و ﴿ الإنســان ﴾ لفظ يفسح في أفق ووعي المخاطب ليستوعب الإنسان منذ خلق إلى أن

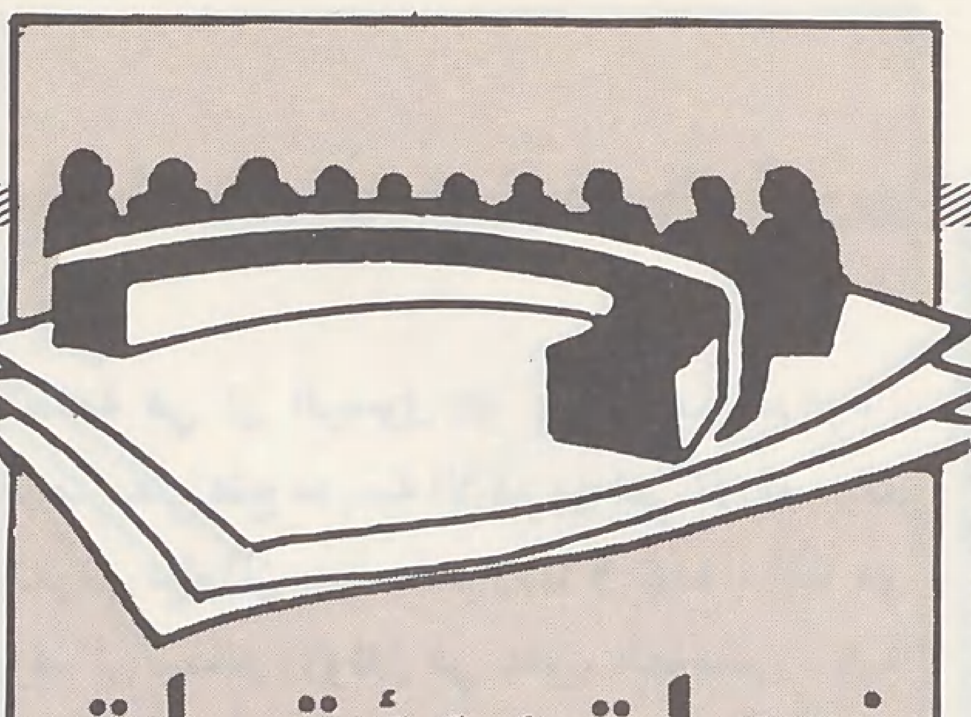

الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم

ينتهي على هذه الارض ، والحديث هنا عن هذا الإنسان بهذا الإطلاق يشمل ايضاً قوى هذا الإنسان ، وكل منجزاته ، لان كل شيء حققه على هذه الارض كان موجوداً في الإنسان الاول بالقوة إلى ان تحقق بالفعل في اجيال هذا الإنسان الاول .

وعن كلمة ﴿ علق ﴾ قال : إن العلم لم يدرك حتى الآن حقيقة هذه العلقة ، وإنما يحاول ويحاول ، ويعطي عنها تصوراً ، ويحاول ان ينشر هذا التصور ، ثم يتغلغل العلم في الكشف عن اسرار اخرى .. وما من سر في خلق الله إلّا ويستكنّ تحته اسرار واسرار .

﴿ ... وَمَا أُوتِيتُم مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (الإسراء : ٨٥) .. وتظل كلمة ﴿علق﴾ ذات معنى متراحب ، عميق ، يحتوي من اسرار العلم ما تنقطع دونه اعناق العلماء ، وفي كل جيل تظهر صورة للعلم وللإدراك العلمي لهذا الوجود الإنساني .. ثم يتغير المفهوم بعد جيل آخر .. وهكذا . يقول اليهودي (البرت إينشتين) عندما سئل : « هل يؤمن بالله » ؟ قال لسائله ما معناه : « إنّ علم إينشتين لم يصل إلّا إلى قياس حبة رمل في صحراء هائلة من العلم الذي لم يعرفه البرت إينشتين » .. وهذا اعتراف يَصْدُق على علم البشرية كله ، مهما بلغ في البحوث وكشف من اسرار ، فإنّ الله عزّ وجل سيظل لديه العلم الكامل والمطلق وهو يفيض بقدر على هذا الإنسان .. وتتحقق الآية :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت : ٥٣) .

فاقصى ما يتصوره العربي في وصف إنسان بانه اكرم العرب هو كرم حاتم الطائي الذي لم يصل كرمه إلى مستوى وليمة من ولائم العصر الحديث تقدم فيها الذبائح بشكل هائل لم يتخيله حاتم الطائي قطعاً .. فإذا جاءت الآية ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴾ فإن حدود الأكرمية هنا لا نهاية لها ، لان العقيدة الإيمانية لا تقتصر على اعتبارات الدنيا ، وإنما تمتد إلى الآخرة .

الموجودات في القرآن :

وانتقل المحاضر بعد ذلك إلى بعض الألفاظ القرآنية من الموجودات مثل لفظة (جنّة) فذكر انها كانت في عرف اهل الجاهلية البستان أو الحديقة ، فإذا بالقرآن يتحدث عن الجنة بمفهوم الجاهلية ، ويتحدث عن الجنة بمفهوم الإسلام ، وبين الجنتين ما بين ذرة الرمل وكل ما في الكون من رمل .. يقول :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾ (القلم : ١٧ ـ ١٨) ما حجم هذه الجنة ؟ هي لثلاثة او اربعة اشخاص .. فلم يكن احد من اهل الجاهلية يملك جنة اكبر من حائط مثلاً ، (يقال حائط او بستان ، وحائط الثقفي في الطائف هو الذي لجأ إليه رسول الله ﷺ بعد ان ضربه السفهاء والغلمان) .. فالمساحة محدودة ، ولم تستعمل الجنة في لغة الجاهلية إلّا بهذا الحجم المحدود ..

اما في القرآن فنجد انها حجم هائل ، عرضها السّموات والأرض ، إذن فهي غير السّموات والارض : أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ، لقد اتسع مفهوم الأصوات ومفهوم الكلمة إلى درجة لا يحددها إلّا إيمان المؤمن فقط ، عندما يتحدث القرآن عن نعيم الجنة ويقول : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (السجدة : ١٧) ، ويقول :

﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ (البقرة : ٢٥) ، ويقول ابن عبّاس : (ليس في الدنيا من الجنة شيء إلّا الأسماء) .. فكل ما في هذه الدنيا له امثال في الجنة ، لكنها امثال في الكلمات والاسماء لان الناس يجب ان يخاطبوا بما يفهمون ، ولو كان كل شيء يسمى بما يستحق من اسم لجاءت كل موجودات الجنة باسماء اخرى لا علاقة لها بلغة العرب .. لكن الله تبارك وتعالى شرّف هذه اللغة بالتعبير عن هذه المعاني غير المحدودة ، الغيبية ، وتتسع الالفاظ للدلالات التي لا نهاية لها ولا حدّ لمساحتها .

مع سورة الفاتحة :

ومن الفاظ الفاتحة ذكر الدكتور عبد الصبور شاهين ان المسلم إذا تتبعها لَمَا ركع لانه سيتوه في معاني واغوار هذه الالفاظ : ففي جملة ﴿ الحمد لله ﴾ ما حقيقة الحمد ؟ وما مساحته ؟ فهو عند المؤمن الذاكر او عند عالم كبير او ولي من أولياء الله ، او عند نبي من انبياء الله أو محمد ﷺ يتفاوت ، حقيقة ومدلولاً .. فمع ان الكلمة معروفة عند ابسط الناس وعند أعلمهم ، ولا تتغير من لسان إلى لسان ، فإن مساحتها الدلالية من عمق الإيمان واتساع الإدراك تتفاوت .

و ﴿ رب العالمين ﴾ تطرح تساؤلاً : لماذا لم يقل العالم ؟ ولم يستطع احد ان يخبرنا ما حقيقة هذه العالمين ، ما حدود الدلالة ؟ قال بعض المفسرين : العالمون مَنْ قبلك وبعدك من ابناء آدم ، وقالوا : الإنس والجن والملائكة .. إننا نظل نكتشف وجود عالم وعالم ، ومع سعي الإنسان للفضاء فإن الله سبحانه وتعالى يقدر له هذه الرحلة ليُطلعه على شيء من قدرته وبعضٍ من اسراره الكونية .. فإذا اطّلع الإنسان على شيء من العوالم الموجودة فلا يعني هذا انه اطّلع على كل العوالم .. ولا يتصور المحاضر ان رسالة محمد ﷺ وهي كلمة الله الخالق التي جاء فيها للعالمين تقتصر على هذا الوجود البشري .. فلا نهاية للفظ (العالمين) في دلالته .

دعوة لدراسة الإعجاز :

ويدعو الدكتور عبد الصبور شاهين في نهاية المحاضرة إلى الكشف عن هذا الوجه من دراسة إعجاز القرآن وتسخير الجهود وتوافر العزائم وتتابع الكتابات في بحث دلالات الالفاظ قبل نزول القرآن وقياسها إلى دلالات الألفاظ ذاتها في القرآن .. ونبه ايضاً إلى عدم توافر المعجم التاريخي للغة العربية رغم توافره في اللغات الأخرى ، والذي يمكن ان يوفر دراسة مقارنة للدلالات .. واشار إلى ان صمت الشعراء عندما نزل القرآن الكريم كان لانبهار اللسان العربي بالتراحب الهائل في الدلالة ، ولم يكن هضم ذلك سهلاً فلم يتمثله الشعراء إلّا بعد ان تغير الجو اللغوي والفطرة اللغوية والسليقة اللغوية ، وانطبعوا بالألفاظ والدلالات الجديدة ، فكان بعد ذلك فحول : المعري والمتنبي وابو تمّام ... وغيرهم .

ثم اختتم المحاضرة قائلاً :

لقد تمكن المسلمون فيما بعد من صوغ حضارتهم الإنسانية في وعاء عربي اللسان يتناقله اهل اللغات الأخرى ويترجمونه عنهم ، وتاثرت اللغات الأخرى بتطور العربية هذا ، فتطورت هذه اللغات وتوسعت مفاهيمها بتاثير ما ترجم إليها من علوم العربية ، ثم قفزت هي وتركت العربية في مرحلتها السابقة تشكو الآن من انها مقيدة مكبلة لا تستطيع ان تنطلق لتعبر عن حضارة العصر .. ويجب علينا مواجهة هذه المشكلة على مستوى المؤسسات التعليمية وهيئات التدريس في الجامعات لانهم هم المسؤولون الحقيقيون في تطوير اللغة العربية لتتسع لمفهوم العصر !

بقلم : خالد بن جدية

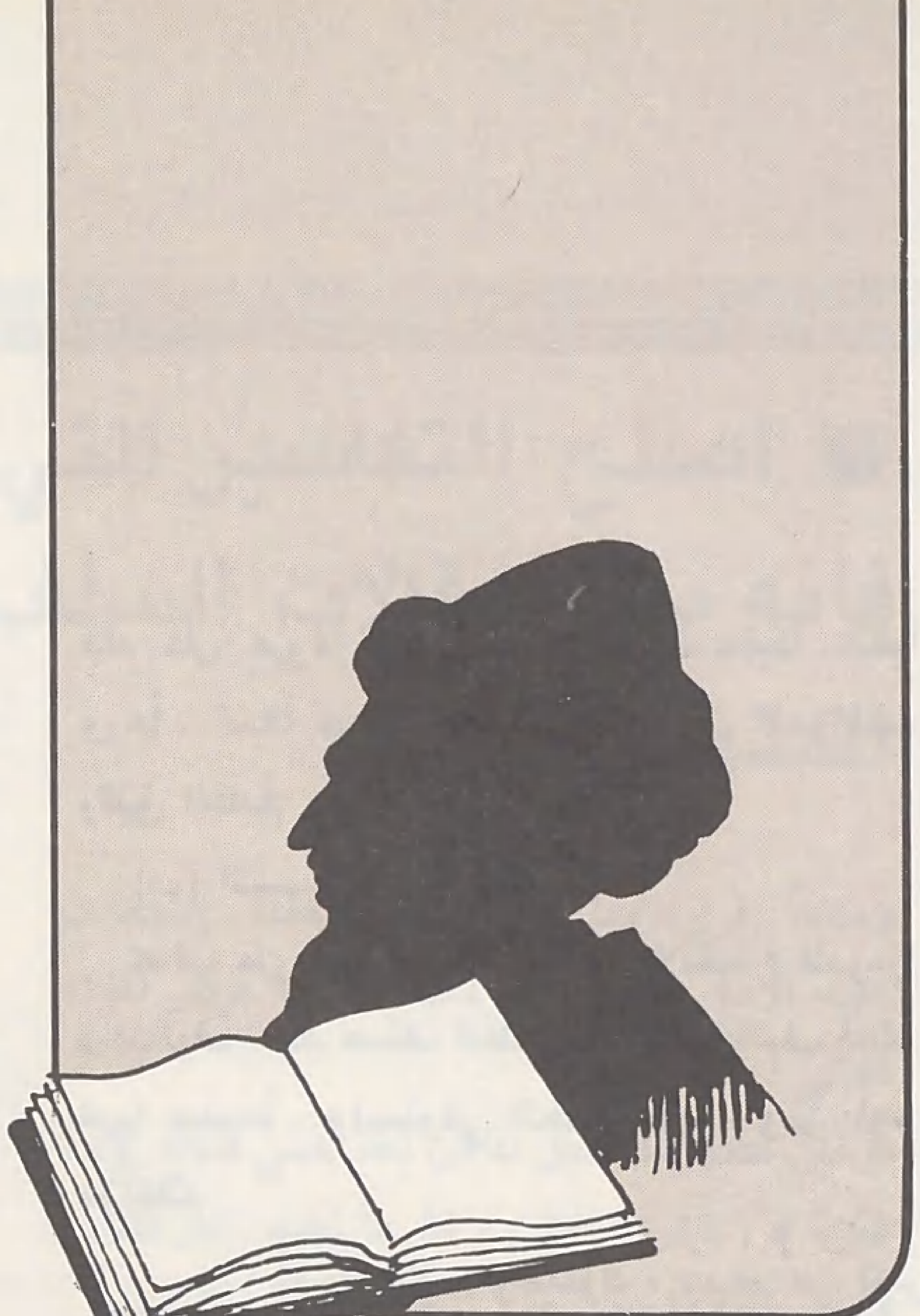

ابن جرير الطبري وكتابه جامع البيان في تفسير القرآن

عالم وكتاب

■■ لمّا كان القرآن الكريم هو دستور هذه الأمة وسر وجودها ورقيها ، فقد حَظِيَ بعناية فائقة من لدن المسلمين لم يَحْظَ بها كتاب آخر ... فقد فسره المفسرون ، واستنبط منه الفقهاء مادة فقههم ، وأدلى فيه الأدباء دلاءهم ليقفوا على بلاغته وفصاحته وسر إعجازه ، واحتج به علماء اللغة والنحو فيما استخلصوا من قواعد وأحكام ، وأعجب به الشعراء والكتاب فطفقوا يزينون شعرهم ونثرهم بأقباس من معانيه ولُمَعٍ من ألفاظه. ■■

[١] التفسير لغة واصطلاحاً

(أ) التفسير لغة :

أصل كلمة التفسير « الفَسْر » ، وتعني البيان والإيضاح ، وفي اللسان : الفسر هو البيان ، والتفسير مثله ... الفسر : كشف المغطى ، والتفسير : كشف المراد من اللغة المشكل ...

وقد وردت لفظة التفسير في كتاب الله جلَّ وعلا :

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ (الفرقان : ٣٣) .

« والتفسير لغة يستعمل في الكشف الحسي كما يستعمل في الكشف عن المعاني ، واستعماله في الأخير أكثر من استعماله في الأول . » (علم التفسير للذهبي : ٥) .

(ب) التفسير اصطلاحاً :

« وكلمة التفسير تطلق في اصطلاح علماء التفسير والمعنيين به على العلم الذي يفهم به كتاب الله ... وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمه ، وهو أيضاً علم يبحث عن مراد كلام الله تعالى بقدر الطاقة البشرية ، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان مراده ... » (علم التفسير للذهبي : ٦) .

[٢] التفسير من الوجهة التاريخية

نظراً لأهمية كتاب الله الحكيم ، فقد عني به المسلمون عناية فائقة ، وشرعوا في تفسير آياته وكشف أسراره منذ العهد النبوي ، ولا تزال عملية التفسير دائبة مستمرة ، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد مرَّ علم التفسير عبر مراحل عدة قبل أن يستقر على صورته الحالية ...

(أ) المرحلة الأولى للتفسير :

لما بعث الله جلَّ وعلا رسوله محمد بن عبد الله ﷺ إلى الناس كافة ، خصه بمعجزة خالدة هي القرآن الكريم بلغة العرب . فكان طبيعياً أن يفهم الرسول ﷺ القرآن جملة وتفصيلاً ، لكن الصحابة لم يكونوا على هذا القدر الرفيع من الفهم ، بل كان فهمهم لكتاب الله ظاهراً ، وجملة فقط ، ولم يكن تفصيلاً إلَّا للباحثين المدققين منهم ، الذين يدأبون على دراسته ، أو بالرجوع إلى الرسول ﷺ ليطلعهم على ما لم يطلعوا عليه ، وليفسر لهم بعض الذي استعصى عليهم ، ومهما يكن فهمهم فلن يصل إلى مستوى فهم الرسول الأعظم ﷺ .

وفي هذه المرحلة كانت مصادر التفسير محدودة أهمها القرآن الكريم ، وما فسَّره الرسول ﷺ ، وتفسير الصحابة بعد أن أعملوا رأيهم واعتمدوا على الاجتهاد وقوة الاستنباط ودقة النظر ... مستعينين في ذلك بأوضاع اللغة وأسرارها ، وما كان معروفاً في بلاد العرب من عادات وأخبار وقصص ، والظروف التي أحاطت بنزول بعض الآيات ، أما المصدر الثالث فهو ، أهل الكتاب الذين أسلموا ككعب الأحبار وعبد الله بن سلام ، وقد استعان بهم الصحابة المفسرون في تفسير بعض القصص القرآنية التي يجدون لها ذكراً في التوراة والإنجيل .

وقد اشتهر في هذه المرحلة : الخلفاء الراشدون خاصة علي بن أبي طالب ، واشتهر من الصحابة الكرام عبد الله بن مسعود ، وابن عبَّاس ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو موسى الأشعري ، إلى جانب أنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وجابر بن

عبد الله ، وعائشة ام المؤمنين رضي الله عنهم اجمعين ...

وقد يتبادر إلى الذهن ان التفسير في هذه المرحلة كان علماً قائماً بذاته ، لكن الصواب انه لم يكن علماً قائماً بذاته بل كان عبارة عن روايات منقولة بالإسناد كالحديث النبوي الشريف ، ومما امتاز به التفسير في هذه المرحلة قلة الاختلاف بين المفسرين والاستغناء عن الخوض العميق في آيات الذكر الحكيم ، والاقتصار على المعنى العام ...

(ب) علم التفسير في المرحلة الثانية :

لما انجلى عصر الصحابة رضي الله عنهم ، خَلَفَهم تلامذتهم من التابعين الذين كان لهم فضل كبير في إثراء علم التفسير وتطويره ، وتوضيح معاني القرآن الكريم التي لم يوضحها الصحابة ، وقد برعوا في الاجتهاد براعة كبيرة ، واعملوا رايهم إعمالاً دقيقاً وعميقاً ، وقد كان هؤلاء التابعون مبثوثين في مختلف ارجاء العالم الإسلامي . ففي مكة المكرمة قامت مدرسة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بتخريج اعلام المفسرين كسعيد بن جبير ، وعكرمة مولى ابن عباس ـ وقيل : إنه بربري من اهل المغرب ـ وطاوس بن كيسان اليماني ، ومجاهد بن جبير ، وعطاء بن ابي رباح ... اما في المدينة المنورة فقد اشتهر من التابعين زيد بن أسلم ، وابو العالية ، ورفيع بن مهران الرياحي ، وابن كعب القرظي ... اما استاذهم فهو الصحابي الجليل أُبي بن كَعب . وبعيداً في ارض العراق أسس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مدرسته العظيمة ، فنبغ فيها الحسن البصري ، وعامر الشعبي ، وعلقمة بن قيس النخعي ، ومرة الهمذاني ، وقتادة بن دعامة السدوسي ... لكن الذي عكّر صفو التفسير في هذه المرحلة دخول بعض الإسرائيليات التي تسامح بعض التابعين في إدخالها في التفسير مع بطلانها ، وخلال هذه المرحلة احتفظ التفسير بطابعه الأول مع تغيير يسير ، وعرفت هذه المرحلة ايضاً خلافات بين بعض التابعين الذين كانوا ينتصرون لمذاهبهم ، لكن ذلك كان ضعيفاً بالقياس مع من تلاهم .

(ج) التفسير في مرحلته الثالثة :

في هذه المرحلة بدات حركة التدوين لحديث رسول الله ﷺ ، وخلالها انفصل التفسير عن الحديث ، واستقل عنه[1] ، وقد قام المفسرون بجمع تفاسير الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ، وهو ما يسمى التفسير بالماثور ، وقد امتدت هذه المرحلة من اواخر عهد بني امية إلى اوائل عصر بني العباس ، وخلالها خطا التفسير خطوات عظيمة إلى ان اصبح مرتباً على المصحف ، وقد تم ذلك على يد ابن جرير الطبري الذي يعد من اكبر المفسرين بالماثور ، في حين تواصلت الخطوات الأخرى لعلم التفسير تباعاً ولا تزال متواصلة حتى عصرنا هذا . فظهرت خلال هذه المرحلة ـ التي لمّا تنته بعد ـ عدة انواع من التفسير يمكن حصرها في خمسة انواع :

(١) التفسير بالماثور[٢] .

(٢) التفسير بالراي ، أو التفسير العقلي[٣] .

(٣) التفسير الموضوعي[٤] .

(٤) التفسير الإشاري[٥] .

(٥) التفسير العلمي[٦] .

[٣] ابن جرير الطبري حياتــه وآثـاره

(أ) حياتــه :

ولد إمام المفسرين وسلطان المؤرخين وفقيه اللغة الكبير ابو جعفر محمد بن جرير يزيد بن غالب الطبري عام ٢٢٤هـ/٨٣٨م على الأرجح ببلدة « آمد » إحدى قصبات إقليم « طبرستان » المكونة من كلمتي « طبر » اي آلة حربية و « ستان » اي بلاد ، وقد نسب ابن جرير ـ وغيره من اهل طبرستان ـ للمقطع الأول فقيل له الطبري ...

عني به والده عناية عظيمة لرؤية رآها في نومه مجملها انه راى الرسول ﷺ وإلى جواره ابنه ومعه مخلاة مملوءة بالحجارة يقذف بها بين يديه . فاستفسر عن تاويل رؤياه ، فقيل له : « إن كبر نصح في دينه وذبَّ عن شريعته » . لهذا قام والده بإنشائه نشاة علمية قال عنها ابن جرير نفسه : « حفظت القرآن ولي سبع سنين ، وصليت بالناس وانا ابن ثماني سنين وكتبت الحديث وانا ابن تسع » . وقال ايضاً : « حرص ابي على معاونتي في طلب العلم وانا حينئذ صبي صغير » . ولما كانت بلدته بعيدة عن عواصم العلم والمعرفة فقد غادرها قاصداً في البداية مدينة الري ، فاخذ عن احمد بن حماد الدولابي وسلمة بن الفضل ، وابن حميد الرازي ، ودرس على ايديهم ، حتى إذا آنس من نفسه قدرة على مواصلة الكفاح في سبيل العلم ، انتقل إلى بغداد ثم إلى البصرة فالكوفة وتتلمذ على مشاهير علماء عصره كابن موسى الحرشي وابن عبد الأعلى الصنعاني وابي كريب محمد بن العلاء الهمذاني وغيرهم ... ولم يلبث ان غادر العراق إلى بيروت فالفسطاط ، ليتصل بابي الحسن السراج المصري الأديب الكبير ، وخلال هذا الكفاح الطويل في سبيل العلم استطاع الطبري ان يحصل علوماً كثيرة كالقراءات والتفسير والحديث والتاريخ والنحو والبلاغة والفقه ، وقد عرف إلى جانب كل ذلك بخلق متين ، فقد كان عزوفاً عن الدنيا ، شريفاً عفيفاً ، تقياً ورعاً ، انيقاً جميل المعاشرة ، حسن المؤانسة رقيق الطبع ...

(ب) آثــاره :

كداب من يهب حياته للعلم والانقطاع للدرس والتاليف ، فقد صنف الطبري عدة تصانيف اجاد فيها جميعاً ، واستوفى الغاية منها ، ومن اهم مؤلفاته :

١ ـ « تاريخ الأمم والملوك » ويعد من اكبر الموسوعات التاريخية الإسلامية .

٢ ـ « ادب المناسك » ويدور حول الطريقة التي تتم بها فريضة الحج .

٣ ـ « تهذيب الآثار » وهو في علم الحديث ، ويعد من روائع مصنفاته .

٤ ـ « اختلاف علماء الأمصار » .

٥ ـ « البصير في معالم الدين » .

٦ ـ « الخفيف في الفقه » .

٧ ـ « بسيط القول في احكام وشرائع الإسلام » .

٨ ـ « آداب النفوس » .

٩ ـ « القراءات » .

١٠ ـ « تاريخ الرجال من الصحابة والتابعين » .

١١ ـ « العدد والتنزيل » .

١٢ ـ « جامع البيان في تفسير القرآن » ، وله تصانيف اخرى .

[٤] منهـج الطـبري في تفسـيره الخـالد

« عرف ابن جرير بمنهجه الخاص في التفسير ، فهو إذا اراد تفسير آية من القرآن يقول : القول في تاويل قوله تعالى كذا وكذا ، ثم يفسر الآية وياتي ببرهان ما قاله بما يرويه بسند إلى الصحابة والتابعين من التفسير الماثور عنهم ، وإذا كان في الآية قولان او اكثر فإنه لا يغفلها ، ويستشهد على كل قول بما يرويه من ذلك عن الصحابة والتابعين ... » (الحضارة الإسلامية لإبراهيم يوسف ومحمد النادي : ٢٤) وهو في ذلك كله يستخلص من الأحكام الواردة في الآية ، ويذكر الأقوال ويرجح بعضها على بعض ، والطبري يستنكر الراي المستقل ، ويعتمد على الماثور من تفاسير الصحابة والتابعين ، فإن لم يجد اعتمد على الاستنباط الواعي والذكي ، وفي اثناء ذلك يذكر ابن جرير الروايات ويرجح بعضها على بعض إضافة إلى الإسناد ، ولا يكتفي بذلك ، بل ينتقد رجال الإسناد إذا شك في صحة ما اسند إليهم او ما رووه ، ويرجح في ذلك مفضلاً بعضهم على بعض ليزيل عن الناظر في كتابه وتفسيره الريبة والشك . ومما يجعل تفسيره صحيحاً

■ أصلح التفاسير التي في أيدي الناس : تفسير محمد بن جرير الطبري ، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة ، وليس فيه بدعة ، ولا ينقل عن المتهمين . ■

[ابن تيمية]

ومتيناً إقراره بما اجمع عليه العلماء واجمعت عليه الأمة . ومن امثلة ذلك انه لما عرض لقوله تعالى :

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ ﴾ (البقرة : ٢٣) ، قال ما نصه : قال قائل : فاي الناكحين عنى الله تعالى بقوله : ﴿ فَلَا تَحِلُّ ... ﴾ ؟ النكاح الذي هو جماع ام النكاح الذي هو عقد تزويج ؟ فقيل كلاهما ؛ وذلك ان المراة إذا نكحت زوجاً نكاح تزويج ثم لم يطاها في ذلك النكاح حتى يطلقها لم تحل للأول ، وكذلك إن وطئها واطىء بغير نكاح لم تحل للأول لإجماع الأمة جميعها ، فإذا كان ذلك فمعلوم ان تاويل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ ﴾ نكاحاً صحيحاً ثم يجامعها فيه ثم يطلقها . فإن قال : فإن ذلك الجماع غير موجود في كتاب الله تعالى ذكره ، فما الدلالة على ان معناه ما قلت ؟ قيل الدلالة على ذلك إجماع الأمة . » .

ومن خصائص منهجه انه يتحاشى المناقشات عديمة الجدوى والفائدة ، إلى جانب اهتمامه بالقراءات التي هو من كبار علمائها . ويتخلل تفسيره عدد كبير من الإسرائيليات لكن الطبري يورد الصحيح منها والمنسوب للذين اسلموا من اهل الكتاب ككعب الأحبار وغيره .. ، لكنه وقع في بعض الأخطاء كتفسيره لقصة زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها .

وقد اعتمد في كثير من التفاسير للقصص القرآنية على ما ورد في التوراة والإنجيل وما نقله بالإسناد عن الذين اسلموا من اهل الكتاب كقصة ذي القرنين وموسى ويوسف عليهم السلام .

اما اسلوبه فإنه متميز يتطلب تانياً وتجلداً كبيراً لتتابع معانيه واتصال بعضها ببعض . لكنه مع ذلك إذا آنسه المرء سهل عليه امره ، إلّا انه يعتريه في بعض الأوقات غموض في الصياغة والتركيب يحتاج إلى صبر غير يسير . يقول العلامة محمود محمد شاكر في مقدمة تفسير الطبري الذي قام بتصحيحه وتحقيقه وشرحه : « كان يستوقفني في القراءة كثرة الفضول في عباراته وتباعد اطراف الجمل فلا يسلم لي المعنى حتى اعيد القراءة مرتين او ثلاثاً ... وكان سبب ذلك اننا الفنا منهجاً من العبارة غير الذي انتهجه ابو جعفر (الطبري) ، ولكن تبيّن لنا ان قليلاً من الترقيم في الكتاب خليق ان يجعل عباراته ابين ، فلما فعلت ذلك في انحاء متفرقة من نسختي وعدت بعد إلى قراءتها وجدتها قد ذهب عنها ما كنت اجد من المشقة ... » (مجلة العربي ، العدد ١٢٩) .

وهذا لم يقع لمحمود شاكر وحده بل وقع للمفسرين قديماً كالسيوطي والقرطبي وغيرهما . وهذا ليس عيباً في اسلوبه بل هو ضرب من النثر الفني الجميل غير المثقل بالتكلف والالفاظ المنتقاة ، وهو اسلوب جزل يحتاج إلى قليل من الانتباه واليقظة ..

[٥] قيمـة تفسـير الطـبري ومكانتـه

اجمع العلماء قديماً وحديثاً على عظم مكانة تفسير الطبري ، قال الإمام السيوطي : « وكتابه - اي الجامع - اجلّ التفاسير واعظمها فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والاستنباط ، فهو يفوق بذلك تفاسير الأقدمين . » .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوي : « واما التفاسير التي في ايدي الناس فاصلحها تفسير محمد بن جرير الطبري ، فإنه يذكر مقالات السلف بالاسانيد الثابتة ، وليس فيه بدعة ولا ينقل عن المتهمين ... » .

وقال الإمام النووي : « اجمعت الأمة على انه لم يصنف مثل تفسير الطبري ... » .

وقال ابو حامد الإسفراييني : « لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً ... » .

ومما كتبه المستشرق « نولدِكَة » الالماني قوله : « لو كان بين ايدينا هذا الكتاب لاستغنينا عن كل التفاسير المتاخرة عليه ، ولكنه يبدو - للأسف - مفقوداً بالكلية وقد كان مثل كتاب التاريخ لنفس المؤلف نبعاً لا ينضب ، استمد منه المتاخرون حكمتهم ... » .

هكذا نلمس المكانة المرموقة التي يحتلها تفسير الطبري . والتي استحقها عن جدارة تامة لأهميته ، وللطريقة القويمة التي سلكها فيه ، فهو - إذنْ - بحق اعظم واشمل تفسير ، فقد جمع كل المحاولات التي سبقته لتفسير كتاب الله تعالى من لدن الصحابة والتابعين وغيرهم ...

[٦] ضياع تفسير الطبري وظهـوره مؤخـراً

بالرغم من ان - الجامع - قد عدّ من ادق واعظم ما صنف في التفسير فقد اندثر وضاع وفقد ، ولم تر نسخته النور ابداً خلال قرون عديدة ولم يعرفه إلّا القليل من العلماء ، ولكن الله تعالى اراد ان ييسر ظهور هذا الكتاب ليرىٰ النور من جديد ، وقد وجدت نسخته كاملة في مكتبة امير حائل . يقول العلامة محمود شاكر : « والنسخ المخطوطة الكاملة من تفسير الطبري لا تكاد توجد ، والذي منها في دار الكتب المصرية اجزاء مفردة من الجزء الأول والجزء السادس عشر ، ومنها مخطوطة واحدة كانت في خمسة وعشرين مجلداً ضاع منها الجزءان الثاني والثالث ... وهي على ما فيها تكاد تكون اصح النسخ ، وهي محفوظة بالدار تحت رقم (١٠٠) - تفسير - » (العربي العدد ١٢٩) .

ويقول الدكتور الحوفي الذي كتب عن الطبري في سلسلة اعلام العرب : « طبع - اي الجامع - سنة ١٩٢١م بالمطبعة الميمنية بالقاهرة ، وبمطبعة بولاق سنة ١٩٢٣م ، ويطبع بدار المعارف - الآن - بمصر بتحقيق الأستاذ محمود شاكر ... » (العربي العدد ١٢٩) .

---

(١) لم يتم هذا الانفصال إلّا في فترة متقدمة من المرحلة الثالثة على يد ابن ماجه : م ٢٧٣هـ ، والطبري : م ٣١٠هـ .

(٢) أشهر التفاسير بالمأثور : تفسير الطبري ، وتفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير الدمشقي : (م٧٧٤هـ) ، والدر المنثور لجلال الدين السيوطي : (م٩١١هـ) ...

(٣) التفسير بالرأي صنفان : (الرأي الجائز) كمفاتيح الغيب للفخر الرازي (م٦٠٦هـ) ، وانوار التنزيل للبيضاوي (م٦٩١هـ) وروح المعاني لشهاب الدين الآلوسي (م١٢٧٠هـ) ... و (الراي المذموم) كالكشاف للزمخشري (معتزلي) (م٥٣٨هـ) .

(٤) وهو الاهتمام بموضوع خاص من القرآن وأهم التفاسير الموضوعية : التبيان في اقسام القرآن لابن قيم الجوزية (م٧٥١هـ) .

(٥) يقوم على تأويل آيات الذكر الحكيم على خلاف ظاهرها ... واهم التفاسير الإشارية تفسير القرآن العظيم للتستري (م٢٨٣هـ) وعرائس البيان لأبي محمد الشيرازي (م٦٠٦هـ) .

(٦) وهو استخراج ما تحمله عبارات القرآن من آراء علمية وفلسفية ... اهتم بهذا الجانب حجة الإسلام الغزالي ، والسيوطي في كتابيه (الإكليل) و (الإتقان) . أما حديثاً فقد اهتم بهذا الجانب الشيخ طنطاوي جوهري والشيخ مصطفى المراغي والشيخ محمود شلتوت .

بقلم : د. محمد أحمد العزب

محاور المضمون الإسلامي للحرّية الملتزمة

[١]

■■ (الحرية الملتزمة) تعني أنها ليست انطلاقاً سائباً من جهة ، وليست كذلك تكبيلاً مقيّداً من جهة أخرى ، وإنما هي حريّة مسؤولة تنبع من إحساس إنسانها بأنه إنسان كوني مسؤول عن الأشياء والأحياء ، ومسؤول عن ذاته والآخرين ، ومسؤول عن حاضره وصيرورته ، أي أنه مسؤول عن الكون الذي وجد فيه على نحو من الأنحاء ... فالإنسان من بين مخلوقات الله كلها هو الكائن الوحيد المسؤول عن حريته ، وأيضاً عن حريات الآخرين ... وإذنْ فالحرية الملتزمة في الإسلام تنبع من نقطة بدء هي الإحساس بالمسؤولية ، لأنني ما دمت مسؤولاً فأنا حرّ ، وما دمت كذلك حرّاً فأنا مسؤول ، وهذه بعينها الوضعية المؤهلة لإنسانها أن يكون سيداً على الأرض ، لأن الإنسان الحر الملتزم هو الإنسان السيد القوي ، أي الإنسان الذي يستطيع أن يشكّل ذاته وعلاقاته ، وأن يكون علامة تحوّل في مسار التاريخ وليس مجرّد ضبابة عابرة ... وهذا هو المدى الذي ينبغي أن تنتهي إليه الحرية الملتزمة ■■

ومن هنا قرن التّكليف العقيدي المسلم بالحرية في كثير من المجالات ، لأنهّ لا تكليف لغير الحر المسؤول الذي يستطيع تحقيق ما يريد من فعل بلا حواجز وبلا أسوار .. وذلك لأن الحرية الملتزمة مسؤولة عن محاور الحركة في مناطات متعدّدة ، تبدأ من مسؤوليتها عن فعل الجوارح والقلوب والعقول ، وتنتهي إلى مسؤوليتها عن الزمان الإنساني كله والمكان الإنساني كله وما يموج به هذان الإطاران من جدل الفعل والتحقق وصراع الأضداد ... أي أنها مسؤولة عن الحب في الأرض ، وأيضاً عن الحضارة في الأرض ، ولن يستطيع حمل أعباء هذه الحريَّة سوى إنسان متعال على قوانين الكبح والإحباط .

الفعل .. والفاعل

والذلك فالحرية الملتزمة تولّد فينا إحساساً بالقدرة على التغيير والإبداع والحسّ بالآخرين ، وإحساساً آخر بضرورة أن نستشرف نوعاً من الفعل الفاضل قبل أن نفعله ، لأن الفعل الحرّ صورة الفاعل الحرّ الذي لا يستطيع تزييفه أو إلحاقه بمصدرٍ آخر سواه ، وإحساساً آخر كذلك بمحاولات تقويم ما أنجزناه من فعل بعد أن يتحقق هذا الفعل ، لنرى على ضوء هذا التقويم مسافة اقترابنا أو ابتعادنا عن جوهر المثال الذي نتوق إلى معانقته أو حتى إلى محاذاته .

وليست الحرية الملتزمة انكفاء على الذات ، ولكنها تجسيد لموقف فاعل لتشمل حتمية تحريض الآخرين على الخير ، من خلال ما نمارس من مثال سلوكي مسؤول أولاً ، ثم من خلال دفع الآخرين في اتجاه ما نؤمن نحن بانه يحقق فيهم إنسانية الإنسان وعقيدية المؤمن ثانيا ، ثم من خلال طموحنا الذي لا يحدّ إلى أمل أن يصبح الوجود كله حرّاً ومسؤولاً ، فلا يعتدي إنسان على حريَّة إنسان ، ولا شعب على حرية شعب ، ولا حضارة على حرية حضارة ، إلاَّ من خلال إرادة التمكين للخير والحق وكما أرادها الله .

مداخل الحرية الملتزمة

والإسلام في تجسيده لعناصر الحرية الملتزمة يتردد بين محاور محدّدة ، تضع هذه الحرية في مناطها الطبيعي الذي يغطي عديداً من الأبعاد : فالعمل المسؤولية والمسؤول معاً مدخل إلى الحرية الملتزمة .. والوعي بان طاقاتنا ومواهبنا وإيقاع خطواتنا على الأرض مسؤوليتنا مدخل إلى الحرية الملتزمة .. وتحديد حريّاتنا في إطار التمكين لحريات الآخرين أن تمارس وجودها الفاعل مدخل إلى الحرية الملتزمة .. وإعطاء الحرية مضمونها العملي من جهة ، والشمولي من جهة أخرى مدخل إلى الحرية الملتزمة .. وتوزيع مناطق المسؤولية توزيعاً يفضي في النهاية إلى تكامل منتج مدخل إلى الحرية الملتزمة .. ورفض أن نكون مسؤولين فقط عن ذواتنا ـ لأن ترشيد الآخرين مسؤوليتنا كذلك ـ مدخل إلى الحرية

الملتزمة .. وإعلان المقاومة السلبية - إذا لم نستطع غيرها - مدخل إلى الحرية الملتزمة .

وهكذا تتواشج النظرة الإسلامية إلى طبيعة ما تهدف إليه من تحديد قضية (الحرية الملتزمة) من خلال هذا التنوع الشامل الذي يسدد مفرداته في اتجاهات متعددة حتى يكون في النهاية قادراً على ترشيد كلّ الاندفاع الحياتي والبشري ، وضبطه في قوانين الفهم عن هذه الحرية الملتزمة التي لا تتخلى عن حكم مسيرة الاجتماع الإنساني من جهة ، ولا تتعسف بالجبْر في حكم مسيرة هذا الاجتماع الإنساني من جهة أخرى ، وإنما تعادل من خلال الفهم الراشد عن حكمة الله في الأشياء بين الإطلاق والتحديد ، حتى تعطي الحركة الحياتية قدرتها المنضبطة على الاندفاع العاقل في شتى ضروب الاجتهاد والإبداع .

ويقع كثير من الخالطين في خطأ الفهم عن حكمة الله في هذا القانون المسدّد ، فيحاولون تحكيم معنىً واحد من هذه المعاني المتعددة والمتكاملة دون سائر المعاني ، ومن هنا يجرّون الواقع الإسلامي إمّا إلى البطش المستبد ، أو الفوضى السائبة ... ولو أنهم حاولوا تحكيم القضية كلها لعرفوا طريقهم إلى تناغم حياتي رشيد ، يرفض الفوضى لأنها قانون ضدّ كل القوانين ، وأيضاً يرفض الاستبداد لأنه عدوان على طاقة الإبداع وتحضير الحياة .

العدل الإلهي

وبدهي أن القرآن الكريم يجسّد الحرية الإنسانية تجسيداً لا يحتمل مزيداً من الإضافة ، ومع ذلك ترتعش خطواتنا أمام فهم هذه الحريّة ، كأنما هي ضرب من الاحتراق الكامن في طبائع النصوص ... وفوق تشديد النصّ القرآني في اتجاه تأكيد الحرية الإنسانية وترشيدها مباشرة يتوجه هذا النص القرآني إلى ترهيب الإنسان تارة وإلى ترغيبه تارة أخرى ، مما يوحي بأن هذا الإنسان يملك حريّة أن يقول : نعم ; وأيضاً حرية أن يقول : لا ; ومن خلال امتلاكه لحرية القبول والرفض يصبح في اللحظة نفسها مسؤولاً عن اختياره ، ومثاباً أو معاقباً على نوعية هذا الاختيار ... وهذا هو العدل الإلهي في أنصع مظاهره ، لأنه يرتب النتائج على مقدماتها ، والجزاءات على الأفعال ، ومحاكمة الإرادة على امتلاك حسّ الموقف والمسؤولية والاختيار الطليق .

تصبح الحرية هنا التزاماً ، والالتزام يصبح حريّة ، وتتلاشى المسافات المفتعلة بين طاقة الإبداع في الإنسان ، وطاقة التلقي عن حكمة الله في الكون والحياة والإنسان ... ومن هذه النقطة بالذات نستطيع أن نفهم لماذا كانت الحركة الإنسانية المسلمة كلها - أي التي ارتضت أن يكون اختيارها في جانب الحق والخير - عبادة وعملاً في لحظة معاً ، لأن العمل عبادة جليلة ، ولأن العبادة عمل جميل ، ومن خلال تحقق الجميل والجليل في الكون الإنساني يمكن أن تقبض الحياة على رشادها الدائم ، وأن يتنفس الإنسان من خلالها هواء الحب والجدْوى ، وأن يعرف الحب طريقه إلى الواقع الجدلي ، فلا تثور في هذا الواقع تناقضات مفترسة ، ولا تنشب فيه أدواء خاتلة ، ولا تطمس وجه المستقبل في عينيه سحابات حزن أو سحابات اقتتال .

وإذنْ فالحرية الملتزمة مسؤولية حاملة لجدارتها ، وقدرة قادرة على الإبداع والإمتاع ، وفلسفة متكاملة وليست متناقضة ، وقانون مسدّد إلى ضبط الواقع في المنتصف الإيجابي بين الفوضى والاستبداد ، وصدور ذاتيّ ، نعم ، ولكن من خلال الانتماء المجذّر إلى إرادة الله الخالق !!

■ إنَّ خيانة الله تتجسد في هدر تعاليمه ، وخيانة الرسول ﷺ تتجسد في رفض إمامته ، وخيانة أماناتنا تتجسد في تبديد طاقاتنا وإبداعاتنا في مسارب العبث أو في مسارب العناد . ■

[٢]

تحديد قرآني

وإذا حدّدنا محاور النظرة الإسلامية لمضمون (الحرية الملتزمة) في العمل المسؤول والعمل المسؤولية معا . وفي الوعي بأن طاقاتنا ومواهبنا وإيقاع خطواتنا على الأرض مسؤوليتنا نحن . وفي تحديد حُريّاتنا ضمن إطار التمكين لحريات الآخرين أن تمارس هي الأخرى وجودها الفاعل . وفي إعطاء الحرية مضمونها العملي من جهة والشمولي من جهة أخرى . وفي توزيع مناطق المسؤولية توزيعا يفضي في النهاية إلى تكامل منتج . وفي رفض أن نكون مسؤولين فقط عن ذواتنا لأن ترشيد الآخرين مسؤوليتنا كذلك ، وفي إعلان المقاومة السلبية إذا لم نستطع غيرها ... إذا حدّدنا محاور النظرة الإسلامية لمضمون (الحرية الملتزمة) في هذه الأبعاد ، فإنّ النص الإسلامي يمنحنا في هذا الصدد تأكيدا من وراء تأكيد . ويمكن إذا أخلصنا نيّة الرحيل معه أن يضيف إلى فهمنا فهما ، وأن يعمق من منظورنا مستوىً بعد مستوى .

إن العمل المسؤولية والمسؤول يحدده القرآن الكريم هذا التحديد القاطع :

﴿ وقل اعْملوا فسيرى اللّهُ عملكُمْ ورسُولُهُ والْمُؤْمنُون وستُردُّون إلى عالم الْغيْب والشّهادة فيُنبّئُكُم بما كُنْتُم تعْملُون ﴾ (التوبة : ١٠٥) .. لأنّ هذا العمل مسؤولية إنْسانه أمام الله ، ومسؤول كذلك عن توجّهه مع إنسانية الإنسان ، أو ضدّ إنسانية الإنسان .

والوعي بأن طاقاتنا ومواهبنا وإيقاع خطواتنا على الأرض مسؤوليتنا يجسّده القرآن الكريم هذا التجسيد الحيّ :

﴿ يأيُّها الّذين آمنُوا لا تخُونُوا اللّه والرّسُول

محاور المضمون الإسلامي للحرّية الملتزمة

وتخُونُوا أمَانَاتِكُمْ وَأنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنفال : ٢٧) .. لأنَّ خيانة الله تتجسد في هدْر تعاليمه ، وخيانة الرسول ﷺ تتجسد في رفض إمامته ، وخيانة أماناتنا تتجسد في تبديد طاقاتنا وإبداعاتنا في مسارب العبث أو في مسارب العناد .

وتحديد حريَّاتنا ضمن إطار التمكين لحريات الآخرين أن تمارس هي الأخرى وجودها الفاعل ، نستشفه من حديث النبي ﷺ حيث يقول : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلَّا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .. لأن تطويع الذات لإرادة الجمع الإسلامي تناغم عقيدي منشود ، ولأن إعطاء الآخرين حرية الرفض لعشوائية الأمر يعطينا نحن كذلك حرية الرفض إذا أُريد لنا أن نكون مجرد سمَّاعين للكذب .

وإعطاء الحرية مضمونها العملي والشمولي يعكسه الحديث النبوي الشريف : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن علمه ما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه » .. لأن الحرية الممنوحة لنا ليست مجرد هتافات في مظاهرة ، وليست كذلك وضعية مرحلية ، وإنما هي مسؤولة عن الحياة وعن مضمون هذه الحياة ، أي عن كل جوانبها الفكرية والمادية ، وحتى عن كياننا الجسدي المنوط به كل تلك التبعات .

وتوزيع مناطق المسؤولية توزيعاً يفضي إلى التكامل المنتج يوضحه قول النبي ﷺ : « كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته » .. لأن المسؤولية الحرّة ليست تحميلاً للإنسان ما يطيق وما لا يطيق ، وإنما هي مسؤولية جماعية ينهض فيها كل إنسان بما يحتازه من إمكان وقدرة على الفعل ، حتى لا تتداخل أو تتعارض أو يرمي بعضها بأعبائه على بعض ، فينتفي التكامل ، ويتخلى كثير من القادرين عن حمل رسالتهم وأداء دورهم المنوط بهم .

ورفض أن نكون مسؤولين فقط عن ذواتنا لأن ترشيد الآخرين مسؤوليتنا كذلك يبرزه القرآن الكريم على هذا النحو الصادع : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة : ٧٨ - ٧٩) .. لأن رؤيتنا الغبيّة لانحدارات توشك أن تقع وأن تقبض على عنق الحركة الوجودية المسلمة - دون أن نرفع في وجهها كل رايات الرفض والمصادرة والتبشيع - مقدمة سيئة لتاريخ من التخلي المفضي إلى حتمية الانهزام .

وإعلان المقاومة السلبية - إذا لم نستطع غيرها - يتحدد في قوله تعالى : ﴿ وقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ في الْكِتابِ أنْ إذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بها وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا في حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ ﴾ (النساء : ١٤٠) .. لأن مجرد الإصاخة إلى صوت الانفلات إمَّا أن يكون موافقة صامتة ، أو تمريراً متعمداً ، والقرآن الكريم لا يريد لأتباعه أن يكونوا طائفة من هاتين الطائفتين ، فإذا لم يستطيعوا تحويل مجرى الانفلات وردّه إلى صواب الضبط ، فلا أقل من أن يرفضوا سماعه والجلوس إلى سدنته حتى يخوضوا في حديث غيره .

وهكذا تتكامل دوائر (الحرية الملتزمة) وتعمل كل دائرة منها على جبهتين في وقتٍ معا : جبهة إنجازها الذاتي من جهة ، وجبهة تكوينات الظاهرة الكلية من جهة أخرى ، ومن هنا أكدنا منذ البدء أن تبعيض النظر إلى قضايا الفكر الإسلامي ، يجني في كثير من المناطات على المعنى الكلي لحركة الفهم الراشد عن مضمونه النهائي ، أو يحيله - على الأقل - إلى نثر ممزق من النظرات التي لا تربطها نظرية متكاملة ، والفكر الإسلامي بعيد عن هذه الركاكة العاجزة بما لا يقاس من المسافات .

وإذا كان اجتهاد العقل البشري في فهم ظواهر الفكر يخضع بالضرورة لمدى تراحب المدّ الحضاري ومدى انحساره على السواء ، فإن اجتهاد العقل المسلم في طور نهوضه التَّاريخي ، كان يعطي للحرية الملتزمة مفهومها الشمولي ، الذي كان يطمح من خلاله إلى تطويع الأرض كلها لمضمون إسلامه المخلِّص ، وقهر الموج واليابسة في سبيل الوصول إلى جغرافية لم تطأها قدماه بعد ، ليزرع على روابيها راية التوحيد ، ويجلجل في وعيها بأصداء الأذان .. وحين انحسر المدّ الحضاري المسلم قبع اجتهاده العقلي في مجرد الحفاظ والمقاومة .. وحين انحسر أشد ، تراجع - للأسف - وبعثر من يديه آلاف الكنوز !!!

■ الحرية الممنوحة لنا ليست مجرد هتافات في مظاهرة ، وليست كذلك وضعية مرحلية ، وإنما هي مسؤولية عن الحياة وعن مضمون هذه الحياة . ■

ياليت

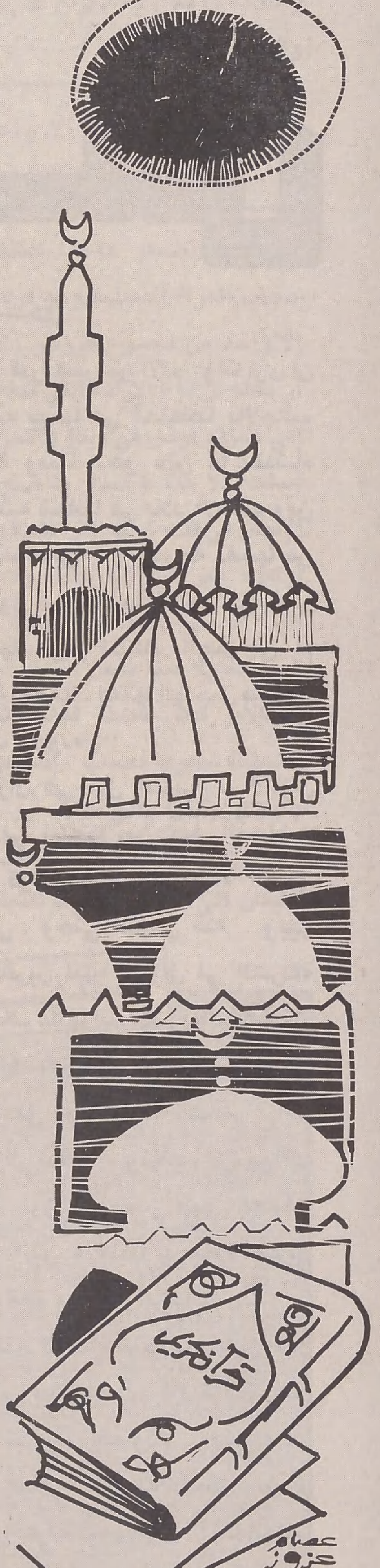

عَقُمَتْ عقولُكمُ بني الإسلامِ … فغدَوْتمو أُعجوبَةَ الأيَّامِ
النَّاسُ قد وطِئوا الكواكِبَ وَامْتَطَوْا … مَتْنَ الأثيرِ إلىٰ المدىٰ المُترامي
وَتفنَّنوا في صُنْعِ كُلِّ عَجيبَةٍ … لَمْ تَجْرِ قطُّ بعالَمِ الأوْهامِ
ووَقَفْتُمو في حَيْرَةٍ لا تَفْهمو … نَ وَتُنْكِرونَ علىٰ ذَوي الأفْهامِ
كُلُّ الَّذي أعْدَدْتُموهُ إلىٰ العُلىٰ … دَعْوىٰ مُزَوَّرَةٌ وَلَغْوُ كَلامِ
وَمُذَكِّراتُ عَظائِمٍ جاءَتْكُمو … مِن عالَمِ الأمْجادِ إرْثَ عِظامِ
لَوْلا جَليلُ عَطائِهِمْ لَمْ تَمْلِكوا … حَقًّا يُصَنِّفُكُمْ مَعَ الأقْوامِ
إنّي لأنْظُرُ في مُحيطِ وُجودِكُمْ … فأكادُ لا أُلْفي سِوىٰ الأسْقامِ
حَتّىٰ سِلاحُكُمو وجُلُّ مَتاعِكُمْ … مِن صُنْعِ أفّاقينَ دونَ ذِمامِ
ونِظامُ عَيْشِكُمو وشِرْعَةُ حُكْمِكُمْ … نُسِجا بأيْدي كافِرينَ طَغامِ
تَتَسابَقونَ إلىٰ اقْتِفاءِ خُطاهُمُو … في كُلِّ مُوبِقَةٍ وكُلِّ أثامِ
حَتّىٰ لَقَدْ أصْبَحْتُمو بَيْنَ الوَرىٰ … مَثَلَ الضَّياعِ عَدُوَّ كُلِّ نِظامِ

○ ○ ○

واحسْرَتاهُ عَلَيْكُمو مِنْ أُمَّةٍ … طاشَتْ مَدارِكُها بِكُلِّ مَقامِ
تَنْتاشُها سُحْمُ الخُطوبِ ولا تَني … في لَهْوِها سَكْرىٰ بِغَيْرِ مُدامِ
يَبْكي الجَمادُ لَها وَتَضْحَكُ غَفْلَةً … عَمّا يُحيطُ بِها مِنَ الآلامِ
وَتَكادُ تَبْذُلُ كُلَّ طاقَتِها على … تَبْديدِ ثَرْوَتِها مِنَ الأرْحامِ
وَعَدُوُّها يَجْتاحُها قُدُماً ولا … يُلْفي لَدَيْها غَيْرَ الاسْتِسْلامِ
وَيُذِلُّ عِزَّتَها ، ولا رَدُّ لَها … إلّا الشَّكاةَ لِشامِتينَ لِئامِ
وَيَصولُ كالعِمْلاقِ فَوْقَ تُرابِها … وَهُوَ الَّذي ما زالَ في الأقْزامِ
وَتَقولُ - في صَلَفٍ - بِأنَّ خُضوعَها … ما كانَ قطُّ سوى التِزامِ سَلامِ
يا لَيْتَها بالجِدِّ لاذَتْ مَرَّةً … فَتَذَكَّرَتْ لُغَةَ الكِفاحِ الدّامي
وَقَضَتْ على عَهْدِ الهُراءِ بِوَثْبَةٍ … تَذَرُ العَدُوَّ مُنَكَّسَ الأعْلامِ
حَتّىٰ يَضيقَ بِوَجْهِهِ رَحْبُ الثَّرىٰ … وَنَخوضَ مِنْ دَمِهِ بِبَحْرٍ طامي
فَنرُدَّ بالثَّأرِ العَظيمِ كَرامَةً … أضْحَتْ بِفَضْلِ الغَدْرِ بَعْضَ حُطامِ
وَإذا بِإسْرائيلُ - بَعْدَ جُنونِها … وَهَوانِنا - حُلُمٌ مِنَ الأحْلامِ
يا لَيْتَ نَخْوَةَ أُمَّتي تَعْتادُها … فَيَعُودَ سالِفُ عَهْدِها البَسّامِ

شعر : محمد المجذوب

رسالة من الأندلس

بقلم : أم عبد الرحمن

■■ « كنت في حالة بائسة وأنا أراقب ابنتي الرضيعة ، وهي بين يدي الممرضات ، وقد اصطحبتها في الرابعة فجراً إلى المستشفى في حالة إسعاف ، وقلب الأم يكاد ينخلع خوفاً وألماً ، حين فاجأتني - وأنا في هذه الحال - أسئلة الممرضات قائلة : مسكينة هذه الطفلة ، متى ستجبرونها على مثل هذا الذي تلبسينه ؟ في الثانية عشرة أم في الخامسة عشرة ؟!!

أدهشني الحال الذي لا يتوافق مع المقال ، وأسعفني ضيقي منهن بالإجابة : أنا لا أجبر ابنتي على عمل شيء معين ، لكنني أمتلك الحق كما أظن في أن أعلم أولادي دينهم الذي ينبغي عليهم التزام أوامره ، كما تعلمون أولادكم النصرانية ، وكما يعلم الصيني أولاده دينه ، فهل من اعتراض على ذلك ؟!!

قالت : لا .. ولكنك قبيحة جداً في هذا اللباس !!

ابتسمت وقلت : أما القبح فلا أظن أن للثوب علاقة فيما تقصدين ؟!!. »

متى نكسر طوق العادات الفكرية ؟

تذكرت هذه الحادثة بالذات وأنا أقرأ رسالة الأخت (هبة) حول الحجاب ، وشعرت قدراً كبيراً من الألم ، وأنا أرى أن ما نعانيه يومياً في احتكاكنا بالأجانب عنَّا لغة وديناً ، هو عين ما عانيناه وما يعانيه شبابنا في بلاد الإسلام ومن أبناء المسلمين !! وبالدرجة نفسها من قلة الذوق ، وإقحام الأمور في غير مواضعها ، ولو اختلف الحال من أم مشغولة بإسعاف ابنتها إلى جيل مشغول بإسعاف وجوده !!!

لا نزال في أول الطريق .. لا نزال نراوح في أماكننا بين جهل المسلمين بأبسط قواعد شرف الانتماء الديني والوطني ، وحتى القومي منه .. وبين كره الكافرين لنا ! لا نزال في الشرنقة التي نخاف عليها التمزق ، كما نخاف على أنفسنا رقصة الموت ونحن نتحول إلى فراش يحلق تحت أشعة الشمس .

لا نزال ندافع ، ونهاجم من مواقف الدفاع ، دون أن نكسر طوق العادات الفكرية التي ما فتئنا نرددها مفكرين وكتاباً وقادة ودعاة وأفراداً .

إن هذه الرسالة تتحدث بلسان جيل عريض من أبنائنا يطلب أول ما يطلب من خلالها تبريراً لقعوده .. لضياعه ، ويطلب إلينا أن نقول له : معك الحق كل الحق في إعراضك ودعاواك !! كما أنها في الوقت ذاته تمثل هذه الرغبة الملحة في الصدور والتي تدعو هؤلاء الشباب إلى العودة إلى أصول الفطرة الطاهرة فيهم .

كلمـة

عـودة الغائـب

□□ في عصر ما بعد الاستعمار ظلَّت صورة المراة المسلمة غائبة إلى حدٍ بعيدٍ عن الوجود والفاعلية في المواقع التي حددها لها الإسلام من خلال طبيعتها ووظيفتها ، لأن الاستعمار استهدف ، اول ما استهدف ، المراة في المواجهة مع العالم الإسلامي ، واستطاع تحقيق قدرٍ من النجاح في اختراق هذا الثغر الخطير من جبهة المسلمين ، ذلك لأن المراة سريعة التاثر بطبيعتها من جهة ، ولأنها أُهملت إهمالاً يكاد يكون تاماً بسببٍ من جهل او اعراف وعادات وتقاليد موروثة ليست من طبيعة الإسلام في شيء ، ومع ذلك جُعلت من الإسلام ؛ ولأنها لم تنل حظَّها من الرعاية والعناية والتعليم إلى درجة اعتبر معها تعليم المراة المسلمة مفسدة لها ، وانه سبيل الغواية والشيطان ، والأولى : منعها من العلم سداً لذريعة الفتنة ، فكانت النتيجة ان خسر المسلمون الجولة ، ولا يزالون يكتوون بنارها إلى اليوم ، ذلك ان الكثيرات من النسوة اللواتي سلكن طريق التعليم لم يكن لهن نصيب كاف من الإسلام ، ولقد ادرك المسلمون - كعادتهم - متاخرين خطاهم في منع النساء من المساجد والمدارس ، فارسلوا بناتهم لتلقي العلم والتربية على ايدي نساء تابعن رسالة المستعمر ، ومارسن تضليل الطالبة المسلمة باسم الحرية والحضارة والتقدم .

ولا بد من الاعتراف باننا كمسلمين خسرنا الجولة تماماً ، فجاءت نسبة كبيرة من المعلمات والمتعلمات لا نصيب لها من السلوك والخُلُق الإسلامي ، ولهذا خطره الذي ما نزال نتجرع غصصه ، ومما يبشر بالخير العميم - إن شاء الله - ان من ابرز ملامح الصحوة الإسلامية اليوم : البعد الذي اخذته المراة المسلمة في إطار هذه الصحوة ، واستشعارها بالتحدي الذي ايقظ حسَّها ، وصلَّب عودها وخُلُقها ونمَّى شخصيتها ، مما ترسب في نفسها من عقدة العجز عن المواجهة والشعور بالهزيمة الداخلية ، فبدات خطواتها الإسلامية بثبات وثقة ، واثبتت تفوقها في ميادين العلم والمعرفة والأسرة متاسية باسماء وخديجة ونسيبة رضوان الله عليهم . □□

ولعلها كذلك تقدم صورة حية لصراع ممل مكروه لا مبرر لـه ولا داعي ، صراع طفلين على تفاحتين متساويتين بالوزن ومتماثلتين في الشكل !! لا يجدان شيئاً يفعلانه ويملآن به الفراغ سوى العراك والمشادات !!

الحجاب ليس إلَّا واحداً من مجمـوع فروض

ولعلَّنا نضطر ها هنا للتذكير بأن حجاب المرأة المسلمة وهو فرض ، ليس إلَّا واحد من مجموع فروض ، كما علينا أن نعلم أن قوة الإرادة التي تدفع المسلم إلى التزام فرض في دينه والحرص عليه ليست إلَّا حباً شديداً يتأجج بشعلة الإيمان في قلب عرف الله ، فاندفع لتطبيق أوامره غير مبالٍ بترغيب ولا ترهيب ، حيث تصغر الدنيا في عينيه ولا يرى السعادة إلَّا فيما يفعل .

فالأمر ليس قطعة قماش تستر بها المسلمة شعرها فحسب ، إنما هو انقلاب جذري يطرأ على التصور والعقل والشعور والعاطفة ، ثم يصل بازدياد الإيمان إلى درجة السلوك المطابق .

إن امرءاً عرف الله ووقف بين يديه يصلي ، لا بد أن يقوده هذا الطريق إلى استكمال صور الإيمان كلها في نفسه وحياته ولو طال الزمان ، ويتعثر به القدم حيناً ، وينهض آخر ، ولكنه سيصل بإذن ربه .. اطمئنان مرة واحدة في الصلاة كفيل أن يهز هذا القلب ويعلقه بالله فيرى الحق حقاً ، ويرزقه الله اتباعه .

أما تلك الدعاوى التي وصفتها الأخت بأنها (باطلة) فأحب أن أضيف إلى ذلك ، أنها غاية في السخف ، ولا تستحق أن يناقشها أحد من الإخوة والأخوات ، لأن موضوع الحجاب بالذات ، صار البحث فيه من فضول القول ، فلقد استنفد اساتذتنا والباحثون المسلمون في جهدهم وجهادهم ، بل لعلَّ قراءة كتيب صغير كفيل أن يدفعها إلى التزام الحجاب دون مشكلات ولا تردد ولا كثير همٍّ وقلق .. ولدينا من الهموم اليوم ما يكفينا ـ لو أردنا ـ لنشتغل بأنفسنا وبكتاب الله وبها ، ليلاً ونهاراً ، ولدى المسلمين من المشكلات الفكرية والسلوكية ما يجعل اشتغالهم ببحث مثل هذه القضية ترفاً فكرياً لا مبرر له ، وتضييعاً لجهود ، قد قدم أضعاف أضعافها من قبل رجال عملوا بكل طاقاتهم الصادقة العظيمة ! ولكننا أمة لا تقرأ ، ولا تريد أن تقرأ ، ولا تعرف رجالها ومفكريها .. ولا تريد أن تعرفهم ، ولا تحب المكتبات ولا تريد أن تعرف طريقها !!

وإن كان عندنا الوقت كل الوقت .. لاستيعاب مسلمة ـ وكل مسلم ـ تريد أن تعرف ربها بصدق ، تفتحت أزاهير النفس اللوامة في حناياها فأراد الله بها خيراً بإذنه ..

المرأة المسلمة تجاوزت مرحلة الدفاع

وفي مدار التعليق على تلك الدعاوى لا بد أن نذكر لكل شبابنا أن سيرة الفتاة المسلمة الملتزمة اليوم مشرقة ، تضع أمام أعين المسلمين الحجة القوية على أن المرأة المسلمة استطاعت أن تفعل الكثير بعد عصور يعتبر فيها حال المرأة المسلمة ـ بالنسبة للإسلام ـ مخزياً مخجلاً ـ ولقد بتّ أعتقد ـ أن ما وصلت إليه الأمة في كل المجالات من تدهور ليس

مكتبـــة الأســـرة

العدد الرابع من « أروى »

●● صدر العدد الرابع من مجلة « أروى » للأطفال عن « الاتحاد الثقافي الإسلامي ـ باريس » وقد احتوى إلى جانب الأبواب العلمية والتاريخية والقصص المصورة والمسلسلة ، ونادي المنوعات : من تاريخ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : قصة سليمان عليه السلام . ومن السيرة النبوية : آمنة بنت وهب . ومن التاريخ الإسلامي : غزوة بني المصطلق . ومن عظماء الإسلام : سعد بن أبي وقاص . كما جاء فيه الحديث عن عمليات النقل وتطورها ، الانتقال على الماء إلى مكوك الفضاء ، من خلال قول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُم فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ ، وعن الزجاج وكيفية صناعته ، والأنف حاسة الشم ...

وفي هذا العدد طرحت المجلة للمرة الأولى مسابقة « أروى » الإبداعية للصغار في خطوة نحو مشاركة المحررين الصغار في تحرير مجلتهم . ●●

رسالة من الأندلس

إلَّا نتيجة اقتضاها حال الأم المسلمة التى ربّت هذه الأجيال وهي على ما هي عل... من الظلم والجهل والتقوقع والإهانة ، وذلك ناشيء من مغالاة في الدين وتنطع أو من الضرب بتعاليم الإسلام عرض الحائط وعدم التزامها !!

فبتنا نسمع عن أخوات تخرجن في الحركات الإسلامية في بلادنا يحاضرن عن الإسلام في أمريكا ، وبتنا نرى طبيبات أمهات داعيات إلى الله في الوقت ذاته ، وأصبحنا وفينا أخوات استشهدن في سبيل الله في بلادنا وفي أوروبا ، فإذا ما صادف الأمر فتاة لبست الحجاب لتستر إثماً ارتكبته ، فلا بأس عليها إن كان قصدها التوبة ، ومن يتقبل التوبة من عباده إلَّا الله ؟ ومن يقيل عثرات الآثمين ؟؟ ولكن كم هي نسبة هؤلاء في مجموع الحركة الإسلامية الناشئة اليوم والبارحة .. حتى نستطيع أن نجعل من الشواذ قاعدة ؟!! ولا أتحدث عن مسيئة تقصد الإساءة لأن لمثل هذه مواقف تردعها أو تفصلها من الحركات الإسلامية !! وحتى لو لم يتعلق الأمر بحركة إسلامية ، فما الذي يدعوني لإحراق داري إذا رأيت في طرف المدينة دوراً تحترق !!!

العجز .. هو الوقوف عند حدود الشكل

تلك واحدة .. وأما أن المحجبات رجعيات ومتخلفات ، فهذا الموضوع بحاجة إلى تحديد مفاهيم الكلمات التي نطلقها على المسميات ، والمسألة نسبية ، فالرجعية نحو ماذا ؟ والتقدمية إلى أين ؟ والتخلف موضوع يرتبط بالشيء الذي نحن متخلفون بالنسبة إليه !! ولقد صار موضوع كون الفتاة المحجبة الملتزمة على درجة كبيرة ومتميزة من الثقافة ـ في بلادنا ـ مفروغاً منه !! بل لا نكاد نرى أية نوعية أخرى من الفتيات تجاري الفتيات المتحجبات في الثقافة كماً ونوعاً .. ولن نتحدث عن الحوافز والمثبطات التي تقدم إلى كلا النوعين من بناتنا المثقفات ، فواقعنا يبكينا وحالنا لا يسر !!!

وكما قلت لإحدى الطبيبات الإسبانيات وهي تستنكر اجتماع الثقافة والدراسة العلمية والحجاب : إن التخلف عينه كامن في عدم القدرة على استيعاب تطلعات إنسان القرن العشرين !! إنه يبحث عن أمن ، عن ملجأ ، عن إله .. فلماذا أنت معجبة أشد الإعجاب بغاندي الذي دعاه دينه لخلع ملابسه في الحياة وحرق جثته بعد الموت ، وبشهود يهوه الذين مات أحدهم أمامك وهو يرفض نقل الدم تسايراً مع تعاليم دينه ، ثم تستغربين أن أتمسك أنا بديني وألتزم تعاليمه وليس فيما أفعل حرقاً ولا قتلاً للنفس ولا حماقات لا معنى ولا ضرورة لها !!!

حجاب المناسبات وحجاب الالتزام

أما قضية الزواج والزوج اللائق ، فهما أمران يسيران بقدر الله ، ومسألة الزواج تحكمها في الواقع أمور شخصية واجتماعية وأسرية ، والفتاة في بلادنا ـ سواء أكانت محجبة أو غير متحجبة ـ يتعلق موضوع زواجها بالتقاليد التي تسود المجتمع الذي تنتمي إليه ودرجة وعيه وثقافته ، وأذكر على سبيل المداعبة هنا قريبة لي كانت دون حجاب فرأت أن كثيراً من المحجبات قد تزوجن في آن ، فلبست الحجاب ، ثم جاءها خاطب يريدها دون حجاب ، فخلعته ، فعدل صاحبنا عن الزواج بعد أن رآها دون الحجاب ، فعادت ولبسته ، فحدث أن خاطباً آخر ترك خطبتها عندما علم أنها رفعت الحجاب ، ووضعته أكثر من خمس مرات في ثلاثة أشهر ... ولقد تركتها ـ ولا تزال حتى تاريخه ! ـ ترفعه عند اللزوم ، وتضعه حين الطلب ، فلا هي تزوجت ، ولا هي احترمت نفسها ، ولا هي صاحبة موقف تحمد عليه في الدنيا ، ولا في الآخرة !!

وأما أن « بعض الفتيات لبسن الحجاب ولم يلتزمن آدابه ، الأمر الذي ساهم في تشويه سمعة المسلمات » .. ـ كما قالت الأخت ـ فإنني أقول لك يا أختي : إنه لا بعضهن ، ولا كلهن لو اجتمعن ، بقادرات على تشويه سمعة مسلم ولا مسلمة ، نحن ـ يا أختي ـ اللواتي ندمغ سمعة المنحرفات والمنحرفين ، وبسلوكنا وصدقنا نكشف زيف الضالَّات والضالين ، وبصفائنا وشموخنا نبين تصاغر هؤلاء المتطاولات والمتطاولين على الله ورسوله المنتميات والمنتمين إلى حركات ليست إلَّا دخيلة على بلادنا ومجتمعاتنا .. وإن وجود المسلمات الملتزمات جعل من العسير جداً على المنحرفات أخلاقياً ـ إن كنَّ المقصودات بالذكر في الرسالة ـ أن يتسترن بالحجاب ، هذا إن اضطرت واحدتهن في يومنا هذا للتستر بحجاب أو بغيره !!!

ومع ذلك نقول : ليست كل مسلمة لبست الحجاب ملاكاً ـ ولم يجعل الله ملائكة في الأرض ، ولكل إنسان ظروفه

وطاقاته النفسية والعقلية ، ومقدار إيمانه الذي يزيد وينقص ، ونحن بشر نخطىء ونصيب ، وإن الأمر ليس ضرباً من المستحيل أن ينحرف مسلم كما ينحرف غيره !! وواجب المجتمع أن يخفف من توتره ولا يلاحق أخطاء الناس بالحقد ، ولا يكبلهم بسلاسل الكراهية وبسلاسل أخطائهم ، مما يزيدهم انحرافاً وانسلاخاً عن درب الصواب .

مغالطات وأهواء

يا أختي .. أو يا ابنتي .... - كلمة نادى بها الأستاذ الطنطاوي ذات يوم بنات المسلمين وأجدها تمس شغاف القلوب فأناديك بها - :

لقد مررنا بالأمس القريب في محن أشد وأنكى من سخافات رددها أهلنا ومجتمعنا على أسماعنا ، إنها حرب مشرعة ، يوقدها الفراغ ويؤججها الضياع ويزكيها الجهل المركب الذي تعاني منه مجتمعاتنا - الراقية منها بشكل خاص - حاربونا قبل أن نعرف الله ، وحاربونا عندما عرفناه ، وحاربونا ونحن قاعدون ، فلما أردنا الجهاد قالوا مجانين ، ولما هاجرنا قالوا : جبناء .. ولربما إذا عدنا استقبلونا استقبال الفاتحين !!! مع ما تكنه قلوبهم وتشتهيه ألسنتهم من غيبة ونميمة ، فالأمر أمر أمة مريضة ، والخطير في مرضها أن يخضع الأصحاء فيها لما تنفثه سموم المرضى فيعتقدون أنهم هم المرضى والجميع أصحاء .. بدل أن تمتد أيادينا لانتشال هؤلاء المساكين من حمأتهم .

الخطوة الأولى

وأما الأم فهي الأم .. هي الروح التي ينبض بها وجود الأبناء ، فإن أضاع واحدنا أمه أضاع وجوده ، وهذه معانٍ عظيمة علمنا إيَّاها ديننا ، إلَّا أن هذا لا يعني أن تكون عائقاً بين المرء وربه ، ولذلك تحدثت في البداية عن شعلة الإيمان في القلب ، تجعل صاحبها يجتذب إلى دربه أولئك الذين يحبهم من أهله وأصحابه والذين كانوا بالأمس يحاربونه .

فالخطوة الأولى تبدأ منك أنت - يا أخت - من عقلك وقلبك ، وليس من مناقشاتنا لهذه الترهات - التي لولا احترام رغبتك في السؤال عنها ما تعرضت لها - وإن كان النقاش والدرس والاطلاع ضرورة لحماية المرء من وسوسات قد تعرض له .

فابدأي بنفسك - يا أختي - وأنقذيها بتدبر كتاب الله وتذكر الموت وما بعده ، ثم أنقذي من حولك بك ، واجعلي لحياتك معنىً وهدفاً ، ثم اعملي على زرع هذا الفهم في حياتهم ، علميهم تلك المعاني التي حرموها ولو عرفوها لعاشوا عمراً غير العمر الذي يضيعونه هنا وهناك !

وهذه هي البداية .. وبعد هذه البداية طريق غير الطريق .. وحياة غير الحياة .. وآمال وإنسان جديد .. ثم النور الذي يتوهج في القلب فتنتشر أشعته نحو العقل تضيئه إلى حب يعقد الشفاه ذكره لشدة صدقه ... ها هنا ... ميلاد جديد .

ملاحظة : بقيت نقطتان في رسالة الأخت لم أتعرض لهما .. تحتاجان لموضوع وبحث جدي :

(١) قبح منظر المحجبة .

(٢) أنها لا تملك المال ولذلك لبست الحجاب .

إذ ينتج عن مناقشة هذه الأمور قضية فقهية هي غاية التعقيد لا أظن أن أحداً تعرض لها من قبل وهي : هل فرض الإسلام شكلاً معيناً أو (موديلاً) معيناً لحجاب المرأة المسلمة ضيَّق به على الناس ؟ أم أن الأمر الذي يُفرض الآن بشكل غير مباشر هو تضييق بغير ما أنزل الله !؟؟ ■■

بقلم : الدكتور محمد سيد محمد

الإعلام الإسلامي

والتحدي الحضاريّ المعاصرُ

عندما شكلت «اليونسكو» عام ١٩٧٧م لجنة عالمية لدراسة مشاكل الإعلام المعاصر ، طبعت اللجنة تقريرها في كتاب عام ١٩٨٠م اتخذت له عنواناً «أصوات عدة وعالم واحد» . وهو انعكاس لظروف التشابك والتعقيد التي يعيشها الاعلام المعاصر .

والإحصاءات الدولية عن الإعلام في العالم تبين لنا ـ في تطورها السريع ـ كيف أصبح الإعلام في كرتنا الأرضية كالجهاز العصبي الذي يشد أجزاء الجسم برباط واحد . ومن ثم سميت الكرة الأرضية في لغة الإعلام بالقرية الإعلامية . وفيما بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٧٥ أصبحت النسب المئوية للزيادة في وسائل الإعلام على النحو التالي :

- ☐ الصحافة (عدد النسخ من الجرائد اليومية) + ٧٧٪
- ☐ الراديو (عدد أجهزة الاستقبال) + ٤١٧٪
- ☐ التلفزيون (عدد أجهزة الاستقبال) + ٣٢٣٥٪
- ☐ الكتب (عدد عناوين الكتب الصادرة سنوياً) + ١١١٪

إن السؤال الذي يتبادر إلى ذهن مُتَلَقي الإعلام المسلم ، أقصد القارىء أو المستمع أو المشاهد العادي هو : أين يقع الإعلام الإسلامي على الخريطة العالمية للإعلام ؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال لابد أن نحدد مفهوم الإعلام الإسلامي ، والمجال لا يتسع لتفاصيل البحث النظري حول معنى الاتصال ومعنى الإعلام ، وحول مستويات الإعلام المختلفة من ذاتي ، إلى شخصي مباشر ، إلى جماهيري بالوسائل التكنولوجية الحديثة ، مثل الراديو والتلفزيون وما شابه ذلك . وإنما نسعى إلى تحديد مفهوم الإعلام الإسلامي من الواقع المعاصر للمسلمين . وهنا لا بد أن نُفَرِّق بين أصل الموضوع (موضوع الإعلام الإسلامي) في جوهره وحقيقته من جانب ، وبين صورته التي هو عليها من جانب آخر . ذلك أن المجتمع الإسلامي الذي يطبق الشريعة الإسلامية مجتمع شمولي من حيث العقيدة ، ومتكامل من حيث التنظيم . والإعلام فيه لابد وأن يعكس شمول العقيدة وتكامل البناء الاجتماعي . ومن ثم فإن كل شيء فيه إسلامي بدءاً من المرح والمزاح والتسلية حتى مواجهة الموت والكوارث .

والإعلام في هذه الحالة إسلامي في صدق أخباره ، وإسلامي في تعليمه ، وإسلامي في شرح الأخبار وتفسيرها ، وهكذا .. أما المجتمع الذي يطبق من الشريعة شيئاً ويترك أشياء ، أو يتحايل في تطبيقها بالمخالفة أو المنع أو الالتفاف ، وهو بالرغم من ذلك يُسمي نفسه مجتمعاً إسلامياً ، أو هو بحكم تعداد السكان المسلمين فيه يُسمىٰ بالمجتمع الإسلامي ، فإن الإعلام فيه بصفة عامة يمثل شيئاً مختلفاً مما شاع في إعلام الدول الغربية الرأسمالية المتقدمة ، أو الدول الشرقية الشيوعية ، أو خليطاً منهما ، بالإضافة إلى محاولاته التوليفية والإبداعية أحياناً . ومن هذا الخليط الإعلامي نجد جانباً يسمى الإعلام الديني ، أو البرامج الدينية ، أو برامج القيم الروحية والدينية ، أو ماشابه ذلك من التسميات التي تحتم علينا أن نضع الإعلام الإسلامي في مثل تلك المجتمعات ضمن الإعلام المتخصص وليس الإعلام العام .

بهذا الإطار نجد الإعلام الديني المعاصر يتركز فيما يلي :

١ ـ المساجد .
٢ ـ الصفحات الدينية في بعض الجرائد اليومية ، والأبواب الثابتة فيها ، وكذلك في بعض المجلات .
٣ ـ المجلات الأسبوعية الإسلامية المتخصصة .
٤ ـ الكتب والكتيبات .
٥ ـ البرامج الدينية في الراديو .
٦ ـ البرامج الدينية في التلفزيون .
٧ ـ إذاعات القرآن الكريم .

٨ - المواد الإعلامية التي تعكس صوراً من الثقافة الإسلامية مثل المسلسلات وبعض البرامج الثقافية.

٩ - الإذاعات الحية للمناسبات الدينية.

١٠ - المواد الإعلامية لشهر رمضان وللأعياد والمواسم، وقرآن الافتتاح والختام في الراديو والتلفزيون.

١١ - الأفلام الروائية مثل: الرسالة والقادسية وعمر المختار، والأفلام التسجيلية عن الآثار الاسلامية أو المناسك وخاصة الحج.

وعندما نتجاوز المستوى النظري للإعلام الإسلامي إلى واقع الإعلام الديني المعاصر في البلدان الاسلامية فإننا نجد أنفسنا أمام ما يسمى بمشكلة الإعلام الديني. وأول ملامح المشكلة هو الضعف، سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون، برغم الاستثناءات التي نجدها هنا أو هناك؛ هذا الضعف الذي نجده على المستوى المحلي أي الوطني، ثم على المستوى العالمي أي الدولي، وهذا الضعف هو انعكاس لظروف التخلف التي تعيشها المجتمعات الإسلامية في واقعها الإقليمي باعتبارها كيانات متفرقة، وما تعيشه الحركة الإسلامية في جملتها من عدم التنسيق أو التعاون أو التكاتف أو الفاعلية، وهذا هو التحدي الحضاري المعاصر، وهذا هو العمل الرائع الذي تؤديه الصحوة الإسلامية المعاصرة في محاولة إيقاظ المجتمعات الإسلامية حتى تنتقل من التخلف إلى التقدم.

ويعكس الواقع المتخلف للمجتمعات الإسلامية المعاصرة صورته في مرآة الإعلام. وهذا الواقع المتخلف هو ذاته واقع الإعلام. إن الإعلام يستطيع أن يؤدي دوراً فعالاً في التقدم ولكن ذلك جزء من صحوة الناس وتقبّلهم - أي استعدادهم - لأن ينفضوا عن أنفسهم وأرواحهم وعقولهم رمال التخلف. ومن ثم يواجه الإعلام الإسلامي العام هموم العالم الثالث برمّتها، ويواجه الإعلام الديني المتخصص هذه الهموم بالإضافة إلى همومه الخاصة.

ولسنا بصدد حصر مشاكل الإعلام في العالم الثالث في مستواه المحلي، وإنما نأخذ مشكلة التخطيط باعتبارها قاسماً مشتركاً لمشكلات الإعلام الإسلامي المحلي المعاصرة. ولنضرب مثلاً من واقع الصحافة الإسلامية: إن السؤال المطروح على مجلة متخصصة أو على الباب الديني في مجلة عامة أو على صفحة الدين في جريدة يومية هو: ما هي الأهداف الرئيسة؟ وماهي خطة العمل؟

ولاشك أن الإجابة عن السؤال لا بد وأن تختلف من بلد إلى آخر. فإذا كانت في مصر مثلاً فانها تضع تطبيق الشريعة الإسلامية رأس أهدافها، وإذا كانت في الهند فإنّها تطالب بالحريات الدينية، وإذا كانت في الفلبين فمطلبها منع اضطهاد المسلمين، وتلك أمثلة لاختلاف عناصر الخطة الإعلامية والتخطيط الإعلامي من بلد إلى آخر، وفق ما قطعه البلد من شوط في تطبيق الشريعة الإسلامية وفي التقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ووفق الظروف الموضوعية المحيطة به داخلياً وخارجياً، وبالرغم من ذلك فإن قواعد التخطيط الإعلامي مشتركة.

كيف يكون التخطيط الإعلامي لوسائل الإعلام الإسلامية؟ ومن الذي يقوم بذلك؟ ومتى؟

إن هذه كلها مهمة المؤسسات الإعلامية من صحف وإذاعات ودور نشر، ومهمة المنظمات الإعلامية من اتحادات ونقابات، ومهمة مراكز البحث العلمي والجامعات. وعلى مستوى القائم بالإعلام نضرب مثلاً في صيغة سؤال: كم خطيب مسجد في البلدان الإسلامية أمسك بالمفكرة السنوية أي «الأجندة» في أول العام وقلب صفحاتها ليضع خطة لعمله طوال العام؟ وأجاب لنفسه عن عدة أسئلة مثل: ما هي خطب الجمعة في موضوعات المناسبات؟ وكيف يتناول الموضوعات العامة؟ ثم كيف يترك فرصة للأحداث التي تستجد ليتناولها في حينها إن كانت تستحق التناول؟ هذا التخطيط الذي يمكن لخطيب المسجد أن يقوم به على المحور الزمني يقابله تخطيط على المحور الكيفي، ونسوق له مثلاً في المراجع والصحف والإذاعات والندوات التي يتزود منها لعمله. إن التخطيط الإعلامي الإسلامي لا بد أن يكون سمة لهذا

الإعلام الإسلامي

والتحدي الحضاري المعاصر

الإعلام وطريقة تفكير العاملين في حقله ، وإن التخطيط الإعلامي الإسلامي ينبغي أن يكون على عدة مستويات : مستوى الوسيلة ، جريدة كانت أو مجلة أو كتاباً أو إذاعة أو مسجداً ، والمستوى الجغرافي ، والمستوى المحلي أو القومي أو العالمي ، ثم التخطيط على المستوى البشري في مجال إعداد الإعلاميين وتدريبهم ، ثم التخطيط للقضايا ، ثم التخطيط على المدى القصير والتخطيط طويل المدى وهكذا تتعدد مستويات التخطيط في الإعلام الإسلامي .

وعندما ننتقل من مشكلة الإعلام الإسلامي محلياً إلى مشكلات الإعلام الإسلامي عالمياً فإن قضية انتماء هذا الإعلام إلى العالم الثالث أول ما يواجهنا . ومن ثم تصبح مشاكل الإعلام في العالم الثالث في المستوى الدولي هي مشاكل الإعلام الإسلامي . يضاف إلى ذلك الصراع الحضاري في عالمنا المعاصر . وهنا يلح سؤال جدير بالعناية هو : ماذا يواجه الإعلام الاسلامي على الساحة الدولية ؟

إن الإعلام الإسلامي يواجه ما يلي :

أولاً : الإعلام الإمبريالي الاستعماري والصهيوني وهو العدو التقليدي للإعلام الإسلامي ، وهو الأشد تأثيراً ونفوذاً بحكم الاستعمار الثقافي .

ثانياً : الإعلام الشيوعي بسبب الخلاف العقيدي الشديد الوضوح .

ثالثاً : الإعلام الوثني أو المختل عقيدياً مثل البوذي والهندوكي وغير ذلك .

رابعاً : إعلام حركات التحريف والتشويه وبث الفرقة من داخل المعسكر الإسلامي ..

هذا ما يواجهه الإعلام الإسلامي على الساحة الدولية إلى جانب ظروف التخلف والتقهقر الحضاري .

ولقد قامت عدة منظمات إسلامية تشتغل بالإعلام ، فما هي أهم مشاكلها ؟ وكيف تواجه التحدي الحضاري المعاصر ؟ يمكن حصر اهم مشاكل منظمات الإعلام الإسلامي فيما يلي :

أولاً : عدم التنسيق فيما بينها ، وغيبة الخطة الشاملة والخطط التفصيلية في مختلف المجالات وبمختلف الوسائل . وأعتقد أنه يمكن حل هذه المشكة بإنشاء مركز عالمي للإعلام الإسلامي تكون مهمته الربط والتنسيق والتبادل بين منظمات الإعلام الإسلامي المختلفة .

ثانياً : عدم التمويل ، وهذه الظاهرة تمثل كارثة في الوعي فكثيراً ما توصي المؤتمرات بلزوم أداء الحكومات لأنصبتها في المنظمات دون جدوى .

ثالثاً : ضرورة الاستفادة من المهاجرين المسلمين وإفادتهم في هذا المجال .

رابعاً : ضرورة البعد عن الأغراض السياسية للحكومات وأهوائها ، وأن تكون مواقع الإعلامي في المستوى الدولي يتم الاختيار لها بعيداً عن الخلافات السياسية والمذهبية وبعيداً عن الأهواء والنعرات القبلية .

خامساً : ضرورة إعداد «كوادر» أي «إطارات» بشرية بصفة مستمرة . وهذا بطبيعة الحال من أوليات العمل الإعلامي على النطاق الدولي ، ولاشك أن العالم الإسلامي يمتلك من الخبرات والقدرات ما يكفي لذلك إذا أحسن الاختيار ووضعت الشروط الموضوعية له .

ولكن لابد أن يكون إعداد «الكوادر» أو «الإطارات» بصفة مستمرة . إنني أتصور مثلاً أن يقوم المركز الدولي للإعلام الإسلامي ـ إذا قدر له الإنشاء ـ بإجراء مسابقات في كل عام بين المائة الأوائل في الشهادة الثانوية في كل بلدان العالم الإسلامي ، ثم يتولى تعليم الفائزين منهم لإعدادهم في مجالات الإعلام الإسلامي .

وأن يُمضي بعضهم عشر سنوات أو عشرين عاماً في تعلم لغة وفهمها ، ثم يتولى فريق منهم بعد ذلك ترجمة جديدة لمعاني القرآن الكريم بلغات العالم كلها . هذا مجرد مثل بسيط نحتاج إلى عشرات غيره .

ويرتبط بإعداد «الكوادر» أو «الإطارات» البشرية إنشاء بنوك المعلومات ، ومراكز البحوث والدراسات ، وما شابه ذلك من معطيات الحضارة الحديثة ، حتى يستطيع الإعلام الإسلامي أن يواجه التحدي ويواكب العصر .

●● من الظواهر السلبية التي تقع في أكثر من بلد من بلاد المسلمين ، وتحتل جانباً من رسائل الإخوة القراء .. التعارض - الذي يرىٰ بعضهم أنه يقع عن عمد - بين أوقات إقامة الصلاة ، ومنها صلاة الجمعة ، وبين المواعيد المحددة رسمياً للدراسة في بعض المعاهد والكليات ، ومنها بعض معاهد للدراسات الإسلامية (!) أو مواعيد عقد لقاءات أو اجتماعات رسمية ؛ الأمر الذي يحول بين الطلاب وبين أداء الفريضة ، وإلَّا فإن عليهم أن يتحملوا عواقب سلبية نتيجة تخلفهم إذا هم قاموا بأدائها .. الأمر الذي يزيد من حالة التمزق التي يعاني منها الشباب المسلم وقد يدفع ثمنها المجتمع كله . ●●

رسالة ..

■■ من مدينة غرناطة - بإسبانيا - بعثت الأخت أم عبد الرحمن برسالة ، تعقب فيها على ما سبق أن اقترحه أحد الإخوة ، برفع العبارة التي تأتي بالصفحة الأولى من كل عدد ، وتنص على أن : « ما ينشر في المجلة يعبِّر عن رأي كاتبه » ، وتقول :

[.. إن هذه العبارة أصل أصيل في انفساح المجال لحرية الرأي ، وفتح الباب على مصراعيه ليقدم كل صاحب فكر فكرته حتى لو تعارضت مع ما تتبنَّاه المجلة من أفكار وآراء - فيتوصل القراء والمثقفون والمفكرون ، ومن بينهم القائمون على المجلة ذاتها ، إلى فهم أوضح وأعمق وأصدق لديننا وأوضاعنا وأحوالنا ، والحلول الملائمة لمشكلاتنا ..

إن عبارة « ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه » إنما هي عنوان واضح للحرية الإسلامية في الفكر والتعبير ، وهي تعني - في إطار الإسلام العظيم - أن تطرح رأيك حتى لو اختلف مع رأينا طالما تخضع هذه الآراء للقرآن والسنَّة ، فالاختلاف في الرأي لا يعني التصارع والتقاذف ...

إنها دعوة للمفكرين والدعاة المسلمين إلى الهدوء وطرح التوتر في تناولهم للموضوعات المطروحة والردّ على ما لا يتفق مع أفكارهم بأسلوب المسلم المهذب ففي ديننا ، يتسع المجال لكثير من الاختلافات في الفروع للتسهيل على الأمة وليس بتعصب كل لرأيه ، فيلتزمه حتى لو قاتل في سبيله إخوانه ، دون أن يتسع صدره لمجرد الاستماع للرأي الآخر !!

وتجدني أعجب أشد العجب من كون بعض الدعاة يلتزم أمراً خلافياً ، وردت فيه كما وردت بضده أو بغيره ، نصوص صريحة المراد منها التخفيف عن الناس ، فيمكن لكل امرىء أن يختار ما يرتاح إليه قلبه ما دام الأمر كله منحصراً في إطار الشرع .

إننا ندعو « الأمـة » للاستمرار في مسيرتها التي تميزت بها عن كل ما عداها من مجلات ومنابر إعلام إسلامية في فسح المجال لكل صاحب رأي ، وفي احترام القلم المسلم احتراماً ما رأيناه في سواها ، وفي دعوتها كل إنسان قادر على العطاء لتقديم أقصى ما لديه من طاقات ، وتشجيعها العملي بفتح باب النقاش الهادىء المبني على قواعد الأدب والتربية الإسلامية الرفيعة ، وليس بالتشجيع المادي أو الجوائز الرمزية - التي تقدمها - وذلك لأن التشجيع العملي هو الذي تفتقده نفوس الشباب وتتعطش إليه إرادتهم .. وعلى الله قصد السبيل .. ■■

أصداء

● من الكويت بعث الأخ عبد الوارث سعيد بالرسالة التالية :

[... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ؛

فجزاكم الله خيراً على ما قدّمتم وتقدمون - إن شاء الله - من زاد ونصح امين للمسلمين ، سواء من خلال « الامة » او سلسلة « كتاب الامة » .

إنّ من اهم الموضوعات التي عُنيتم بطرحها واستكتاب اهل الذكر فيها ، قضية « الخلل » الواقع في مسيرة الحركة الإسلامية ؛ وقد قدمت الإسهامات التي نُشرت حتى الآن كثيراً من التنوير والإيقاظ والتحذير والترشيد ، مما يعتبر من امسّ الحاجات لكل ذي اهتمام بالحركة الإسلامية ، وبمستقبل العمل الإسلامي ، وبمصير هذه الامة الطعينة .

ومع يقيني ان ما ساقترحه - بهذا الصدد - ليس غائباً عن خطة « الامة » ، فإنني - من باب النصح في الله - أؤكد اهمية ان تقوم « الامة » بدراسة فاحصة لكل ما نشر حول موضوع « الخلل » في « الامة » وسواها ، وغربلته ، وبلورته ، وتبويبه ، ثم تقديمه - في إيجاز - على صورة علمية مستوفاة ، ولتكن - على سبيل المثال - على النحو التالي :

١ - مفهوم « الحركة الإسلامية » ومسوغات نشاتها .

٢ - الاهداف الاساسية للحركة الإسلامية ، والوسائل التي تستخدمها للوصول إلى هذه الاهداف .

٣ - مسيرة الحركة الإسلامية المعاصرة منذ نشاتها وإلى الآن .

٤ - واقع الحركة الإسلامية الراهن ، ومسافة الخلف بين الواقع والمثال على صعيدي الاهداف والوسائل .

٥ - مظاهر « الخلل » في المسيرة واسبابها .

٦ - العلاج لأمراض الواقع وطرق الوقاية للمستقبل .

٧ - آفاق الحركة الإسلامية في القرن الخامس عشر الهجري — الحادي والعشرين .

فإذا تم هذا الامر ، فلتبادر « الامة » بنشره في ابسط صورة ممكنة ، وعلى اوسع نطاق ، وحث القادرين كلهم على النشر والتوزيع ان يفعلوا ذلك بلا « حقوق محفوظة » للطبع والنشر . ويا حبذا لو تمت ترجمته إلى اللغات الإسلامية السائدة في المناطق الكثيفة بالمسلمين ، والحية بنشاط الدعوة ، مثل جنوب شرقي آسيا ، وتركيا ، وشبه القارة الهندية ... إلخ .

هذا امل .. لعلّ الله يعين على إنجاحه .. وفقكم الله إلى ما فيه الخير والرشاد في كل سبيل ومجال .

● ويقول الاخ محمد حسن البرقي - من اسوان - بجمهورية مصر العربية .. في رسالته :

[... إن « الامة » بما تثيره من قضايا وما تتناوله من موضوعات وتحقيقات تعد جامعة فكرية ، على ضيق المساحة التي تنشر فيها مثل هذه المواد الهامة ، التي نطلب منها المزيد ، وبعيداً عن العاطفة ، نستطيع ان نؤكد بانها تكشف النقاب دائماً عن حقائق ومعارف مفيدة ، الامر الذي يدل على ان الامة الإسلامية زاخرة بالرجال الحريصين على نشر الوعي بين المسلمين .. اما ما نطالب به فهو متابعة الاحداث الإسلامية التاريخية في المناسبات المختلفة بتوسع وإسهاب وعدم الاكتفاء بالإشارة إليها او ذكر بعض تفاصيلها .. وجزاكم الله خيراً ..

● ومن الجزائر كتب الاخ عبد المجيد بو خالقة يقول :

[... لا تزال « الامة » القيمة تطالعنا بمختلف الموضوعات المفيدة ، ومن هذه الموضوعات ما ينشر ضمن باب « الاسرة المسلمة » ، الذي يستعرض شتى المشكلات التي تواجه المجتمع المسلم من قبل الصهيونية والصليبية الحاقدة ، ومن قبل هؤلاء الذين يريدون ان يجعلوا من المراة المسلمة اداة من ادوات حضارة الانحطاط والانهيار ، كما يعرض هذا الباب ايضاً للحلول التي يجب اتباعها للخروج من الحصار الذي يفرضه تيار التغريب على مجتمعاتنا للنيل من اصالة الاسرة المسلمة .. وما اريد الإشارة إليه هنا هو ضرورة إضافة صفحات اخرى في الموضوعات نفسها بشيء من التوسع وعرض كثير من مشكلات واحوال الاسرة المسلمة اليوم .. وما اكثرها ..

مقترحات

● الاخ الفارابي احمد عثمان عباس - السودان ..

يقترح زيادة اعداد « الامة » التي توزع بالسودان « لان الاعداد التي تصل هناك تختفي بسرعة غريبة لقلة الكميات المعروضة » ، كما يقترح - عند إعادة طبع « كتاب الامة » ان نشير إلى ذلك قبل شهر من عملية الطبع اي في عدد « الامة » السابق لظهور الكتاب ، « حتى نكون على علم وتسهل المتابعة من اجل الحصول على الكتاب » .

● الاخ احمد محمد احمد السمواتي - منفلوط - مصر ..

يقترح زيادة عدد صفحات « كتاب الامة » ، ويقول : « لا يهم عدد الصفحات بالنسبة لأي كتاب ، ولكن المهم هو المضمون ، اما بالنسبة لما يصدر عن « الامة » ، فإننا حريصون على ان يكون كمّاً كبيراً لثقتنا فيما تكتبه فارجو الّا تقل صفحات « كتاب الامة » عن المائتين على اقل تقدير » .. كما يقترح ان يشار في نهاية الكتاب إلى اسماء الكتب التي سبق نشرها ضمن السلسلة ، وان يعلن عن الكتاب القادم بصورة مفصلة .

● ويقترح الاخ علي محمد علي المطروشي - من إمارة عجمان - دولة الإمارات العربية المتحدة :

ان تصدر « الامة » كتاباً خاصاً ضمن سلسلة « كتاب الامة » عن تراثنا المخطوط الموجود في مكتبات العالم ، وان تعرّف بخزائن الكتب الكبرى .

● ومن عنّابة - الجزائر - بعث الاخ مدور محمد بشير برسالة يقترح فيها : إصدار « الامة » اسبوعياً ، ويشير إلى ان سعرها رمزي إلى حد كبير ، وان المجلات الاخرى غير الإسلامية تباع باثمان باهظة وتخلو في الوقت نفسه من الموضوعات المفيدة التي تهم المسلم .

● ويقترح الاخ عرفات فياض خريسات - من السلط ، الاردن - « جمع آراء المفكرين الذين ادلوا بدلوهم في مناقشة القضية الهامة : [اين الخلل ؟] .. وإخراجها في كتاب - وتوزيعه مع احد اعداد « الامة » كهدية ، وليكن ذلك بمناسبة عيد الفطر المبارك ... » .

● كما يقترح الاخ م . ع . خ من مصر :

ان يخصص باب دائم في « الامة » للشباب المسلم ، يناقش قضاياه ومشاكله ، وكيفية الوصول إلى الحلول من منطلق إسلامي ، لان الشباب عصب الامة ، وقد اصبح من السهل على اعداء الإسلام ان ينالوا منه خاصة ، في هذا الزمن الذي سادت فيه الفتن والمنكرات .

● ويستدل الاخ رضا الشيخ (تونس) بقوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ... ﴾ (الحجرات : ١٣) ، ليؤكد اهمية المقترح الذي طالب به كثير من القراء لتخصيص « ركن للتعارف » إلى جانب « باقلام القراء » .

● ويرى الاخ المالوكي صالح - من المغرب - [... ان « الامة » مطالبة برصد الصحوة الإسلامية ونقل اخبارها ومشاكلها وابعادها في مختلف انحاء العالم الإسلامي اسوة بما تم في حق التجربة السودانية .. كما يقترح ان تخطو « الامة » خطوات اخرى بعد تناولها مجال الادب الإسلامي إلى الوان الفنون المختلفة لتعميق الرؤية الإسلامية في هذا الاتجاه] ..

واحة الإخاء

○ تحت هذا العنوان : كنّا قد نشرنا بالعدد الخامس والخمسين (رجب ١٤٠٥هـ) رسالة من المغرب - يكشف بها صاحبها ، للإخوة القراء ، عن بعض اساليب الهيئات التنصيرية ، ويحذرهم ان يقعوا فريسة لها .. وقد ارفق برسالته صورة « بطاقة الدعوة » التي تتسلل بها إحدى المؤسسات التنصيرية الموجودة في مدينة « مالقة » بإسبانيا إلى الشباب المسلم ..

وقد وردت إلينا رسالة من هذه المؤسسة بتوقيع شخص باسم « رضوان » دون ذكر صفته .. (وهذا الأسلوب تمارسه مؤسسات التنصير ، حديثاً ، باستعارة الأسماء الإسلامية وتوقيع الرسائل بها مثل : « الشيخ عبد الله » ، وغيره ، للتمويه وبث الطمانينة والثقة في نفوس البسطاء من المسلمين الذين يقعون ضحية هذه الأساليب) .. ويدَّعي رضوان هذا انه لا يجبر احداً على اعتناق النصرانية ؟ ويتساءل : « ماذا سيكون هدفنا من اعتناقهم الدين النصراني ، لا شيء » .

ونحن نتساءل بدورنا : ولماذا كل هذه الجهود ، بالبحث عن عناوين واسماء الشباب المسلم ومراسلته ودعوته للانتظام في دراسة الإنجيل ، وتقديم الكتب مجاناً ؟! وهي النشاطات الظاهرة والمعلن عنها لمؤسسته ، والتي يصفها في رسالته بانها « تهم خاطئة » !!

ثم يطالب بالّا نجادل اهل الكتاب إلّا بالتي هي احسن ..

ولعلّه من الواضح ان القضية ليست قضية مجادلة ، بقدر ما هي هجوم واعتداء من طرف واحد ، ضد المسلمين ، بمحاولة تحويلهم عن عقيدتهم ، الأمر الذي يتنافى مع ما يقوله « رضوان » - في ختام رسالته - بان كل ما يترجاه « هو ان يحترم كل منّا عقيدة الآخر » (!!)

○ ومن ام درمان - بالسودان - بعث الاخ السيراليوني محمد احمد بري - برسالة إلى « واحة الإخاء » ، يعرِّف الإخوة القراء باحوال « القبائل الفولانية » المسلمة في افريقيا ، وما تواجهه من تحديات ومشكلات وممارسات صليبية ؛ يقول فيها :

[السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ؛ إنَّ القبائل الفولانية هي كبرى القبائل الافريقية من حيث الكثرة والانتشار ، إذ توجد في اكثر من عشرين دولة ، ويبلغ تعدادها حوالي (٦٥) مليون نسمة (حسب الإحصاءات الرسمية لعام ١٩٧٦م) كما انها - حتى عهد قريب - كانت الأمة الوحيدة التي يعتنق جميع ابنائها الإسلام ، مما جعل القوى المعادية للإسلام توليها اهتماماً خاصاً ، وتسعى لبث روح الفرقة وتمزيق اواصر الأخوة بين ابنائها ، وقد قامت حركات التنصير العالمية بإنشاء إذاعة (صوت الإنجيل) في اديس ابابا بإثيوبيا تبث يومياً عدة ساعات باللغة الفولانية برامج نصرانية بحتة ، يسمعها القاصي والداني في جميع ارجاء القارة الافريقية ، وتؤثر على ابنائنا واهلنا ، في الوقت الذي نحن في حاجة ماسة إلى الارتباط والتلاحم في ظل العقيدة الإسلامية ..

ومما يؤسف له ان نعترف بان نتائج هذه النشاطات التنصيرية قد بدات تظهر في بعض البلاد الافريقية ، وتشكل خطراً على المجتمع الفولاني بصورة ملفتة للنظر ، الأمر الذي يحتاج منّا إلى وقفة لمعالجة القضية من جذورها ...

○ وبعنوان (الأفغان والواقع المرير) كتب الاخ خالد محروس عبد الله قطب (مصر) يقول :

[... لا تزال المقاومة الأفغانية صامدة امام محاولات قوات الغزو الماركسي فرض سيطرتها على الأرض والشعب المسلم .. ما يجب ان يوضع في الاعتبار ان هدف السوفييت ليس افغانستان بخيراتها ومواردها الطبيعية فحسب ، وإنما الذي يعتنقه شعب افغانستان .. الهدف هو الإسلام .. ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (التوبة : ٣٢)] .

ودعا الاخ خالد في ختام رسالته إلى تكوين منظمات شبابية في البلاد العربية والإسلامية كافة لنصرة المجاهدين الافغان ودعمهم بالمال وبالنفس .. [فكلّنا مسؤول عن افغانستان وما يحدث فيها] ..

○ ويوجه الاخ عبد الوهاب احمد الداودي - من الدقهلية بمصر - رسالته إلى الشباب من خلال هذه الكلمات :

[... كان محمد ﷺ المثل الكامل للشباب قبل البعثة ، حسن الخلق ، يهتم بعظائم الأمور ، وينأى بنفسه عن موبقات مجتمع الجاهلية ، وكان ابو الانبياء إبراهيم عليه السلام في صباه يسخر من عبادة الأصنام ، ويدعو قومه إلى عبادة الله تعالى ، وفي مقدمة من آمن بدعوته ابن اخيه لوط عليه السلام وكان شاباً ، واول من آمن بدعوة الإسلام بعد السيدة خديجة رضي الله عنها هو الشاب علي بن ابي طالب ، والشاب زيد بن حارثة رضي الله عنهما .. وعندما توجه موسى عليه السلام إلى وادي مدين كان مثالاً عالياً للشباب في خلقه وسلوكه حتى أعجب به النبي شعيب عليه السلام وزوّجه إحدى ابنتيه .. وكان النبي يوسف عليه السلام شاباً عندما آتاه الله الحكمة والعلم ..

إخوتي .. إن الشباب في تاريخ الدعوات كانوا اسبق الناس إلى الهدى والإيمان .. ولا عجب في ذلك فإن مرحلة الشباب هي مرحلة العقول والحركة التي تثمر النضج والفقه بإذن الله ..

ردود خاصة

■ الأخ سرحان سينمان حاج عبد العزيز - ماليزيا ..

●● الآية الثامنة والستون من سورة الفرقان هي :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ .

الآية - كما وردت في المصحف - صحيحة لا لبس فيها ولا غموض - تُبيِّن أن من صفات عباد الرحمن الّا يشركوا بالله تعالى ولا يقتلوا النفس التي جعل الله عزَّ وجل قتلها محرماً ، ولا يرتكبوا الزنى ... ثم بعد ذلك تُبيِّن أن من يفعل هذه الآثام ، من الشرك أو القتل بغير الحق أو الزنا ، فسوف يعذبه الله عزَّ وجل العذاب الشديد .. ويكون معنى قوله تعالى :

﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ .

أي : ومن يرتكب هذه الموبقات يلْقَ أثاماً ؛ أي جزاء إثمه .

■ الأخ طارق حمد النيل جباره - كوستي - السودان ، والأخ إلياس الوديع إلياس - المدينة المنورة - السعودية .

●● الكتب التي ذكرتها في رسالتك - ليست من إصدار « الأمة » ، ولا نمتلكها ، وإنما نعرِّف بها خلال النسخة التي تصلنا منها .

■ **الأخ يوسف الإدريسي - الصويرة - المغرب ..**

●● الموضوعات التي تصلنا تخضع لعملية مراجعة وتقويم لتقرير صلاحيتها للنشر ، وليس من شروط النشر أن يكون صاحبها حائزاً على درجة علمية معينة أو أن يكون كبير السن كما جاء بسؤالكم ، ونرحب بإنتاجكم وإنتاج جميع الإخوة ..

■ **الأخ ضياء الدين أحمد - إيران ..**

●● « الأمة » تصدر بانتظام ، والعدد الذي وصلك ومضى على صدوره عدة أشهر هو عدد قديم - وآخر أعداد سلسلة « **كتاب الأمة** » هو العدد العاشر ، بعنوان « **التراث والمعاصرة** » للدكتور أكرم ضياء العمري .

بأقلام القراء

دور التلفزيون في المجتمع الإسلامي

●● يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة : ٢٥٧) .

الله سبحانه وتعالى ترك لنا شريعة سمحاء أوصانا الرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه ان نَعَضَّ عليها بالنواجذ ولا نتخلى عنها إذا اردنا لأمتنا ودينا الخير والفلاح والرقي والتقدم . ونحن في أيامنا هذه نعاني اكثر من اي وقت مضى من تيار الثقافات المتعددة التي ما انزل الله بها من سلطان تتوغل في اعماق مجتمعاتنا ـ وللأسف ؛ لاقت رواجاً كبيراً بفضل وسائل الإعلام التي تمهد للتبعية للغرب ـ حيث نجد هذه الثقافة الغربية الهدَّامة تمكنت منا كالحيوان الكاسر الذي يُضيِّق الخناق على فريسته المستكينة . إن كل مجتمع له ثقافته الخاصة به ، ولقد ترك لنا الرسول محمد صلوات ربي وسلامه عليه ثقافة تغنينا عن اقتباس ثقافات مادية بحتة تتجرد من كل ما هو أخلاقي ، لقد قال ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً ؛ كتابَ الله وسنتي » فهل نحن عملنا بهذا التوجيه الإسلامي ؟ لا والف لا ، فنحن ـ للأسف ـ فتحنا الأبواب على مصاريعها أمام التيار الثقافي الغربي المُنحلّ اخلاقياً ؛ فكفى ان عندنا جهاز التلفزيون الذي تمكن من اقتحام المنازل على اطفالها ونسائها ورجالها وشبابها ، وجعلها تتخبط بل تتخلى بصورة مخيفة عن كل ما هو إسلامي كأن ذلك بفعل السحر ، حيث نجد ما يعرض على هذه الشاشة الصغيرة يلتهم ما هو إسلامي بصورة متدرجة . فذلك الطفل الذي يشاهد افلام الرعب والعنف بدون رقيب ماذا سيكون تاثير ذلك عليه في هذه السن ؟ إنه يميل تلقائياً إلى سلوك مثل هذه التصرفات الهابطة خاصة وان الأسرة جميعاً تشاهد هذه المهازل وتتبادل الضحكات دون توجيه لهذا النشء وحثه على الفضيلة .

إلَّا ان التلفزيون كجهاز او اختراع علمي يمكن أن يساهم بصورة إيجابية للغاية في تنمية القيم الإسلامية ورفعتها ؛ وذلك إذا ما اتبعنا هذا المنهج الذي تتلخص خطواته فيما يلي :

١ ـ ان يقومَ على إدارة هذا الجهاز اشخاص ذوو نشأة إسلامية صحيحة ، مشهود لهم بالتقوى والصلاح ؛ لان مسؤولية هؤلاء الأشخاص مسؤولية عظيمة ، حيث يستطيع القائمون على هذا الجهاز ان يُشكِّلوا مفاهيم الغالبية العظمى من الناس ، وقد اثبتت الدراسات ان وسائل الإعلام ـ خاصة المرئية ـ لديها قدرة على الإقناع اكثر من اية وسيلة اخرى .

٢ ـ ان يتولى هذا الجهاز مهمة صياغة وقائع البطولات والتضحيات والغزوات الإسلامية ، ومراحل التاريخ الإسلامي في مختلف العصور ، والتعريف بالبلدان الإسلامية ، ويُنمي القيم الإسلامية ، ويقضي على العصبيات الإقليمية والعرقية التي اقامها الاستعمار للنيل من هذا الدين .

٣ ـ ان يتولى الإشراف الفكري على إدارة هذا الجهاز الحيوي وما تُعِدُّهُ من برامج فريق من علماء الدين لتقويم وتقييم المواد والبرامج المعدة للنشر بما يتوافق مع الإسلام وتعاليمه .

٤ ـ ولعلَّ اهم الخطوات التي يجب التركيز عليها هي إقامة وكالة انباء إسلامية تغطي الأحداث ، ويكون لها مراسلون يُغطون اخبار المجاهدين في البلدان الإسلامية ، ويردون اباطيل الإعلام الغربي المضلل كما يحدث في افغانستان .

هذه الخطوات لو تم وضعها موضع التنفيذ بعون الله فسيتبدل الحال إلى افضل ، وتحل علينا بركات من السماء والأرض ، ويؤيدنا الله بنصره وعونه ، ولقد قال الرسول صلوات ربي وسلامه عليه : « الدين النصيحة » ، فها نحن نقدم هذه الفكرة المبسطة للغاية لعلَّ الأمة الإسلامية تدركها ولعل إخواننا من الشعب المسلم في ارجاء المعمورة كافة يحافظون على ابنائهم حَمَلَةِ لواء الإسلام والتوحيد في المستقبل بان يجنبوهم مخاطر الإعلام غير الإسلامي ، وان ينشئوهم النشأة الإسلامية الصحيحة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ الذي قال : « الدَّالُّ على الخير كفاعله » . وعلى كل منَّا ان يدعو إلى الحق كيفما استطاع ؛ بقلمه وبلسانه وبيده أو بقلبه ، ويقول الرسول ﷺ : « لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » صدق رسول الله عليه الصلاة السلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ●●

عبد الدايم احمد سيد ـ اسيوط ـ مصر

في الطريق الى الله

مـاذا أَقُولُ وَقَدْ جَعَلْتُ بَيانِي
لَكَ يَا إِلٰهي أَنْتَ مِلءُ كِيانِي
إِنِّي رَضِيتُ بِمَا قَضَيتَ وَإِنَّني
قَدْ عُدْتُ أَرْجُو نِعْمَةَ الغُفْرانِ
بَيْنَ الضُّلُوعِ تَحَرُّقٌ وَتَأَوُّهٌ
وَسَلَكْتُ دَرْبَ الحَقِّ وَالإِيمانِ
وَكَبَحْتُ نَفْسي رُغْمَ كُلِّ جِماحِها
نَحْوَ المَعاصي وَالهَوى المُزْدانِ
وَقَطَعْتُ حَبْلَ الوُدِّ بَيْنَ جَهالَتي
وَعَقَدْتُهُ بِهِدايَةِ القُرْآنِ
سَارَ السَّفِينُ وَلِلنَّسِيمِ عُذُوبَةٌ
فَوْقَ الشِّراعِ بِعَزْفِهِ الفَتَّانِ
وَالمَوْجُ يَجْري حَوْلَهُ مُتَلاطِماً
قَدْ راحَ يُرْشِدُها لِبَرِّ أَمانِ

محمد عبد النعيم حسن [مصر]

●● الأخ الشاعر علي الصقلي ـ من الرباط ـ المغرب ، نظم هذه الأبيات :

تحيـــة إلى « الأمَّـــــة »

إلَيْكِ أُهْدي شَذاً مِنْ طِيبِ أشْعاري
يا « أُمَّةً » قَدْ عَناها نَشْرُ أخْباري
وما عَناها سِوى لَحْنٍ أثَرْتُ بِهِ
قَلْبَ الطُّفولَةِ نَحْوَ الخالِقِ الباري
شَدا بِهِ « أَلِفُ باءُ »(1) وَرَدَّدَه
جَوْقُ البَراعِمِ(2) طُرّاً دونَ مِزْمارِ
فَطارَ في الأفقِ أنْغاماً مُجَنَّحَةً(3)
وَشَعَّ أكْرَمُ نُورٍ في العُلى سارِ
لتكرمن شُعلةِ الإيمانِ ملء حَشا
يَهيجُها كُلَّ حينٍ ما يُرتِّلُهُ
مِنَ الأناشيدِ في عَزْمٍ وَإصْرارِ
والحُبُّ في قَلْبِ طِفْلٍ مُسْلِمٍ قَبَسٌ
مِنَ السَّماواتِ ، جَيَّاشٌ بِأسْرارِ
وَحَسْبُهُ الدِّينُ ، ما كالدِّينِ حَثٌّ على
حُبِّ العُلى في طُموحٍ غَيْرِ خَوّارِ
يَهْنيكِ يا « أُمَّةَ الإسلامِ » أنَّكِ في
رُبُوعِنا « أُمَّةٌ » تَسْعى بأفْكارِ
هي الدّعا لِطَريقِ اللّهِ يَسْلُكُهُ
مَنْ زاغَ عَنْهُ ، وَهَلْ كالزَّيْغِ من عارِ ؟
هي القَصيدةُ .. إكْسيرُ السَّعادةِ بَلْ
كُلُّ السَّعادةِ في دارَيْنِ ، لا دارِ
هي المَحَبَّةُ .. جِسْرٌ للإخاءِ ، وَهَلْ
كَمِثْلِها حافِزٌ داعٍ لإيثارِ ؟
هي البشائرُ تَتْرى مِنْكِ دائِمَةً
بِصَحْوةٍ ، كُلُّها نورٌ لأبْصارِ
والصُّبْحُ مَهْما تَمادى اللَّيلُ مَطْلَعُهُ
حَتْمٌ ، وَسَيْلُ سَناهُ دافِقٌ جارِ !
بُورِكْتِ يا « أُمَّةَ الإسْلامِ » يا عَلَماً
في أُفْقِنا يَتَمَلَّى حُسْنَهُ القاري

(1) إشارة إلى ديوان للشاعر بعنوان (ألف باء) .
(2) إشارة إلى ديوان آخر بعنوان (من اغاني البراعم) .
(3) إشارة لديوان (انغام طائرة) .

الضياع ... والمسؤولية

●● لم يكن سوى المراة في البيت .. وكانت تجهز الطعام كعادتها في مثل هذه الساعة .. وكانت تستمع إلى قارىء القرآن المرتل الذي لم يكن يفارقها صوته اثناء القيام باعمالها ... وقد تعودت ان تنصت إلى برامج الفتاوى والتفسير وتحاول نقل ما تفهمه منها إلى جاراتها .. وكانت تفرح بهذا وتعتبره عملًا صالحاً تحتسب اجره عند الله .

والسيدة ام محمود منذ زوجت ابنها الأصغر احمد قبل شهور تدعو الله وتبتهل إليه ان يمد في عمرها لتزوج ابنها الكبير محموداً ... وكانت تعتبر ان مهمتها اثناء غيابه للدراسة في الخارج هي البحث عن الزوجة الصالحة . وفيما هي مشغولة في عملها هذا دخل عليها زوجها ... « سلام الله عليك يا ام محمود .. كيف حالك ؟ » ... « وعليكم السلام يا ابا محمود .. نحمد الله .. خيراً ما الذي عجل بعودتك ؟ » .. وتمهل زوجها قليلاً ثم قال : « لا .. لا .. الحمد لله .. كل شيء على ما يرام .. فقط احسست بالتعب ففضلت العودة .. سوف اذهب لحجرتي » .

كان الرجل يبدو مهموماً .. ولم يغب هذا عن زوجته .. دخل إلى حجرته وجلس على سجادة الصلاة بعد ان خلع ملابسه وارتدى الجلباب وامسك المصحف واستغرق في قراءته ، والتفت إليها ... وقال في حزن : « العوض عند الله .. العوض عند الله » .. وسالت زوجته : « ماذا حدث ؟ إنني اتوجس خيفة منذ رايتك ... لم يخف عليَّ حزنك .. اخبرني ماذا حدث ؟ » .

قام الرجل ليضع المصحف في مكانه .. وقال وهو لا يزال ينظر إلى المصحف : « تعلمين انني خرجت في الصباح لكي اذهب واتسلم المعاش الشهري .. ولكن اثناء نزولي قابلني ساعي البريد .. وسلمني خطاباً من ولدنا الأكبر محمود .. ولا تقاطعيني .. إنه يقول : إنه سعيد في المانيا وإنه بخير ... و ... وإنه تزوج ... نعم .. تزوج .. » .

وابتسمت المراة .. « آه منك يا رجل ... لم تغيرك الايام .. دائماً تبالغ .. وماذا في الامر .. نعم انا حزينة مثلك لاننا لم نختر له زوجته بانفسنا .. ولكن لا تنس ان محموداً كان ينبغي له الزواج من زمن لولا انشغاله بالدراسة » ... ولكن الرجل ظل متجهماً .. واتجه نحو مقعد قريب .. وقال وهو يهم بالجلوس : « لقد تزوج فتاة المانية .. نصرانية .. وهو يقول : إن له دينه ولزوجته دينها .. وإن هذا لا يشغله .. ليس هذا فحسب يا ام محمود .. إنه بعد ثلاث سنوات ، اي بعد حصوله على الدكتوراه لا ينوي العودة إلى بلده مرة اخرى » .

... واطرقت المراة ... إن محموداً ابنها البكر .. وقد دابت على ملاحظة الفتيات من قريباتها علّها تجد له الزوجة الصالحة فتزوجه إياها فور حضوره ... ولكن ما العمل ؟!.. ورسمت على وجهها ابتسامة وقالت لزوجها : « دع الأمر لله » .. « نعم .. نعم .. الأمر كله لله ... ولكن .. الم يفكر في ابنائه واي دين يعتنقون ؟! ... ونحن .. اليس لنا حق عليه ان يبرنا في شيخوختنا ؟.. وبلده الذي اوفده اينسى فضله ؟ و ... ... » .

وقاطعته زوجته وقد بدا وجهها جامداً .. « لا تغالط نفسك يا ابا محمود ... إنك السبب على اية حال .. اتراك نسيت .. لكم رجوتك ان تودع صدره شيئاً من كتاب الله وهو صغير ... ولكنك لم تهتم لهذا ... وحتى الصلاة يا رجل لم تكن تامره بها وتحضّه عليها .. لقد كانت غايتك كلها ان ينجح ويتفوق .. هل نسيت يا ابا محمود ؟!.. انت المسؤول عن ضياع ولدنا .. انت وحدك .. فلماذا تحزن الآن ؟! إنك لم تسلّحه بسلاح الدين والعقيدة .. ليخوض معترك الحياة على نور من ربه وبصيرة من امره .

كان يسعدك فقط تفوقه ... و ... » وتوقفت عن الكلام .. وقالت لزوجها وقد استعادت هدوءها ... « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. دع الأمر لله يا ابا محمود وهو وحده بيده صلاح الأمر كله » ... وقال لها زوجها في هدوء وقد بدا عليه التفكير : « حسبنا الله ونعم الوكيل » .. ولم ينظر إلى زوجته فهو يعلم انها قالت الصدق ... واصطنع البحث عن كتاب وقال لها دون ان يلتفت ناحيتها .. « اذهبي فاعدّي الطعام » .

... وجلس وحده .. وتذكر عندما كان شاباً ... لم يكن بالرجل السيء .. ولكنه لم يكن المسلم الملتزم .. إنه يرى هذا بوضوح الآن ، كان ينفق بسخاء على اسرته ، وكان يحسب يومها ان هذا هو دور الأب كله نحو اسرته .. ولكن العمر يمر .. وقد هداه الله مع الأيام وانتظم في الصلاة وعرف حلاوة الإيمان .. ولكنه يحمد الله على كل شيء .. وقد جعل الله ابنه الثاني احمد مثالاً يحتذى في التقوى والإيمان ... ولامته نفسه على تقصيره في حق ابنه الكبير .. وحق نفسه وحق مجتمعه .. وبكى واستغفر الله واسترحمه .. ودعا لابنه بالصلاح والهداية ..

[حســـين كامل]

مؤتمر القانونيين الإسلاميين بالسودان يدعو للتمسك بالتشريعات الإسلامية

■■ اكّد مؤتمر القانونيين الإسلاميين في السودان أنَّ : « إجماع المسلمين - في السودان - منعقد على التمسك بشرع الله تعالى ، وان بعض الأصوات التي ظهرت تنادي بإلغاء التشريعات الإسلامية هي اصوات نشاز مستوردة من الخارج لا علاقة لها بالشعب المسلم في السودان ، فهي تفتقر لأي سند شعبي .. إنها الأصوات نفسها التي ظلت معارضة للشريعة منذ المناداة بها وسعت بكل الوسائل والأساليب لعرقلة تطبيقها تطبيقاً شاملاً ورشيداً » ..

وقال « المؤتمر » في مذكرة رفعها في شعبان الماضي للسلطات السودانية : « إنَّ مجرد رفع النظام السابق لشعار تطبيق الشريعة الإسلامية لا يقوم سبباً مبرراً لرفض الشريعة ، فتحكيم شرع الله واجب على المسلمين ولا يكتمل إيمانهم إلَّا بذلك » .

واضاف « ... ولا يضر شرعَ الله تعالى أيُّ شوائب تقترن بتطبيقه في زمن من الأزمان ، فتلك شوائب منسوبة للإنسان" ويبقى شرع الله تعالى هو الواجب الاتباع والمتضمن لمصالح الناس في الدنيا والآخرة » .

واكَّد المؤتمر على ان تطبيق احكام الشريعة الإسلامية كان ولا يزال مطلباً لجماهير كل الأحزاب والطوائف .. ولذلك لا يجوز التعرض « للتشريعات الإسلامية بالتعطيل او التبديل » . وابدى المؤتمر الذي « يمثل علماء الشريعة والقانون المعبرين عن ضمير الأمة المسلمة في السودان » استعداده للإسهام في أيِّ دراسات حول ما صدر في المرحلة السابقة من تشريعات إسلامية بقصد تبيينها او تكميلها .. مع تجنيد كل طاقاته وجهوده للمشاركة بالراي والعمل والمتابعة والنصح او المشورة او القيام بواجب .. ■■

المركز الإسلامي لشمالي « فرجينيا »

■■ دعا الدكتور ميان محمد سعيد استاذ التاريخ والثقافة الإسلامية بجامعة جورج ميسون بولاية « فرجينيا » ورئيس « المركز الإسلامي لشمالي فرجينيا » - المسلمين - افراداً ومؤسسات وحكومات ، إلى مساعدة إخوانهم لبناء مركز إسلامي كبير في هذا الجزء من الولاية الأمريكية ..

وقال في حديث ادلى به لـ « الأمة » إبّان جولة قام بها الشهر المنصرم في دول الخليج : [... إن لم يتم تشييد المركز الإسلامي ، فإني اخشى ان تنقطع صلة المسلمين بإسلامهم بعد ثلاثة اجيال] ..

ويقول :

[... وفقاً للقوانين المعمول بها في ولاية « فرجينيا » ، صدرت الموافقة في ٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨١م بتاسيس « المركز الإسلامي لشمالي فرجينيا » .. بهدف تقديم الخدمات الدينية والتعليمية والاجتماعية والثقافية للجالية المسلمة في شمالي فرجينيا « ٢٤,٠٠٠ مسلم » بشكل خاص ، وفي منطقة واشنطن « ١٠٠,٠٠٠ مسلم » بشكل عام .. وقد استاجر القائمون بالأمر قاعة في مبنى استطاعوا من خلالها ان يجمعوا المسلمين في صلاة الجمعة والتراويح والعيدين ، وفي المناسبات الإسلامية المختلفة مثل الاحتفال بالإسراء والمعراج وليلة القدر والمولد النبوي الشريف .. وفي مناسبات الزواج والمآتم ..

وتعتبر مدرسة يوم الأحد مظهراً آخر لخدمات المركز حيث يلتقي الطلاب من أبناء المسلمين كل يوم احد لتلقي دروس في القرآن الكريم واللغة العربية والدراسات الإسلامية .. كما يوجد فصل دراسي للمسلمين الجدد ..

وقد تمكنّا بحمد الله من الحصول على قطعة ارض تبلغ مساحتها حوالي سبعة أفدنة ونصف لإقامة مشروع المركز الإسلامي .. وتقع القطعة في موقع مناسب بالقرب من جامعة « جورج ميسون » وعلى بعد حوالي (١٨) ميلاً من مدينة

حاسب آلي صغير لمواقيت الصلاة في أربعة آلاف مدينة في العالم

■■ ترتبط مواقيت الصلاة - كما هو معروف - بالحركة الظاهرية اليومية للشمس - اي بحركة الأرض حول الشمس ، كما ترتبط ايضاً بموقع كل بلد على سطح الكرة الأرضية ، وبذلك يؤدي اختلاف مواقع الشمس في ابراجها الاثني عشر ، واختلاف مواقع البلدان إلى اختلاف مواقيت الصلاة من بلد إلى آخر ، وإلى اختلافها في المدينة الواحدة حسب الفصول .

وقد كانت قضية حساب مواقيت الصلاة في البلاد الإسلامية لا تشكل مشكلة كبيرة ، نظراً لوجود عدد من المتخصصين الذين يهتمون بها ويقومون بتحديد المواقيت لبعض المدن الرئيسة ، مع إعطاء الفوارق الزمنية للمدن المختلفة ، وكثيراً ما كانت بعض هذه النتائج تتضارب بسبب اختلاف المبادىء التي يقوم عليها الحساب او بسبب اختلاف الوسائل المستخدمة في إجرائه ..

والحقيقة انه قد امكن تعيين مواقيت الصلاة دون مشقة في البلاد الإسلامية - معتدلة المناخ - وذلك على ضوء العلامات التي حددتها الشريعة لتعيين المواقيت ، والمرتبطة بحركة الشمس الواضحة في تلك البلاد .. إلَّا انه في البلاد التي يتجاوز موقعها خط العرض ٤٨ شمالاً او جنوباً ، فإنه يحدث ان تضطرب بعض العلامات في بعض ايام السنة ، ويصبح من العسير تحديد وقت الصلاة ، كما هو الحال مثلاً في اشهر : ايار - حزيران - تموز (مايو ، يونيو ، يوليو) في بعض المدن الكبيرة مثل لندن وباريس وبروكسل وبرلين وموسكو ... وغيرها . حيث لا يغيب هناك

واشنطن العاصمة] ..

وعن مكونات مشروع المركز يقول :

[يتكون مشروع المركز الإسلامي من : مسجد جامع « ١٢٫٧٥٠ قدم مربع » يحتوي على طابق علوي للنساء ، ومدرسة إسلامية « ٦٫١٢٠ قدم مربع » ، ومكتبة لتوفير الكتاب الإسلامي بمعظم اللغات المستخدمة في العالم الإسلامي واللغات الأخرى ، ومركز للبحوث في الدراسات الإسلامية الموجهة بشكل خاص إلى المسلمين الجدد ، ودار لرعاية اطفال المسلمين ومساعدة والديهم بتربيتهم في مناخ إسلامي ومسكنٍ يسع مائة من الطلاب الوافدين للدراسة في جامعة « جورج ميسون » والمناطق القريبة .. ويتضمن المشروع ايضاً قاعة لعقد الاجتماعات والندوات والمناظرات وإقامة حفلات الزواج ..

وتعتبر المقبرة « ١٠٨٫٩٠٠ قدم مربع » من اهم مكوِّنات المشروع حيث لا توجد للمسلمين بمنطقة شمالي « فرجينيا » مقبرة خاصة لدفن موتاهم ، وقد وصلت الضرورة ببعضهم إلى دفن موتاهم في مقابر غير المسلمين .. وإلى جانب المقبرة توجد غرفتان إحداهما لغسل وتكفين الميِّت والأخرى للصلاة عليه] .

■ ميـان سعيـد ■

مشـكلات الجاليـة

وعن المشكلات التي تواجه الجالية يقول دكتور ميّان :

[... تواجه الجالية مشكلتان اساسيتان .. اما الأولى فهي ان السواد الأعظم ليس في وضع اقتصادي مرضٍ ، وإمكاناته المادية محدودة ولذلك إذا لم يتعاون معنا إخواننا في البلاد الإسلامية فإنَّا لن نستطيع وحدنا بناء المركز ..

أمَّا المشكلة الثانية فتكاد تكون ناتجة عن الأولى : إذ ان الوضع الاقتصادي غير المرضي جعل الآباء والأمهات يعملون على فترتين ، صباحيةٍ ومسائية ، لتحسين ظروف المعاش ، فتاثر سلباً بذلك الأبناء الذين فقدوا المربي والموجه ، وتُركوا نهباً للتلفاز ودور الحضانة والمدارس تصوغ عقولهم وتهيىء نفوسهم بعيداً جداً عن الإسلام] ..

واختتم الدكتور ميان سعيد حديثه قائلاً :

[... إنَّ مشروع المركز يستهدف تمكين المسلمين من إقامة شعائرهم الدينية وتربية اجيالهم الناشئة على مبادىء الدين الحنيف ، ووصل الأجيال اللاحقة بعقيدة آبائهم وأجدادهم .. وبالله التوفيق] . ■■

شفق العشاء ، ويبقى مستمراً حتى يتحد مع الفجر ، الأمر الذي يؤدي إلى عدم القدرة على التمييز بين علامتي هذين الوقتين ..

ومن الناحية الفلكية فإن وقت صلاة العشاء ووقت صلاة الفجر ـ في تلك الفترة من السنة ـ يكونان متطابقين في منتصف الليل الفعلي ، وعلى سبيل المثال فإن وقت صلاة العشاء ووقت صلاة الفجر في مدينة « لندن » في يوم ٢١ يونيو [حزيران] ١٩٨٥م هو الساعة ٢٤٫٠٤ بالتوقيت الرسمي المحلي ..

وقد عقدت خلال السنوات القليلة الماضية عدة مؤتمرات ضمت علماء المسلمين من المتخصصين ، لإيجاد الحلول الشرعية المناسبة لتعيين مواقيت الصلاة في مثل هذه المناطق ، وتم الاتفاق على حل يجمع بين القواعد الشرعية وقواعد الحسابات الفلكية الحديثة ، وذلك في مؤتمر علماء الشريعة والفلك المنعقد في المركز الإسلامي في « لندن » ، في شهر شعبان من العام الماضي ١٤٠٤هـ ..

وقد تمكَّن باحثان مسلمان من تصميم آلة حاسبة صغيرة الحجم ـ على أساس القواعد الحسابية ـ على درجة عالية من الدقة والسهولة في الاستخدام ـ وذلك لتعيين مواقيت الصلاة في المنطقة ما بين خطي عرض (٦٥) درجة شماليَّ وجنوبيَّ خط الاستواء ، اي في المنطقة التي تشمل معظم العالم المسكون من الكرة الأرضية .. وتقوم الآلة الجديدة بتحديد الأوقات الستة (الفجر ـ الشروق ـ الظهر ـ العصر ـ المغرب ـ العشاء) في اي مدينة تقع في هذه المنطقة في اي يوم من أيام السنة .. مع الأخذ بعين الاعتبار وقت التمكين لكل صلاة بمقدار دقيقتين ، وتبقى المعلومات التي تقدمها هذه الآلة صحيحة لمدة نصف قرن ، لا تحتاج بعدها إلى تصحيح اكثر من ثلاثين ثانية ، ويبقى هذا التصحيح بدوره واقعاً ضمن دقيقتي التمكين ..

والآلة الجديدة التي يمكن استخدامها ايضاً كآلة حاسبة عادية ، لا يزيد وزنها عن (٣١) جراماً ، تعمل ببطارية صغيرة ، وتستخدم « ميكرو بروسِسُور » متطور جداً لحفظ اوقات الصلاة واستدعائها حين الحاجة .. وهي بحجم ٨٫٥سم×٣سم×٥٫سم ، ومعها دليل صغير يشرح طريقة الاستخدام ، والإحداثيات اللازمة لحساب المواقيت في اكثر من اربعة آلاف مدينة في انحاء العالم .. ■■

ملتقى الفكر الإسلامي

التاسع عشر

■■ ينعقد بمدينة « بجاية » الجزائرية في الفترة من ١٩ ـ ٢٦ شوال ١٤٠٥هـ [٨ ـ ١٥ تموز (يوليو) ١٩٨٥م] « ملتقى الفكر الإسلامي التاسع عشر » تحت عنوان : « الغزو الثقافي والمجتمع الإسلامي المعاصر » ، وذلك بحضور جمع كبير من الأساتذة والمفكرين من داخل الجزائر وخارجها ، واشتراك كثير من طلاب الجامعات الجزائرية ..

وتدور اعمال الملتقى حول ثلاثة محاور رئيسة :

اولاً : مفهوم الثقافة والتبادل الثقافي والغزو الثقافي ، حيث يقوم الأساتذة المشاركون بتحليل وضعية الغزو الثقافي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة وتحديد اهم اساليب الغزو الثقافي وآثاره في مجالات الفكر واللغة والآداب والترجمة وغيرها .. كما ستبحث بعض العوامل التي تمهد للغزو ، داخلية كانت كالتخلف في ميادين العلوم والتخطيط الاقتصادي ، او خارجية كالتفوق العلمي والتطبيقي في الغرب ، إضافة إلى عوامل اخرى كهجرة الأيدي العاملة والسياحة ..

ثانياً : الثقافة الإسلامية : تحديد مفهومها ، واسسها ، وخصائصها واهدافها ، وتطورها ، وإشكالياتها اليوم .. وسيطرح في هذا الإطار إمكانية التنسيق بين رجال الثقافة الإسلامية من جهة والمؤسسات الثقافية التي تعنى بنشر وتعميم الإنتاج الإسلامي من جهة اخرى ..

ثالثاً : اهم الاتجاهات الفكرية السائدة في العالم المعاصر والثقافة الإسلامية .

ويعتبر هذا الملتقى الذي تشرف على إعداده وتنظيمه وزارة الشؤون الدينية في الجزائر ، تظاهرة ضخمة يُدعى للمشاركة فيها كل عام اعداد كبيرة من العلماء والمفكرين والباحثين والكتّاب ، ليس على مستوى العالم فحسب وإنما على مستوى العالم الإسلامي ايضاً .. ويعد من افضل السنن الحسنة التي سنتها الجزائر في مجال الفكر والبحث والدراسة والتي غُرست بذرتها في بيت المفكر الجزائري المعروف « مالك بن نبي » رحمه الله تعالى في عام ١٩٦٨م ..

وتجدر الإشارة إلى ان الملتقى الثامن عشر عقد في الفترة من ١١ ـ ١٧ شوال ١٤٠٤هـ [١٠ ـ ١٦ تموز (يوليو) ١٩٨٤م] بمدينة الجزائر العاصمة وكان بعنوان « الصحوة الإسلامية والحضارة المعاصرة » . ■■

■ الصحوة الإسلامية والحضارة المعاصرة في ملتقى الفكر الإسلامي الثامن عشر ■

في عالم الاقتصاد

« أوبك » والاتحاد السوفييتي

والدور الخفي

■■ تؤكد مصادر المعلومات النفطية أنَّ امريكا لم تعد القوة الدولية الوحيدة التي تسعى ، بخطط مرسومة ، لتخفيض اسعار النفط وتحطيم منظمة الأقطار المصدرة للنفط « اوبك » التي تمثل البلاد العربية الإسلامية العنصر الأساسي فيها ، وإنما الاتحاد السوفييتي هو الآخر يقوم بدور ـ وإن كان خفياً ـ لتحقيق الهدف نفسه ..

وقد كُشف عن هذا الدور خلال معركة دبلوماسية نشبت مؤخراً بين « فنزويلا » ـ عضو المنظمة ـ والاتحاد السوفييتي اتهمت فيه الأولى الاتحاد السوفييتي بالمساهمة في إغراق السوق العالمية بالنفط ، وبالضغط على هذه السوق لصالح تحطيم اسعار « اوبك » .. وأكَّد وزير الطاقة والمعادن الفنزويلي أنَّ لجنة مراقبة السوق التي كوَّنتها المنظمة مؤخراً ، أيقنت ان الدول المنتجة غير المنتمية إلى المنظمة ـ باستثناء المكسيك ـ تسعى إلى نسف المساعي لتدعيم السعر العالمي للنفط وتثبيته .

ومع ان الاتحاد السوفييتي يعتبر من الدول المنتجة للنفط إلَّا ان ازدياد حجم صادراته من النفط الخام ، ابتداء من مطلع

ارتداد مليون مسلم بنغالي

■■ تفيد المعلومات الواردة من بنغلاديش أنَّ حوالي مليون مسلم قد ارتدُّوا عن الإسلام واعتنقوا دين المنصِّرين ، وذلك خلال الاعوام الخمسة عشر الماضية .. ونسبت صحيفة « سانجياد » التي تصدر في « داكا » إلى « محمد عبد السبحان » المدير العام للمؤسسة الإسلامية ـ التابعة للدولة ـ قوله بأنَّ الفقر المدقع والأمية وانعدام الرعاية الطبية ، تمثل بعض اسباب هذا التحول .. واشار إلى ان بعض مسلمي المناطق الفقيرة يغيِّرون عقيدتهم بسبب وجود منشآت افضل للتعليم والرعاية الطبية تتولى توفيرها نحو (٤٠٠) بعثة تنصيرية ..

وممَّا يؤسف له ان المسؤول البنغالي رغم قوله بان منظمته ستجري دراسة لتحديد سبب تخلي بعض المسلمين عن عقيدتهم إلَّا انه لم يشر إلى ايّ دور لإعادة المرتدين إلى الإسلام ، وإنما اكَّد عدم وجود خطة فورية لذلك ..

ومن هنا فإنَّ المسؤولية تقع على المسلمين بشكل عام والمقتدرين منهم بشكل خاص لمواجهة الزحف التنصيري المتغلغل في بلد اهله مسلمون وتكوَّن ـ كدولة ـ على اساس الإسلام .. وذلك حتى لا تتكرر مأساة « الفلبين » ، و « سنغافورة » وغيرهما من البلاد الإسلامية . ■■

العام الجاري ، كان ملفتاً للنظر ومثيراً للتساؤل ايضاً عن مصدر الكميات الزائدة التي تم تصديرها ..

مؤسسة بلان - اكون (Plan Econ) الاستشارية المتخصصة بشؤون النفط ، اكدت - في تقرير لها - ان نفط الشرق الأوسط الذي يحصل عليه الاتحاد السوفييتي ويعيد تصديره إلى الأسواق العالمية هو السبب المباشر لارتفاع حجم صادرات النفط السوفييتي .. وعززت المنظمة التي تتخذ من واشنطون مقراً لها ، ما ذهبت إليه ، بإحصاءات تؤكد ان كميات النفط العربي المعاد تصديره من قبل الاتحاد السوفييتي إلى الدول الغربية ، ارتفعت بنسبة ١٣٪ خلال عام ١٩٨٤م اي ما يعادل ٢٨٢٫٨٠٠ برميل في اليوم .. واضافت المؤسسة أنَّ هذه الصادرات امنت للاتحاد السوفييتي دخلاً سنوياً من العملات الأجنبية يقدر بثلاثة مليارات دولار ..

وفي هذا ما يؤكد ان الاتحاد السوفييتي يعمل كغيره من القوىٰ الدولية المعادية على محاربة النفط العربي بالنفط العربي .. ولن يهدأ للقوى المعادية كلها بال حتى ترىٰ اسعار النفط العربي وقد عادت أدراجها إلى ما قبل عام ١٩٧٤م أو اقل .. وهو ما ينبغي ان يبصره خبراء النفط العرب . ■■

تشكيل مجلس للدفاع عن أمن أمريكا أمام النفط العربي

■■ أسس صهاينة أمريكيون ومنتجو نفط مستقلون في ولاية تكساس مجلساً يهدف إلى حماية شركات النفط المحلية من قوانين الضرائب الأمريكية التي قد تضر بصناعة النفط المحلية ، ومن ثمَّ تقليل الاعتماد الأمريكي على النفط العربي ..

ويترأس المجلس الذي أعلن عن تشكيله في منتصف أيار (مايو) باسم (مجلس الدفاع عن أمن أمريكا) ، « سيبليج زايس » وهو رجل أعمال يهودي من نيويورك .. وسيعمل المجلس لتحقيق أهدافه من خلال تشكيل مجموعات ضغط في الكونجرس وفي أماكن أخرىٰ ..

وتشير تقارير صحفية إلى أن النائب الديمقراطي عن كاليفورنيا « توني كولهو » هو الذي حضَّر لهذا التحالف بين اللوبي الصهيوني وبين أصحاب صناعة النفط الأمريكيين .

ونسبت صحيفة « واشنطن بوست » الأمريكية في عددها بتاريخ ١٦ مايو [أيار] ١٩٨٥م إلى « كولهو » القول بأنَّ « هناك صلة وثيقة وتاريخية بين اليهود وأصحاب صناعة النفط المستقلين تمثلت في كونهما قدما المساعدات والمساهمات لحملات الديمقراطيين الانتخابية بسخاء » .. وأضاف أن « قضية النفط المستورد هي التي جمعت بين الجانبين » ..

ويرىٰ المراقبون أنَّ الهدف الأبعد للمجلس هو كسب مزيد من الحلفاء في الكونجرس لتقديم المعونات لدولة الكيان الصهيوني وتشجيع فرض رسوم مرتفعة على النفط المستورد من دول الخليج بشكل خاص .. وكان « سيبليج زايس » قد اشار في لقاء معه إلى قلق المجلس من احتمال استخدام سلاح النفط مرة ثانية في المستقبل .. وقال : إنَّ هذا القلق يفسر جهودهم لوقف عمليات استيراد النفط من الشرق الأوسط ..

تجدر الإشارة إلى أن إدارة المجلس تتألف من اثني عشر عضواً من بينهم « جيمس رايت » زعيم الأغلبية في مجلس النواب و « ماك والاس » أحد رجال النفط البارزين في تكساس وعضو هيئة الخط الحديدي فيها و « هاوارد سكادرون » المحامي الذي شغل منصب رئاسة المؤتمر اليهودي الأمريكي سابقاً . ■■

أخبار قصيرة

●● اظهرت إحصائية رسمية صادرة عن وزارة التجارة الأمريكية ان التبادل التجاري بين الولايات المتحدة والدول العربية انخفض العام الماضي بنسبة تتراوح بين ٨٪ و ١٠٪ اي اقل من (٢٣) بليون دولار مقابل (٢٥٫٣) بليون دولار عام ١٩٨٣م .. ويعزىٰ الانخفاض إلى عدة عوامل من بينها ارتفاع الدولار وانخفاض اسعار النفط .. ومن جهة ثانية احتفظت اليابان ، للعام الثالث على التوالي ، بالمركز الأول في التجارة مع العالم العربي ...

●● تفيد مصادر المجاهدين الأفغان ان الاتحاد السوفييتي ينوي - لأسباب امنية - نقل العاصمة الافغانية من « كابول » إلى « مزار شريف » التي تقع على ارض ليس بها جبال قريباً من الحدود السوفييتية .. وتجدر الإشارة إلى ان المجاهدين تمكنوا من ضرب عدد من المواقع الهامة في عمق « كابول » ، من بينها وزارة الدفاع والسفارة السوفيتية .

●● دعا البروفيسور عبد رب الرسول سياف - رئيس الاتحاد الإسلامي لمجاهدي افغانستان - المسلمين ان يخرجوا زكاة أموالهم ويعطوا المجاهدين نصيباً منها .. وقال في بيان صدر عن إدارة الشؤون الإسلامية التابعة للاتحاد الإسلامي : إن المشكلة الكبرىٰ ، التي تواجه المجاهدين ، هي قلة الإمكانات المالية .. كما طالب بمساعدتهم بتوفير وسائل الحرب الحديثة .

●● رفض المدير العام لمطار « هيثرو » بلندن طلباً من اتحاد المساجد ودار الرعاية الإسلامية وغيرهما من المنظمات الإسلامية في بريطانيا ، بتخصيص مكان في الميناء « رقم ٣ » بالمطار يكون مسجداً يُصلي فيه مئات المسلمين الذين يستخدمون المطار يومياً ..

●● عقد في ٢٢ رجب ١٤٠٥هـ (١٢ إبريل [نيسان] ١٩٨٥) بالمسجد المركزي بمدينة « بيرمنجهام » البريطانية اول مؤتمر في تاريخ المسلمين في بريطانيا للمسلمين الناطقين باللغة الإنجليزية .. حضر المؤتمر حوالي (٢٥٠) بين رجل وامرأة .. وناقش - بشكل رئيس - قضايا التعليم والدعوة ..

قراءة ثقافية

البشير الإبراهيمي : عالماً مجاهداً وأديباً مسلماً

■■ اقام معهد اللغة والأدب بجامعة وهران بالجزائر ملتقىً دولياً للرائد الإسلامي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي احتفالاً بذكراه العشرين ، وبذكرى وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس الخامسة والاربعين ، اللذين يعود إليهما الفضل في تأسيس جمعية العلماء المسلمين التي كانت وراء ثورة الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي .

ويعد البشير الإبراهيمي ـ المحتفل بذكراه ـ انموذجاً للعالِم المجاهد الذي يمكن للمصلحين اليوم أن يتمثلوه ، فقد كان مجاهداً لا يكل ، درس وتلقى تعليمه على أيدي علماء الدين ، فعرف واجب العالم الحقيقي تجاه شعبه ، يبصره بحقوقه ، ويرشده إلى الحق لا يخشى في الله لومة لائم .. فقام بالتحذير من مداخل الاستعمار الفرنسي الذي كان يحتل الجزائر ، خاصة التحذير من فكرتي التجنيس والاندماج اللتين أرادهما الفرنسيون للجزائريين محواً لشخصيتهم ، كما وقف ضد « فرنسة » اللغة التي أرادها الفرنسيون ليقطعوا صلة الجزائريين بقرآنهم الكريم وتراثهم الإسلامي الذي يستمدون منه أصالتهم الإسلامية .

ولم يتوقف عمل البشير الإبراهيمي على إلقاء الخطب ـ مع أهميتها ـ بل رأى أهمية الكلمة المكتوبة في نشر الوعي الإسلامي بين الجزائريين ، فأصدر صحيفة (البصائر) ، لكنها تعطلت عام (١٩٣٩م) فعاود إصدارها عام (١٩٤٤م) بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، حيث أثار فيها مختلف القضايا التي تهم مسلمي الجزائر ، مثل : عروبة الشمال الأفريقي الذي أراد الفرنسيون فرنسته وفصله عن العالم الإسلامي وانتمائه العربي . وكشف عن مشاعر الشعب الجزائري تجاه المشرق والإسلام ، واشار إلى أثر الأزهر الشريف في النهضة الإسلامية

● الشيخ البشير الإبراهيمي ●

التي كان يدعو إليها .. وكان شعار صحيفته : (العروبة والإسلام) .. ومن أقواله عن أصالة العروبة والإسلام في المنطقة : [... من قال إن البربر دخلوا الإسلام طوعاً .. فقد لزمه القول بأنهم قبلوا العربية عفواً ، لأنهما شيئان متلازمان ، ومحاولة الفصل بينهما كمحاولة الفصل بين الفرقدين ...] .

كان الشيخ الإبراهيمي متعدد المواهب حقاً ، حمل قضية أمته ، فجاء الشعر والأدب ثمرة لوعيه ، فبإدراكه للدور الذي يمكن أن يؤديه الأديب والشاعر لأمته ، استطاع أن يمتلك ناصية البيان ، فَعُرِفَ بذاكرته القوية التي استوعبت علوم اللغة ، كما أبدعت قريحته شعراً جعله من الشعراء الفحول ، مما حدا ببعض معاصريه للدعوة إلى مبايعته أميراً للبيان العربي ..

ولم يكتف بدوره الرائد هذا ، كمشعل لجذوة الفكر في الشعب الجزائري المسلم ، خطيباً ، واديباً ، وشاعراً مسلماً .. بل اقترن ذلك عنده بالعمل الإيجابي الذي جعله في عداد أرباب السيف والقلم ، فحمل السلاح وكان في طليعة المجاهدين في سبيل الله لتحرير وطنهم الإسلامي من المغتصب .

وحدود الوطن لم تقف في تصور البشير الإبراهيمي عند حدود قد اصطنعت سياسياً من قبل الاستعمار ، فلم يكن وطنه الإسلامي هو الجزائر فقط ، بل دافع عن عروبة وإسلام الشمال الإفريقي كله .. ولم تكن القضية الفلسطينية أيضاً غائبة عن رؤيته ، فدافع عنها بقلمه ومقالاته وأبحاثه ، واعتبر ضياع فلسطين راجعاً إلى تهاون المسلمين وتخاذلهم في الدفاع عنها ، وقال في ذلك : [... ما أضاع فلسطين إلّا العرب ، وقد جاءتهم النذر فتماروا بها ، ثم حق الأمر وهم غارُّون فاندهشوا ، ثم وقعت الواقعة فأبلسوا ...] .

● الشيخ عبد الحميد بن باديس ●

وقد ولد الإبراهيمي بمدينة قسنطينة في الجزائر عام (١٣٠٦هـ ـ ١٨٨٩م) ، ورحل في طلب العلم إلى المدينة المنورة ، ثم سافر إلى الشام حيث عمل أستاذاً للأدب العربي ، ثم إلى الجزائر كانت عودته فانشأ مع الشيخ عبد الحميد بن باديس جمعية العلماء المسلمين التي جعلت هدفها : إحياء تعاليم الإسلام الصحيحة ، واللغة العربية .

هذا ويعد الملتقى الدولي الذي عقد حول هذا العالم الأديب جهداً طيباً قام به معهد اللغة والأدب ، يمكن أن تتمثله كثير من المعاهد والجامعات المنتشرة في العالم الإسلامي ، لتلقي الضوء على جهود علماء وأدباء عرفوا حقاً كيف يعملون بجد وإخلاص . ■■

متابعات ثقافية

■ اختارت جمهورية « أذربيجان » الإسلامية التي تحتلها روسيا التمسك باللغة الأذربيجانية كلغة أساسية لها في المدارس الثانوية والمعاهد والجامعات ، وجاء ذلك في دراسة إحصائية أجريت هناك ، وأشارت إليها صحيفة (الأهرام) المصرية وقالت : إن (٩٨٪) من مواطني الجمهورية قد أكدوا تمسكهم باللغة الأذربيجانية .. ومن المعروف أن السلطات الشيوعية تحاول إحلال اللغة الروسية محل اللغات الأصلية للشعوب الإسلامية التي كانت مستقلة قبل الاحتلال الروسي ، ويبلغ عدد هذه اللغات خمس عشرة لغة .

■ عن مركز الوثائق والدراسات الإنسانية التابع لجامعة قطر صدر كتابان : الكثبان الرملية في شبه جزيرة قطر - الجزء الثاني ، والقصة القصيرة في قطر - دراسة فنية اجتماعية .

■ في بغداد نظم الاتحاد العربي للاتصالات السلكية واللاسلكية مؤخراً الدورة العاشرة للجنة التنسيق لمشروع (راب) الخاص بترجمة مصطلحات الاتصالات وتعريبها .. وقد أتم المشروع حتى الآن نقل (١٣٠) ألف مصطلح إلى اللغة العربية .

■ صدرت ببيروت موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ، ويهدف المركز الإسلامي للإعلام والإنماء الذي أصدر الموسوعة بهذا العمل إلى الكشف عن إسهام مسلمي لبنان في التراث الإسلامي في وقت تعلو فيه موجة تزييف تاريخ لبنان ومسخ الشخصية الإسلامية فيه .. وتتألف الموسوعة من ثلاثة أقسام ، يشتمل كل قسم على خمسة مجلدات .

■ (لك يا ربّ نشيدي) مجموعة أناشيد إسلامية من تأليف محيي الدين سليمة ومحمد موفق سليمة ، قال عنها المؤلفان : « إنها باقة من الأناشيد نمت تحت ظلال القرآن الكريم ، وحب من أرسل رحمة للعالمين .. سقيت بماء العشق والشوق والحنين .. » ، وقد جاءت مجموعة الأناشيد في ست مجموعات هي : (قبس من القرآن الكريم) ، (أركان الإسلام) ، (يا رب) ، (عباد الرحمن) ، (قصص من القرآن الكريم) ، (محمد ﷺ قدوتي) .

■ صدر بالقاهرة كتاب التنمية الاجتماعية في الإسلام للكاتب يسري عبد الغني عبد الله وذلك في سلسلة المكتبة الثقافية التي تصدر عن الهيئة العامة للكتاب .

الصحـوة : صحيفة إسلامية جديدة

■■ صدرت في صنعاء باليمن الشمالي صحيفة اسبوعية جديدة تحمل اسم (الصحـوة) وقد تصدرتها الآية الكريمة ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَه ﴾ ، وقد اشتمل العدد الخامس - الذي وصلنا من الصحيفة - على عدة موضوعات كان اهمها « ماذا يفعل الشيوعيون بمسلمي بلغاريا ؟ » ، وقد أفردت له صفحتان ، وتبعه نداء من مسلمي بلغاريا إلى مسلمي العالم : « وإسلاماه » ! ، وقد تميزت الصحيفة بالأعمدة الصحفية المتعددة ، ولم يكن للمقال الطويل نصيب كبير فيها ، كما احتوت على (اخبار) منها المحلي ومنها العالمي ، و (ادب) وفيه اشعار ورؤى ، وباب « رجال ومواقف » ، واقتُطِف فيه من كلمات الأستاذ سيد قطب ما يفسر « قوة الكلمة » .. وفي الصفحة الأخيرة (حكايات) ، و « راس قلم » ، و « سخريات صغيرة » و « الحديث بالصورة » .. والصحوة التي صدرت في ثماني صفحات تعد محاولة طيبة يمكن أن تؤدي دوراً هاماً - بتنوع موضوعاتها وطريقتها الصحفية - في ترشيد الصحوة الإسلامية المعاصرة . ■■

التعبير بالصورة

مقاتلو (أمل) ينظرون إلى مخيم « صبرا » بعد انتهاء المذابح الطائفية الدامية التي استهدفت الوجود الفلسطيني !

[متابعة أداء المهمة نيابة عن إسرائيل]

صــابرا وشاتيلا الثانيــة :

استكمال تحقيق أهداف الغزو الإسرائيلي بأيدٍ طائفيــة

●● لم يمض وقت كاف لننسى « صبرا وشاتيلا » الأولى ، وإذا نحن امام « صبرا وشاتيلا الثانية » . المكان هو المكان . وفرق الزمن ثلاث سنوات . الضحية هي الضحية . تبدل القاتل من صليبي مدعوم إسرائيلياً إلى طائفي يدعي الانتساب إلى الإسلام مدعوم بطائفي آخر ، ويدعي الحرص على القضية إلى درجة المزايدة . تبدل إحساس القاتل والعالم ، ففي المرة الأولى شعر الجزارون بالخجل والإحراج امام العالم ، وهذه المرة يتسلح القتلة ببرود اعصاب عجيب . حتى إحساس العالم هذه المرة غيره في تلك ، ويبدو ان العالم قد اعتاد رؤية نزف الدم الفلسطيني . هذه المرة لن يجري تحقيق ولا عقوبات ، بل سيكافأ القتلة على فعلتهم ، فلجان التحقيق في العالم العربي ترف لا ضرورة له .

لم يخفِ الصهاينة شماتتهم بما يجري ، واعتبروا ذلك كافياً للدلالة على نجاح غزوهم للبنان عام ١٩٨٢م .

وقد كان موضوع حرب المخيمات محور تعليقات الصحف العربية والأجنبية ، التي ربطت بينه وبين الانسحاب الإسرائيلي من لبنان ، وربطت بين القضاء على الوجود الفلسطيني المسلح والقضاء من قبل على الوجود السني في بيروت ، وبين ذلك وبين جهود التسوية للقضية الفلسطينية ككل ، بعد إغلاق الملف اللبناني . ●●

THE TIMES

مفارقات حرب المخيمات

حول هذا الموضوع كتبت « التايمز » اللندنية في الثلاثين من مايو [ايار] الماضي :

لا يجد المراقب لوصف حرب المخيمات الفلسطينية ، افضل من كلمة مفارقة . فمن المفارقات ان مخيمي صبرا وشاتيلا ، اللذين شهدا مجزرة قبل ثلاث سنوات نفذت بأيدٍ صليبية ودعم إسرائيلي ، يشهدان الآن مجزرة جديدة عربية طائفية .

ومن المفارقات ألَّا تثير المذابح الحالية ضجة وغضباً كتلك التي اثارتها المذابح الأولى . ومن المفارقات ان الفصائل الفلسطينية التي تناحرت فيما بينها إلى درجة القتل ، قد اضطرت للتوحد دفاعاً عن المخيمات .

ولكن اكبر مفارقة ان يتم ذلك مع اقتراب استكمال الانسحاب الإسرائيلي من لبنان ، وبعد فترة من التاكيد على فشل الغزو الإسرائيلي ، فإن المذابح الحالية تؤكد ان هناك من يكمل المهمة عن إسرائيل ، وان الغزو لّما ينته بعد ، ولكن على يد الآخرين ، والآخرون هذه المرة ليسوا صليبيين بل طائفيين مسلمين .

وإذا كانت إسرائيل قد غزت لبنان قبل ثلاث سنوات بهدف القضاء على الوجود الفلسطيني المسلح ، فكيف نعتبر ذلك الغزو فاشلاً ، والهدف لا يزال يجري تحقيق فصل آخر منه ؟

وإذا كانت إسرائيل قد غزت لبنان قبل ثلاث سنوات بهدف إقامة نظام جديد يحافظ على أمن مستوطناتها الشمالية ، فإن القتال الحالي يجري لتحقيق هذا الهدف ، ولا يتورع القتلة عن الإعلان بان من بين اهدافهم منع مهاجمة إسرائيل من الاراضي اللبنانية .

THE GUARDIAN

الطائفيــون يكملون تحقيق أهداف الغزو الإسرائيلي

تساءلت صحيفة « الغارديان » البريطانية ، عن سّر حرب المخيمات في لبنان في هذا الوقت بالذات الذي يشهد انسحاب إسرائيل نهائياً من لبنان ، وقالت : إن الطائفيين المسلمين يقومون الآن بالعمل الذي كانت تطالب به إسرائيل منذ وقت طويل ، وهو إنهاء الوجود الفلسطيني المسلح . فلماذا ظهر هؤلاء بمظهر المقاوم للاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان ؟ هل كان ذلك لتوفير غطاء وطني ولتجاوز عوائق سياسية وعسكرية ، عند تنفيذ مهمة محاربة الفلسطينيين ؟ وكيف يصبح الإسرائيلي والفلسطيني في نظرهم واحداً ؟

هل يريدون إقناع إسرائيل بألَّا ضرورة لإقامة حاجز امين بإشراف صليبي على الحدود ، وانهم كفيلون بحفظ امنها ؟ هل حصد هؤلاء الطائفيون ، ومَنْ وراءهم ، ثمار المقاومة اللبنانية في الجنوب ، وغيَّروها لحسابهم ، لتوفير غطاء شرعي عربي لهم ، عند قتالهم للفلسطينيين ؟

الشرق الأوسط

« العـــار »

تساءلت صحيفة الشرق الأوسط ، في عددها الصادر في ٣٠ مايو [ايار] الماضي عن صاحب المصلحة في ضرب الفلسطينيين ، واعربت عن اعتقادها بان الهجوم على المخيمات قد جاء في إطار اتفاق غير معلن للتوصل إلى حل وسط بين طرفي الصراع التقليدي في لبنان . وبموجب هذا الاتفاق تتقدم الكتائب خطوة بالاتجاه العربي ، ويتقدم الطرف الآخر خطوة باتجاه تخفيض الالتزام العربي . وهكذا يصبح لبنان بلا نفوذ إسرائيلي مباشر ، ولا وجود فلسطيني قوي . والمطلوب تمهيد الأجواء اللبنانية لمرحلة جديدة يصبح فيها لأحد الأطراف العربية دوراً اكثر سطوة وتاثيراً ، ولكن الصحيفة تساءلت : « هل يتساوى الارتباط الكتائبي بإسرائيل بالارتباط اللبناني بالقضية الفلسطيني » ؟ الإجابة المخلصة تقول : لا . ولكن يبدو ان اصحاب الحل والربط في لبنان يريدون تمشيط كل القوى التي يمكن أن تعترض السيناريو المقبل . وهذا هو العار الحقيقي .

الوطن

حــرب المخيمــات وإغلاق الملف اللبناني

تساءلت صحيفة « الوطن » الكويتية ٢٨ مايو [ايار] ١٩٨٥م ، لماذا الهجوم على المخيمات في هذا الوقت بالذات ؟ واجابت : إن الأعصاب مشدودة لموعد الانسحاب الإسرائيلي النهائي قريباً . وقبل ان يتم ذلك تريد بعض القوى ان تثبت انها القوة الأساسية التي تستطيع ان توفر الأمن على الحدود في جنوبي لبنان ، وان تنزع سلاح الفلسطينيين في كل مكان من ارض لبنان ، لضمان هدوء مستديم على الحدود الشمالية

لفلسطين المحتلة مقابل ثمن محدد وهو : اعتراف إسرائيل بتلك القوى كطرف وحيد مهيمن في الجنوب ، واعتراف الطوائف الأخرى بحصتها في الحكم ، وضمن اي توازن سياسي جديد ، في لبنان الطوائف ، لبنان المستقبل . هذا هو جوهر موقف تلك القوى التي هاجمت المخيمات ، والذي اكدته تصريحات زعمائها وممارساتها خلال الأسابيع القليلة الماضية ، وبعد أن تمكنت من نسبة المقاومة اللبنانية في الجنوب إليها .

وقد ربطت الصحيفة بين تصريحات « شيمون بيريز » ، رئيس وزراء العدو ، الذي قال : « لقد قلنا لطوائف هذا البلد (لبنان) ، شيعة ونصارى : اضمنوا الامن على الحدود ، ولن يدخل جندي إسرائيلي مناطقكم » . وبين ما حدث بعد ذلك بأيام ، ومع وجود « مورفي » في المنطقة ، إذ سارع زعيم الحركة التي هاجمت المخيمات لإعلان نواياه في مؤتمر صحفي قال فيه : « نحن مستعدون لتحمل مسؤوليات الأمن في الجنوب » .

وكرّت المسبحة ، وتسابق مسؤولو تلك الحركة للتاكيد على معارضتهم محاربة إسرائيل من الجنوب ...

وتطرقت الصحيفة إلى موقف إحدى الدول العربية التي باركت حرب المخيمات ودعمتها ، بحجة أن هناك مؤامرة إسرائيلية مع طرف فلسطيني لزعزعة الاستقرار في لبنان ، وقالت : إن هذه دعاية سياسية فاشلة لا تقنع طفلاً عربياً .

واشارت الصحيفة إلى ترديد وسائل إعلام تلك الدولة العربية مقولة : لا بد من إغلاق الملف اللبناني سريعاً . وتساءلت : لماذا سريعاً الآن ؟ وكيف يكون إغلاق هذا الملف ؟ وقالت :

إن ذلك ياتي مع الانسحاب الإسرائيلي النهائي من جنوبي لبنان ، بشكل يكون إغلاق الملف النهائي معه متمشياً مع إمساك تلك الدولة بالوضع كاملاً في لبنان . ولأن هذه الدولة لا تريد ان تبدأ ذلك باقتحام مخيمات الفلسطينيين ، فقد اوكلت المهمة إلى أطراف لبنانية . وقد يبقى بعض النفوذ المقيد لأطراف فلسطينية مرتبطة بها .

وربطت الصحيفة بين الإمساك بالورقة اللبنانية وجهود التسوية الجارية على قدم وساق ، وقالت : إن تلك الدولة تريد بعد الإمساك بالورقة اللبنانية أن تقول لواشنطون : نحن القوة الإقليمية الكبرى التي يجب ان يمر الحل من خلالها .

واعربت الصحيفة عن اعتقادها بأن إغلاق الملف اللبناني يعني فصل القضية الفلسطينية عن القضية اللبنانية . وفي ذلك إرضاء لامريكا وإسرائيل .

المجتمـــع :

القضاء على الوجود الفلسطيني والقضاء على الوجود السنّي خدمة لأهداف غزو ١٩٨٢م

اتفقت مجلة « المجتمع » الكويتية في عددها رقم ٧١٩ ، مع الصحف الاخرى في الربط بين الهجوم على المخيمات والانسحاب الإسرائيلي النهائي من جنوبي لبنان .

واعربت المجلة عن اعتقادها بأن الهجوم يخدم بصورة مباشرة او غير مباشرة أهداف المخطط الصهيوني التي لم تتحقق تماماً بفعل غزو لبنان ١٩٨٢م .

وقد انفردت « المجتمع » في الربط ما بين الهجوم على الفلسطينيين ومحاولات القضاء على التاثير الإسلامي السني ، وبشكل خاص في لبنان . واشارت إلى ان الأطراف التي قامت بالهجوم استثمرت الطرح الطائفي لإذكاء مشاعر الحقد والكراهية والتنكيل بالأبرياء إلى حد قتل المرضى بالمستشفيات .

واعربت المجلة عن املها بان تؤدي المعركة الحالية إلى تنسيق المواقف بين الثورة الفلسطينية والقوى الإسلامية على اساس من وحدة المصير ووحدة السبيل وهو الجهاد في سبيل الله .

The Washington Post

الموقف الإسرائيلي من جهود التسوية

فيما يخوض الإسرائيليون فيما بينهم جدلاً عنيفاً حول مدى صواب صفقة تبادل الأسرى مع الفلسطينيين ، فإن هناك جدلاً يدور حول قضية اخرى وهي الموقف من جهود التسوية . المشكلة ان الإسرائيليين اعتادوا النظر إلى القضية الفلسطينية نظرة عسكرية لا سياسية . ولكن الحكومة الحالية ، ورئيس وزرائها ، « شيمون بيريز » ، على وجه التحديد ، يظهر تجاوباً مع الدعوة إلى الحل السياسي للقضية . إلّا ان هذه التجاوب في الحقيقة يبقى لفظياً . اما الاهتمام الحقيقي لـ « بيريز » فقد انصب على مشكلتين : الانسحاب من لبنان ، وإنقاذ الاقتصاد .

اما موضوع التسوية فرغم إعلانه التجاوب مع جهود التسوية ، إلّا انه يفضل لعبة المماطلة والانتظار . وربما يريد لتحالفه مع « الليكود » ان ينهار بسببها ، في الوقت الذي لا يضمن فيه العودة إلى رئاسة الوزراء ، لو جرت انتخابات جديدة . ولكن الاهم من ذلك ان الامور تجري حالياً لصالح إسرائيل ، سواء في منطقة الشرق الأوسط او امريكا .

ففي منطقة الشرق الأوسط ، قلصت إسرائيل خسائرها في لبنان ، مع سحب معظم قواتها من هناك ، وظهر من بين اللبنانيين من يكمل المهمة عنها . الجبهات العربية هادئة منذ زمن طويل ولا يُتَوَقَّع منها إزعاج لزمن طويل ايضاً في المستقبل وبين هذه الدول خلافات تصل أحياناً إلى درجة القطيعة والاقتتال .

وهذه الدول ، وإن كانت تنتقد الموقف الأمريكي من القضية الفلسطينية ، إلّا ان ذلك لم يؤثر على تطوير العلاقات الثنائية بينها وبين واشنطون .

في واشنطون تتمتع إسرائيل بأفضل علاقات ممكنة . الرئيس ريغان يشعر بالدفء تجاه إسرائيل . والبرود الذي كان يثيره كل من « شولتز » وزير الخارجية ، و « واينبرجر » وزير الدفاع ، انتهى . المساعدات السنوية الأمريكية في تزايد مستمر ، حتى إنها تعادل مشروع « مارشال » الذي انقذت به امريكا أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية . الخلافات السياسية التي تثيرها بعض القضايا مثل تهريب بعض الأجهزة ، سرعان ما تنتهي .

ولكن إسرائيل تامل مستقبلاً في تحقيق هدف اخر ، وهو منع الولايات المتحدة من بيع اي سلاح للدول العربية .

كل تلك الظروف تجعل « بيريز » ينتظر : فإما ان ياتي العرب صاغرين قابلين بشروطه ، أو تنهار جهود التسوية . وهو لا يرى مانعاً - بعد ذلك - ان يظهر تجاوباً لفظياً مع جهود التسوية ، او يقبل باتخاذ بعض الإجراءات في الضفة الغربية تجاوباً مع مطلب الإدارة الأمريكية « بتحسين نوعية الحياة للفلسطينيين » . اما الكونغرس الأمريكي فمطالبه من إسرائيل لا تصل حتى إلى هذا الحد . لقد تنازل الكونغرس عن مطالبة إسرائيل بإجراء إصلاحات اقتصادية جذرية ، كشرط لتقديم مزيد من المساعدات .

وفي هذه الأثناء ، تستمر إسرائيل في إيجاد حقائق جديدة في الأرض المحتلة يومياً ، وتطرح مطالب لا يستطيع حتى اكثر المعتدلين العرب قبولها .

مسابقة الأمة

الجوائز

• الفائز الأول
خمسمائة ريَال قطَري

• الفائز الثاني
ثلاثمائة ريَال قطري

• الفائز الثالث
مائتا ريَال قطَري

• الفائز الرابع حتى العاشر
اشتراك مجاني بالمجلة لمدة سنة

■ ترسل الإجابات إلى ■
مجلة الأمَّة
ص . ب ٨٩٣ ـ الدوحة ـ قطر

ويكتب على الغلاف :
مسابقة الأمة
ورقم العدد

حل مسابقة العدد ٥٦

١ ـ المعنى الصحيح ونص الآية :

○ سِجِّيل : الصلب من الحجارة .
﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ (الفيل : ٤)

○ مُؤْصَدة : مطبقة .
﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾ (البلد : ٣٠)

○ الدَّرْك : الطبقات بعضها دون بعض .
﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ﴾ (النساء : ١٤٥)

○ جِفَان : قصاع كبار ، واحدتها جفنة .
﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (سبأ : ١٣)

○ زنيم : ملصق بالقوم وليس منهم .
﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ (القلم : ١٣)

٢ ـ الموقعة هي : موقعة (شقحب) .

٣ ـ الصحابي الجليل هو : زيد بن الخطاب رضي الله عنه .

٤ ـ الشاعر : محمد السيد الداودي .
المناسبة : الحديث إلى القدس في قصيدته « رسالة إلى المسجد الأقصى » .

٥ ـ [المؤلف] هو : الإمام احمد بن حنبل .
[الكتاب] هو : مسند الإمام احمد بن حنبل .

٦ ـ المدينة الإسلامية المحتلة هي مدينة (سبتة) .

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٥٦

الفائز الأول :
● خليل عبد الرحيم حسن إبراهيم (مصر)

الفائز الثاني :
● إجلال عبد الله علي الزعر (اليمن الشمالي)

الفائز الثالث :
● محمد الأمين ولد الشيخ (موريتانيا)

الفائز الرابع :
● حورية حسن محمد مرسي (مصر)

الفائز الخامس :
● عائشة يحا سعادة (إسبانيا)

الفائز السادس :
● محمد لو (السنغال)

الفائز السابع :
● فاطمة أحمد (الولايات المتحدة الأمريكية)

الفائز الثامن :
● شريف إبراهيم عبد الله علي (الصومال)

الفائز التاسع :
● إسلمن عبد السلام (بلجيكا)

الفائز العاشر :
● سمير عزت الدجاني (الكويت)

مسابقة العدد ٥٨ السنة الخامسة

١ - قامـــوس المســـابقة :

كلمات من القرآن الكريم ، هل تعرف المعنى الصحيح لها من بين المعاني الواردة أمام كل كلمة ؟ .. اذكر المعنى الصحيح ، ونص الآية التي وردت فيها :

● زلفاً	: ساعة بعد ساعة	آخر الليل	الوقت الحسن من الليل
● زعيم	: اسم شخص معين	ضمـين	قائد لا يستطيع الوفاء بوعده
● بقيعة	: المكان المرتفع	اسم لمكان في الجزيرة العربية	مستوٍ من الأرض
● الصُّدفين	: ناحيتا الجبل	مكان لصهر الحديد	البحيرتان
● تَمـور	: تشتد حرارتها	ترتفع بما فيها	تهبـط

٢ - في غزوة بدر الكبرى برز من صفوف قريش ثلاثة صناديد ، هم : عتبة بن ربيعة ، وأخوه شيبه ، وابنه الوليد بن عتبة ، ونادى عتبة بأعلى صوته : هل من مبارز أيها القوم ؟ فأمر رسول الله ﷺ ثلاثة من الصحابة رضوان الله عليهم بالخروج لمبارزة الكفار الثلاثة .. وتمكن اثنان من هؤلاء الصحابة من قتل اثنين من الكفار المبارزين .. لكن الصحابي الثالث جرح واستشهد ، وكان أوّل شهداء بدر .. من هم هؤلاء الصحابة ؟ ومن منهم أوّل شهداء بدر ؟

٣ - مـــن هـــــو ؟ :

● اختُطِف ، وعرضه الخاطفون للبيع بسوق عكاظ ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، فوهبته للنبي ﷺ .
● جاء أبوه وعمّه لشرائه من النبي ﷺ ، فخيّره : إن اختار أهله أن يذهب معهم بغير فداء ، أو يختار رسول الله ﷺ ، فاختار البقاء مع الرسول ﷺ .
● آخى الرسول ﷺ بينه وبين حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وبعد مقتل حمزة آخى بينه وبين أُسيد بن حضير .
● شهد بدراً وأحداً ، واستخلفه الرسول ﷺ على المدينة حين خرج إلى « المريسيع » ، كما شهد الخندق والحديبية وحنيناً .
● أمَّره الرسول ﷺ على سبع سرايا .
● قالت عائشة رضي الله عنها : « ما بعث رسول الله ﷺ ...... في جيش قط إلّا أمَّره عليهم ، ولو بقي بعده لاستخلفه .
● حين استشهد في غزوة مؤته قال النبي ﷺ : « استغفروا لـ... لقد دخل الجنة وهو يسعى » .

٤ - مـن القــائل ؟ ومـا المناسبـــة ؟ :

ولم تَـرَ وجهي عند نعشك مصطفى ... وذلك جرح لا يغور بخافقي
مكانك في قلبي الوفيِّ موطَّدٌ ... فأنْتَ على طول الزَّمان مرافقي
أحبّاي .. صبْراً للفراق وما رَمَت ... بهِ عاليَ الأكباد أيدي الطَّوارق
أحباي .. إنَّ النَّصر لا بد قادم ... وإني بنصر الله أوّل واثق
فيعلو بنا حق - علونا بفضله - ... على باطل - رغم الظَّواهر - زاهق
ونصنع بالإسلام دنيا كريمة ... وننشر نور الله في كل شارق

٥ - مؤلـــف وكتـــاب :

● [المؤلـــف] ولد سنة (٢٠٩هـ) .
● رحل إلى بلاد كثيرة لطلب العلم ، وأخذ عن الخراسانيين والعراقيين والحجازيين .
● أخذ علمه عن قتيبة بن سعيد ، وسفيان بن وكيع ، ومحمد بن إسماعيل البخاري .
● إمام في الحديث ، جمع إلى جانب الدين والورع الحفظ والثقة .
● قال عنه أبو يعلى الخليلي : ثقة متفق عليه ، ويكفي في توثيقه أن إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري كان يعتمده ويأخذ عنه .
● توفي في سنة (٢٧٩هـ) .
● [الكتـــاب] : يعد من أصول كتب الحديث الخمســة .
● أُلِّـف على أبواب الفقه .
● اشتمل على الحديث الصحيح والحسن والضعيف ، مع بيان درجة كل حديث في موضعه ، وبيان وجه ضعفه ، وبيان مذاهب الصحابة وعلماء الأمصار في كل المسائل التي عقد لها أبواباً .
● أفرد المؤلف في آخره فصلاً للعلل ، جمع فيه قواعد هامة .
● شرحه أبو بكر بن العربي والسيوطي وابن رجب الحنبلي .

٦ - مدينة عربية تعد أول عاصمة إسلامية في افريقيا ، تعود مكانتها الإسلامية إلى الشرف الذي نالته بجهاد صحابة رسول الله ﷺ على ارضها ، اسسها عقبة بن نافع وبنى فيها اول جامع ، وزارها عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، واقام رويفع بن ثابت الانصاري مسجداً فيها لا يزال قائماً حتى الآن ويعرف باسم جامع الانصار .

ويروى ان اهلها من البربر دخلوا الإسلام بعد ان راوا عقبة بن نافع - وكان مستجاب الدعاء - ينادي : « ايتها الحشرات والسِّباع نحن اصحاب رسول الله ﷺ فارحلوا عنَّا فإنَّا نازلون فمن وجدناه بعدُ قتلناه » وكانت المدينة مليئة بالسباع والذئاب .. فخرجت بعد نداء ودعاء عقبة بن نافع .

مـا هي هــذه المدينـــة ؟

اقرأ في الأعداد القادمة

□ الباحث عن الحقيقة ... أنموذج تطبيقي
الأستاذ حلمي محمد القاعود

□ الفتاة المسلمة ومعاناة الالتزام في مجتمع التغريب
الأستاذ عبد القادر عبَّار

□ الدعاة إلى الإسلام وطرق تكوينهم
الدكتور تركي رابح

□ أين الخلل ؟ السنن في القرآن الكريم
السيدة حنان لحام

□ أخطار التقليد التربوي للغرب على البلاد الإسلامية
الأستاذ محمد هاشم ريان

□ أدب البحث العلمي عند الإمام الشوكاني
الدكتور سعيد إسماعيل علي

□ النظرية السياسية وأبعاد الضغوط الخفية
الأستاذ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

□ أزمة الكتاب في الوطن الإسلامي
الأستاذ محمد الصالح عزيز

□ التعليم في موريتانيا من المحضرة إلى الجامعة
أكثر من حــوار

خواطر وأفكار

هل تُحَلُّ المعضلات الاقتصادية بتحديد النسل؟

تكتسح معظم البلدان الإسلامية حملة دعائية لإقناع الناس بضرورة تحديد نسلهم لمواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية تنخر الوطن الإسلامي ، وتُرصد لهذه الحملة أموال طائلة كان من الممكن توظيفها في مشاريع اقتصادية واجتماعية أكثر جدوى ، خر لها طاقات هائلة كان من الواجب أن تُسخَّر للبحث عن الكنوز المخبوءة في الأرض والبحر ..

كلما أثيرت قضية تحديد النسل للمناقشة تدخّلت أيادٍ خفية « لتُهمِّش » النقاش وتحوله إلى مجرد خلاف فقهي يُستَدعى له الفقهاء بورون لنصرة زيد على عمرو ، وتظهر الأدلة العقلية والشرعية والتاريخية لترجح رأي فلان على رأي منافسه ، وتطوى الصفحة جدل عقيم بطول الأيام والشهور ، ويبقى في نفوس المسلمين شيء من الحيرة والاضطراب وعدم الاطمئنان لما يسمعون ؤون .

تؤكد التقارير السرية في أحد البلدان العربية أن ما يُصرف على إنجاح حملة تحديد النسل في عام واحد (من سيارات ، وأطباء ، ضين وممرضات وأدوية ، وعمليات جراحية ، ومستشفيات وغيرها) يكفي لرعاية أكثر من مليون طفل ، بينما زيادة الأطفال في البلد لا تتجاوز ربع مليون طفل .. أما كان الأولى أن تصرف هذه الأموال الطائلة في تهيئة المناخ السليم لتربية الجيل الناشىء من إنفاقها في حملة مجهولة الهوية ومجهولة النتائج ؟

بغياب الإسلام تغيرت الروابط الاجتماعية التي تشد المجتمع بعضه إلى بعض ، وغابت معه المبادىء والقيم التي يضمن قها توفير الأرضية الطيبة والمناخ المناسب لتعمل كل الطاقات البشرية لاستغلال خيرات السماء والأرض والبحار .

أول هذه المبادىء وأهمها :

(أ) توزيع الثروات على المواطنين توزيعاً محكماً عادلاً ، لا يشعر بعده المواطن بأي هضم لحقوقه فيندفع للعمل مطمئناً على مستقبله وعلى مستقبل أولاده من الضياع والتشرد ، متيقناً أن مسؤولية الأولاد تلقى على عاتق الدولة ، وما عليه إلا أن يوفر لهم المناخ العائلي الصالح .. ولنا في تطبيقات الفاروق أروع مثال لذلك .. أليس هو القائل في إحدى خطبه : « ... إني لأرجو إن عمرت فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله .. وألّا يبقى أحد من المسلمين ، وإن كان في بيته إلا أتاه حقه ونصيبه من مال الله وإن لم يعمل إليه نفسه ولم ينصب إليه بدنه » .

(ب) وثاني هذه المبادىء : الحريـــة .. إن تباطؤ العالم الإسلامي في الإنتاج وتوقفه عن الابتكار والإبداع ، راجع في أغلبه إلى ما يسود من أنظمة جائرة مستبدة تعمل على تعطيل طاقات المواطنين وتثبيط عزائمهم وتكبيلها بما تسنه من قوانين تحد من حريتهم وتُهين كرامتهم ، وبما تعانيه هذه البلدان من اغتراب ثقافي واجتماعي وسياسي يقتل فيهم الحافز إلى الإنتاج ، فيكثر الفقر والجوع ، بينما الوطن يزخر بالخيرات .. وتتعالى صيحات الفزع لاستنهاض الهمم فلا مجيب ، وتسرع القوى المحافظة على مصالحها بتقديم الدواء المسكِّن ، وتطرح علينا الحل السهل المتمثل في « تحديد النسل » فنستجيب لهذا النداء ونرتمي على الطُعم القاتل ، ثم نسرع إلى استفتاء الإسلام في مشكلة من هذا القبيل لنواري سوءاتنا ونمرر مخططات أعداء أمتنا دون أن نشعر ، بينما الإسلام ظل غريباً عندما تولدت الظروف التي نشأت فيها كل هذه الأمراض ، بعيداً عن توجيه سلوكنا الفردي والجماعي ..

إن الإســلام نظام متكامل لا يقبل التجزئة ، ولا يتدخل لحل مشاكل لم يتسبب هو في إيجادها ، ولا يريد أن يتحمل أخطاء ارتكبها آخرون يزعمون انتسابهم للإسلام .. إننا عندما نحكِّم الإسلام عقيدة وشعائر وأحكاماً سوف لن تُطرح علينا المشكلة الاقتصادية بالحدة التي هي عليها اليوم .. وسوف لا نلتجىء للحل السهل فننادي بالحد من التزايد السكاني لأن الإسلام لا يخاف كثرة الولادات ، ولا يفقد ثقته في الإنسان عندما يعمر الإيمان قلبه ويسترجع الثقة في نفسه ، ولا يسمح للقلة الظالمة بأن تستولي على حقوق المستضعفين .. عندما يطبق الإسلام ، وعندها فقط يمكن لفقهاء الشريعة أن يتدخلوا ويصدروا الفتاوى كما فعل سلفهم الصالح الذين أجازوا تحديد النسل عند الحالات الاستثنائية الخارجة عن القاعدة العامة كأن تتعرض الأم لأمراض تُعيقها عن مواصلة الحمل ، أو أن يتعرض أولادها الصغار لضرر من جرّاء الحمل الجديد .. والسـلام عليكم □□

بقلم : محمد الصالح عزيز

صدر:

كتاب الأمة
Al Ummah

١٠

التراث والمعاصرة

الدكتور أكرم ضياء العمري

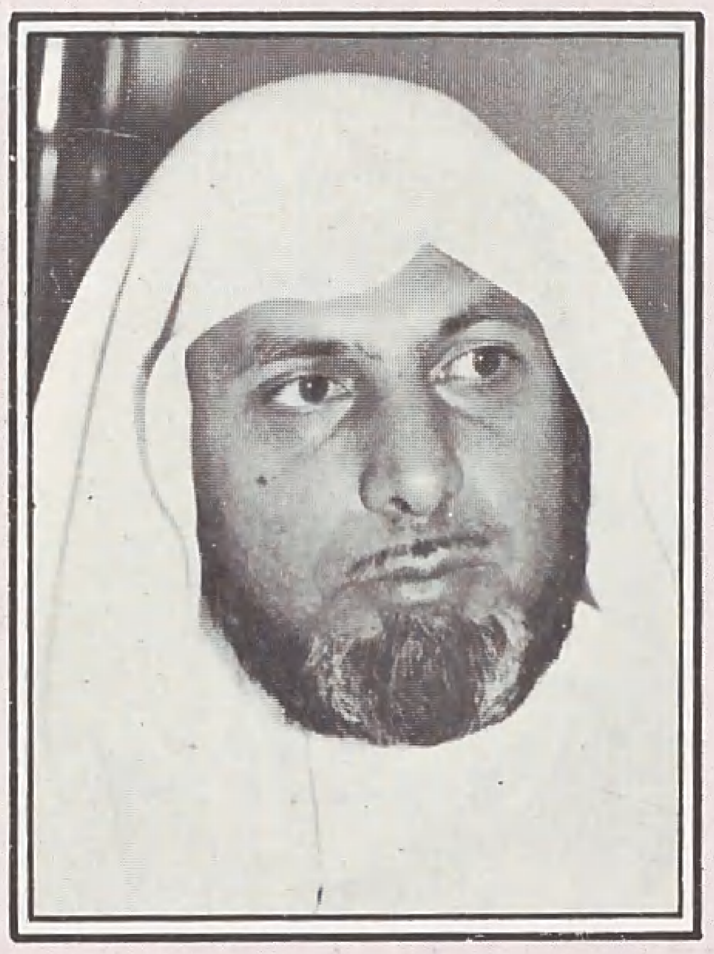

■ يمكن للجامعات الإسلامية ان تؤدي دوراً كبيراً في تحديد ملامح المجتمعات الإسلامية المعاصرة، والحفاظ على تميزها ووحدتها وتجانسها الروحي والفكري والعلمي، وتكاملها الجغرافي والاقتصادي، ويمكن أن تبرز على الصعيد العالمي كتلة قوية متضامنة لتؤثر في واقع العالم المعاصر ■

■ إن الثقافة الإسلامية تمر بأزمة قوية تتمثل في غياب حركة النقد الواعية التي تحكم على الأعمال الفكرية والأدبية، مما أدى إلى فوضى فكرية تتمثل في ضياع مقاييس التقويم، وكثرة التكرار في الأشكال والمضامين، وغلبة السطو الأدبي من «الجدد» على «القدامى» ومن «المبتدئين» على «الراسخين» ■

■ إن تراكم المعرفة يحتاج إلى تخطيط بحيث يبني اللاحق على السابق، ويضيف المتاخر على المتقدم، وبذلك تتراكم المعرفة ويحصل التقدم العلمي. ومن أجل ذلك لابد من وضع استراتيجية للبحث في العلوم الإسلامية من أجل نموها ولحاقها بالفكر المعاصر من حيث تناول مشاكل الحياة المعاصرة بشمول وعمق وإبداع وابتكار، ويحتاج ذلك إلى رسم المسارات، وتحديد الأهداف، وتجنيد الوسائل ■

■ قضية التراث نفسها لم تنج من آثار الغزو الفكري فقد طرحت أحياناً بمنظار غربي بحيث احتل الفلكلور الشعبي مساحة واسعة مما حوّله إلى نمط من المتعة والثقافة التي أضافها الغربيون أنفسهم إلى أنواع الترف الفكري الذي يعيشونه بعد أن حققوا أحلامهم بالثروة والسيطرة على عالم اليوم ■

يطلب من وكلاء توزيع الأمة في العالم

مجلة الأمة - Al Ummah

العدد ٥٨ السنة الخامسة شوال ١٤٠٥هـ